# الحياة الاقتصادية والاجتماعية

## في نجد والحجاز في العصر الأموي

الدكتور عبد الله محمد السيف

كلية الآداب - جامعة الملك سعود

مؤسسة الرسالة



الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة

في نجد والحجاز في العصر الأمويّ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

# الحياة الاقتصادية والاجتماعية

## في نجد والحجاز في العصر الأموي

الدكتور عبد الله محمد السيف

كلية الآداب - جامعة الملك سعود

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ

صدق الله العظيم

# إهــداء

إلى والديَّ ـ غفر الله لهما ـ أهدي هذا الكتاب ، جزاء ما بذلاه من جهد في سبيل تربيتي وتعليمي ، سائلاً الله عز وجل أن يجزيهما عني خير الجزاء

الدكتور عبدالله محمد السيف

# محتوى الكتاب



## الباب الأول

## الباب الثاني

# المقدّمة

أ- أهمّية الموضوع وعناصره .

ب - دراسة المصادر

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

## أ- أهمية الموضوع وعناصره .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : -

تهفو نفس كل مسلم لذكر الحجاز، لأنه مهبط الوحي، ومنبع النور، وفيه قامت أول دولة طبقت مبادىء الاخاء والمساواة بين الناس تحت راية الاسلام .

وعلى الرغم من أن الحياة في الدولة الاسلامية كانت غنية في جميع مظاهرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، الا أن أغلب المؤرخين ركزوا عنايتهم لدراسة تاريخ الحكام والولاة وأرباب الشهرة في المجتمع فأسهبوا في سرد مظاهر حياتهم ، في حين أهملوا حياة عامة الناس ، ولم يوردوا لنا الا نزراً قليلا عن حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم .

ونظراً لقلة المادة المتوفرة عن النواحي الاقتصادية والاجتماعية للدولة الاسلامية ، فقد أحجم الدارسون المحدثون عن دراسة هذه الجوانب من حياة الدولة الاسلامية ، وعنوا بدراسة الفتن والثورات والحروب . عندئذ بدت الشعوب الاسلامية وكأنها تعيش في حالة من القلق والرعب والصراع الضاري .

وبما أن الحجاز يأتي في مقدمة الأقاليم الاسلامية لمكانته الدينية من ناحية ، ولأنه كان القاعدة الأساسية التي قامت عليها الدولة الاسلامية من ناحية أخرى ، لذا رأيت أن أتناول في هذا الكتاب الجوانب الاقتصادية والاجتماعية بالتفصيل حتى تكون هذه الدراسة مكملة لما درس من النواحي السياسية التي قام بها بعض الدارسين المحدثين .

ولما كانت نجد ترتبط غالبا بالحجاز إداريا وماليا في العصر الأموي ، لذا فضلت أن تشمل هذه الدراسة أيضا الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمنطقة نجد ، على إعتبار أنه قد أسدل الستار على هذه المنطقة بعد حروب الردة ولم يعد يذكر عنها المؤرخون سوى اشارات عابرة متناثرة في بطون الكتب ، كانت بحاجة الى من ينقب عنها ويجمع شتاتها ويدرسها دراسة علمية وافية .

ومنذ البداية وضعت نصب عيني ، الصعوبات التي قد تنجم عن دراسة مثل هذا الموضوع ، وفي مقدمتها ندرة المادة العلمية ، التي كانت تضطرني غالبا الى قراءة كتب بكاملها دون أن أعثر على رواية أو خبر له صلة بهذا الموضوع ، لاسيما فيما يتعلق بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية لمنطقة نجد بالذات ، وكنت أسر كثيرا عندما أعثر على نص له صلة بموضوع البحث ، فأحاول جهدي تفسيره وتحليله الا أنني كنت حذراً في عدم تحميل النصوص أكثر مما تتحمل . لذلك سيلاحظ القارىء لهذا الكتاب أن المعلومات المقدمة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمنطقة الحجاز أكثر من المعلومات المعطاة عن نجد .

ومن الصعوبات التي واجهتني في دراسة هذا الموضوع أيضا ، أن النصوص التي أوردتها المصادر كانت تهتم بحياة علية القوم والمشهورين في المجتمع ، كالولاة والقادة والعلماء والمغنين ومن هم على شاكلتهم ، لكنها لا تذكر ما كان يفعله الرجل العادي في حياته اليومية ، الأمر الذي كان يؤدي الى بعض التعميمات التي لا مندوحة عنها . ومع هذا فقد ألزمت نفسي سلوك

السبيل العلمي السليم ، متوخياً تحري الحقيقة العلمية ، والدقة في التعبير ، حتى تظهر الصورة التي أقدمها عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز ، طبقا لما تقدمه المصادر من مادة علمية .

لقد إقتضت طبيعة بحثي أن أقسم الموضوع الى بابين رئيسيين مع مقدمة تمهيدية وضحت فيها موقع نجد والحجاز من الجزيرة العربية ، ولقد خصصت الباب الأول لدراسة الحياة الاقتصادية في نجد والحجاز وقسمته الى أربعة فصول .

ففي الفصل الأول تناولت الزراعة في نجد والحجاز ، فتكلمت عن العوامل التي ساعدت على نشوء الزراعة وتطورها ، كخصوبة التربة ، ووفرة الأموال ، وتشجيع الخلفاء والولاة ، ووجود الأيدي العاملة . ثم تكلمت عن نشوء الملكيات الزراعية الخاصة ، ورغبة السكان في تملك الأراضي الزراعية مما أدى الى إرتفاع سعرها . كما بينت طرق الري التي كان يستخدمها السكان في ري مزروعاتهم ، كالاعتماد على الأمطار والعيون والآبار وأوضحت أهم المحاصيل الزراعية وأماكن زراعتها في نجد والحجاز ، وكانت أهم المحاصيل التمور ، والحبوب ، والفواكه ، والخضروات ، وتلمست في هذا الفصل الآفات والأوبئة التي كانت تتعرض لها الزراعة في نجد والحجاز والتي كانت تتلف المحاصيل الزراعية كالجراد والسيول الجارفة كما تضمن هذا الفصل دراسة النشاط الرعوي وتربية الماشية ، فتكلمت عن تربية الإبل والخيل والأغنام ، كما تناولت دراسة الأحماء وأهميتها كمراع للإبل والخيل والأغنام وكيف ان مناطق الحمى القديمة إستمرت في العصر الأموي واكتفى الأمويون بتوسيع رقعتها .

وفي الفصل الثاني تناولت التجارة ، ولقد قسمت هذا الفصل الى ستة أقسام رئيسية ؛ ففي القسم الأول تناولت العوامل المؤثرة في التجارة فتكلمت عن العوامل التي ساعدت على نشوء التجارة كحسن الموقع الجغرافي لنجد والحجاز ، وإزالة القيود بين الأقاليم الاسلامية ، والاهتمام بطرق

المواصلات ، والقضاء على السرّاق وقطاع الطرق . كما أبرزت بعض المعوقات التي كانت تشل الحركة التجارية بين آونة وأخرى . وفي القسم الثاني تكلمت عن التجارة الداخلية وقيام التبادل التجاري بين المدن في نجد والحجاز،وكان مركز هذا النشاط التجاري الأسواق التي كانت تقام في المدن . وفي القسم الثالث تناولت التجارة الخارجية فتكلمت عن الطرق البرية والبحرية التي كانت تعتبر شريان التجارة الخارجية ، كما تكلمت عن موانىء التصدير والاستقبال للبضائع ، وأخيرا أوضحت السلع المتبادلة بين الحجاز ونجد والأقاليم الأخرى .

وفي القسم الرابع تناولت الرقابة على الأسواق ، وأوضحت أن الأسواق في العصر الأموي كانت تخضع لموظف يدعى « العامل على السوق » ، فكان يراقب الموازين والمكاييل ، ويحل الخلافات التي كانت تنشأ بين الباعة في الأسواق .

وفي القسم الخامس تناولت الأسعار في نجد والحجاز والعوامل المؤثرة فيها ، وأوضحت أن الأسعار كانت معتدلة الا في حالات الحروب والفتن والأوبئة فإنها ترتفع لإنعدام المجلوب .

أما القسم السادس فجعلته لأسلوب التعامل في أسواق نجد والحجاز ، موضحا النظام النقدي المتداول ، وإستعمال الصكوك والسفاتج كوسيلة من وسائل التعامل التجاري . وأوضحت أن وجود الصيارفة ساعد على نمو التعامل التجاري ، وختمت هذا القسم بدراسة وحدات الكيل والوزن والقياس المستعملة في تلك الأسواق .

أما الفصل الثالث فقد خصصته للصناعات والحرف التي كانت موجودة في نجد والحجاز في العصر الأموي. فتناولت في هذا الفصل الثروة المعدنية والصناعات التي ارتبطت بها أو قامت عليها كالحدادة والصياغة . ثم أوضحت الصناعات الأخرى التي كانت موجودة كدباغة الجلود وصناعة النسيج والنجارة وصناعة الورق . ثم بينت الحرف التي كانت موجودة كالخياطة وغيرها ومن

كان يزاولها كالخياطين والغسالين والحلاقين والخبازين . وختمت هذا الفصل متحدثاً عن أوضاع الحرفيين والصناع .

وكرست الفصل الرابع لدراسة النظم المالية ، فبينت أولاً الموارد المالية كالزكاة التي تؤخذ من الانتاج الزراعي ، وزكاة الأموال النقدية ، وزكاة المعادن ، وزكاة الماشية ، وأوضحت أن قسماً من هذه الزكاة كان يذهب الى بيت المال . وبينت أن من موارد بيت المال أيضا عشور التجارة وهي الرسوم التي كانت تؤخذ على أموال وعروض التجارة المارة على ثغور المسلمين ، كما أن الاستيلاء على أموال الثوار كان يعود الى بيت المال ويعتبر من أبواب الدخل .

أما المصروفات فكان أهمها العطاء والرزق ورواتب الموظفين وتكاليف المنشآت العامة وإعداد الحملات العسكرية ، وأوضحت أن بعض الأموال كانت تصرف في مجال الرعاية الاجتماعية وبخاصة في عهد الوليد بن عبد الملك ، كما تبين لي أن قسماً من واردات بيت المال كانت تذهب الى بيت المال المركزي في دمشق .

أما الباب الثاني فقد خصصته لدراسة الحياة الاجتماعية في نجد والحجاز وقد قسمته الى ثلاثة فصول: ويشمل الفصل الأول من هذا الباب دراسة عناصر السكان وأثرها في الحياة الاجتماعية كالعرب والموالي والرقيق ويشمل ثلاثة أقسام : أما القسم الأول فتحدثت فيه عن القبائل العربية ومواطنها في نجد والحجاز وأشرت الى القبائل التي لا تزال في مواطنها منذ العصر الأموي الى الآن . أما القسم الثاني فقد تناولت فيه الموالي ، ووقفت عند تأثيرهم في المجتمع ومشاركتهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفنية . كما أوضحت الأعمال التي قاموا بها للدولة . أما القسم الثالث فقد خصصته لدراسة الرقيق وأثرهم في مجتمع الحجاز ونجد ومشاركتهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأثرهم في التغير الاجتماعي .

وقد أفردت الفصل الثاني لدراسة الحياة العامة في مدن الحجاز ونجد ، فتناولت فيه مستوى المعيشة والأخلاق والعادات التي كانت موجودة . فتكلمت عن بناء المساكن والقصور والألبسة والأطعمة والأشربة والزينة . كما بينت وسائل المواصلات التي كان يستخدمها السكان ، وما يفعل في الأعياد والمناسبات . وحاولت اعطاء فكرة عما كان يسود في هذا المجتمع من عادات الزواج والطلاق وعادات الوفيات والأحزان .

أما الفصل الثالث فتناولت فيه المجالس الاجتماعية ووسائل التسلية فتحدثت عن مجالس العلماء ، ومجالس القصاص ، ومجالس الشعر والأدب ، ومجالس الطرب والغناء ومجالس المنادرة والفكاهة . ثم تناولت وسائل التسلية التي كان يزاولها السكان ، كلعبة الشطرنج والنرد والكرك والصنج وسباق الخيل والصيد ووسائل التسلية للأطفال .

**ب - دراسة المصادر :**

أما المصادر التي اعتمدت عليها في إعداد هذا الكتاب ، فكانت كثيرة ، ومتنوعة غير أنني سوف أتطرق الى المصادر التي كانت ذات قيمة أساسية بالنسبة لموضوع بحثي وتأتي الكتب التاريخية في مقدمتها .

ويعتبر كتاب « تاريخ الرسل والملوك » لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ( ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م ) من أهم المصادر التي تحدثت عن هذه الفترة ، وقدإعتمد في أخباره عن الحجاز على ما أورده محمد بن عمر الواقدي ( ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م ) في كتبه التي يعتبر بعضها مفقودا . وقد أورد بعض المعلومات المهمة عن النواحي الاقتصادية والاجتماعية ، وكتاب الطبري هذا مرتب على الحوليات ويمتد في سرد حوادثه حتى سنة ( ٣٠٢هـ / ٩١٤م ) . وقد قدم روايات متعددة عن الحادثة الواحدة ، وإهتم بضبط تاريخ الحوادث . وما أورده الطبري عن الحجاز كان في الغالب المصدر الرئيسي لمن تلاه من المؤرخين كابن الأثير ( ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ) في كتابه « الكامل في التاريخ » وابن خلدون ( ت ٨٠٨هـ /

١٤٠٥م ) في « العبر » وابن كثير ( ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ) في «البداية والنهاية » .

أما أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري ( ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م ) ، فقد رتب كتابه « أنساب الأشراف » على أساس الأسر العربية وشخصياتها المهمة ولم يرتبه على سني الهجرة ، وقد أمدّنا في هذا الكتاب بمعلومات إقتصادية وإجتماعية مهمة أثناء حديثه عن عدد من أبناء هذه الأسر . أما مؤلفه « فتوح البلدان » فقد رتبه على أساس الأقاليم والمقاطعات ، ومع أنه يورد معلومات اقتصادية مهمة الا أنني إستفدت منه في المعلومات التي أوردها عن ضرب النقود على الطراز الاسلامي ، ومما يزيد في قيمة مؤلفات البلاذري موضوعية المؤلف وقدمه والثقة التي وضعها فيه مؤرخون متأخرون عنه كالذهبي والعيني .

ويعتبر كتاب الأزرقي ( ت ٢٥٠هـ / ٨٦٣م ) « أخبار مكة » من أهم الكتب التي إستفدت منها في دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية فهو يورد معلومات مهمة عن الأسواق التجارية الداخلية في مكة ، كما وصف الدور والقصور والأشربة في مكة . ولا يقل كتاب الفاكهي ( ت القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ) « تاريخ مكة » عن كتاب الأزرقي من حيث الأهمية ففيه معلومات اقتصادية مهمة ، كما يصف بعض العادات ووسائل التسلية التي كانت موجودة في ذلك العصر .

وأورد أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ( ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م ) في كتابه « مروج الذهب » معلومات عن الناحية الاجتماعية إستفدت منها كوصفه للدور والقصور في الحجاز ، والروايات التي يوردها تعتبر مكملة لما أورده المؤرخون قبله . ويمتاز المسعودي في كتاباته التاريخية بالاختصار والاختيار .

أما كتاب « وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى » للسمهودي ( ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م ) فيعتبر من المصادر التي إستفدت منها في دراسة الحياة

الاقتصادية والاجتماعية وتأتي أهمية السمهودي من الكتب المفقودة التي ينقل عنها ويعتبر المصدر الوحيد فيها ككتاب « أخبار المدينة » الذي ألفه محمد بن الحسن بن زبالة سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م وكتاب «أخبار المدينة » ليحيى بن الحسن العلوي ( ت ٢٧٧هـ / ٨٩٠م ) وكتاب « الحرة » لمحمد بن عمر الواقدي . وقد ركز السمهودي اهتمامه في وصف خطط المدينة ، الا أنه أورد معلومات طيبة عن الزراعة وأهم المزروعات ومناطق زراعتها . كما ذكر بعض الأسواق التجارية والقصور التي أقيمت في المدينة .

أما كتاب « نسب قريش » لمصعب الزبيري( ت ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م ) ، فقد إستفدت منه في معرفة تسلسل النسب ، كما أورد معلومات طيبة عن العطاء في الحجاز في عهد معاوية بن أبي سفيان ( رضي الله عنه ) . وقد إعتمد على هذا الكتاب الزبير بن بكار ( ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م ) فألف كتابه « جمهرة نسب قريش » ، الا أنه أضاف إضافات كثيرة قيمة استفدت منها في دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية كالرعي والتجارة والأسعار والمعاملات المالية ، كما وردت فيه بعض المعلومات عن الأطعمة والأشربة والزينة وذلك ضمن حديثه عن حياة عدد من أبناء قبيلة قريش .

واعتمدت كثيرا على كتاب « الطبقات الكبرى » لابن سعد ( ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م ) ، وقد اهتم هذا الكتاب بذكر الرجال الذين اشتهروا بالعلم والتدين وقد أورد معلومات طيبة عن حياتهم الاقتصادية والاجتماعية . فاستفدت منه في دراسة أنواع السلع المستوردة والصناعة والألبسة والأطعمة والزينة ، والمجالس الاجتماعية .

ومن الكتب التاريخية التي إستفدت منها في دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية كتاب « تاريخ اليعقوبي » لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي ( ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م ) ، وكتاب « الإمامة والسياسة » المنسوب لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ( ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م ) ، وكتاب « الأخبار الطوال » لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري ( ت

٢٨٢هـ / ٨٩٥م ) ، وكتاب « الوزراء والكتاب » لأبي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري ( ت ٣٣١هـ / ٩٤١م ) . وقد ورد في هذه الكتب معلومات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية تختلف عما أورده المؤرخون الذين مر ذكرهم مما يدل على أنهم استمدوا معلوماتهم من مصادر تختلف عن مصادر المؤرخين السابقين .

وفي الكتب الجغرافية معلومات قيمة عن تحديد نجد والحجاز ، والحياة الاقتصادية والاجتماعيةفيهما .ويعتبر كتاب « أسماء جبال تهامة » لعرام ابن الأصبغ السلمي ( ت القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ) ، من أهم الكتب التي استفدت منها في دراسة الزراعة في الحجاز وأشهر المحاصيل الزراعية فيها ، كما أمدني ببعض المعلومات عن طرق الري ومشكلات الزراعة في الحجاز في ذلك العصر . كماإستفدت‌منه في تحديد منازل القبائل العربية في الحجاز وقد اعتمد على عرام بن الأصبغ كل من البكري في كتابه « معجم ما استعجم » ، وياقوت في « معجم البلدان » والسمهودي في « وفاء الوفاء » حتى ليكاد كل منهم قد نقله جميعه .

أما كتاب « بلاد العرب » للغدة الأصفهاني ( ت القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ) ، فقد إستفدت منه في دراسة الحياة الاقتصادية ، الا أنه أمدني بمعلومات قيمة عن تحديد منازل القبائل العربية في نجد والحجاز ، وتأتي أهميته من أنه إستمد معلوماته من رواة وشعراء من أهل تلك البلاد . ولا يقل كتاب « المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة » للحربي ( ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م ) عن كتاب الأصفهاني من حيث الأهمية فقد إستفدت منه في الزراعة ، والتجارة حيث يقدم معلومات فريدة عن الطرق البرية . كما أمدني بمعلومات قيمة عن تحديد منازل القبائل العربية .

ويعتبر كتاب « البلدان »لإبن الفقيه الهمداني ( ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م )

من أهم الكتب الجغرافية التي إعتمدت عليها في دراسة الحياة الاقتصادية ، فقد قدم لنا معلومات قيمة عن الزراعة وطرق الري في نجد انفرد بها من بين الكتب الجغرافية . فقد وصف العيون الموجودة في إقليم اليمامة ، كما عدد أنواع التمور التي كانت تزرع فيها .

وقد إستفدت من كتاب « صفة جزيرة العرب » لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني ( ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م ) في دراسة الحياة الاقتصادية وتحديد منازل القبائل العربية . أما كتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبة ( ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م ) ، فقد أمدني بمعلومات عن الطرق التجارية البرية التي تربط الحجاز ونجد بالأمصار الاسلامية الاخرى . وقد إعتمد على هذا الكتاب قدامة بن جعفر ( ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م ) في كتابه « الخراج وصنعة الكتابة » .

أما كتاب « البلدان » لليعقوبي ( ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م ) ، وكتاب «الأعلاق النفسية » لابن رستة ( الذي كان حياً في سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٢م ) ، وكتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » للمقدسي ( ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م ) ، وكتاب « صورة الأرض » لابن حوقل ( ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م ) ، وكتاب « نزهة المشتاق » للادريسي ( ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م ) وكتاب « معجم ما استعجم » للبكري ( ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ) . فقد ضمت هذه الكتب معلومات اقتصادية واجتماعية ثمينة عن منطقة نجد والحجاز .

أما الجغرافيون المتأخرون فأهمهم ياقوت الحموي ( ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م ) ، الذي أودع مؤلفه « معجم البلدان » معلومات ثمينة عن منطقة نجد والحجاز ، وتأتي أهميته في أنه اعتمد على محمد بن إدريس بن أبي حفصة اليمامي الذي عاش في القرن الثالث الهجري ، ويعتبر أول من ألف كتابا عن مواضع اليمامة ، ولم يبق منه الا ما نقله المتأخرون كياقوت الذي أكثر عنه النقل .

وقد وردت في كتب الفقه معلومات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية

وأهم هذه الكتب كتاب « المدونة الكبرى » للإمام مالك ( ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م ) . وقد إستفدت من هذا الكتاب في دراسة التجارة الداخلية والنظم المالية ، كما أمدني بمعلومات عن الحرف والصناعات ومحترفيها من العبيد والموالي . كما ورد في المدونة معلومات عن الناحية الاجتماعية كالزينة والألبسة ووسائل التسلية . أما كتاب « الأموال » لأبي عبيد القاسم بن سلام ( ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م ) ، فقد إستفدت منه في دراسة النظم المالية ، كما أمدني بمعلومات عن وحدات الكيل والوزن المستخدمة في الأسواق .

ومن الكتب الفقهية التي استفدت منها في دراسة النظم المالية كتاب « الخراج » لأبي يوسف ( ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م ) ، وكتاب الخراج « ليحيى بن آدم » ( ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م ) وكتاب « الأحكام السلطانية » للماوردي ( ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ) .

وفي كتب الأدب العربي معلومات ثمينة عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في نجد والحجاز في العصر الأموي ، غير موجودة في المصادر الأخرى . وأهم هذه المصادر كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الأصفهاني ( ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م ) الذي أمدني بمعلومات اجتماعية واقتصادية مهمة ، فقد إستفدت منه في دراسة التجارة والألبسة والأطعمة والعادات والتقاليد ووسائل التسلية والمجالس الاجتماعية ، كما إنفرد بين المصادر الأخرى بتصوير مجالس الطرب والغناء في المجتمع الحجازي .

ومن أهم كتب الأدب الأخرى التي إستعنت بها في دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية كتاب « البيان والتبيين» للجاحظ ( ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م ) ، وكتب ابن قتيبة ( ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م ) ك«الشعر والشعراء » و« عيون الأخبار » و« المعارف » وكتاب « نقائض جرير والفرزدق » لأبي عبيدة ( ت ٢٠٩هـ / ٨٢٤م ) ، وكتاب « الكامل في اللغة والأدب » للمبرد ( ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م ) ، وكتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه ( ت ٣٢٨هـ /

٩٣٩م ) وكتاب « صبح الأعشى » للقلقشندي ( ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م ) .

كما عاش في نجد والحجاز عدد من الشعراء في العصر الأموي ، وقد إستفدت من شعرهم في وصف الحياة الاجتماعية والاقتصادية كشعر عمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة وغيرهم .

ورجعت الى كتب اللغة لمعرفة أشكال الملابس ، وتركيب بعض الأطعمة وشرح بعض الكلمات الغريبة التي وردت في البحث ، وأهم هذه الكتب « كتاب المخصص » لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده ( ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م ) ، و« لسان العرب » لأبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري المعروف بابن منظور ( ت ٧١١هـ/ ١٣١١م ) .

وإضافة الى كتاب « فتوح البلدان » للبلاذري ، رجعت الى بعض المصادر لدراسة العملة المتداولة ، وأهم مصادر السكة التي إستعنت بها كتب المقريزي ( ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م ) ، كـ« شذور العقود » ، و« إغاثة الأمة بكشف الغمة » .

أما الدراسات العربية الحديثة التي إستفدت منها في موضوع هذا البحث فتأتي كتب وأبحاث الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي في مقدمتها ؛ فعلى الرغم من أن هذه الأبحاث تعتمد على ما أوردته المصادر العربية القديمة الا أنه جاء فيها بعض الاستنتاجات والآراء المفيدة . وتعتبر الكتب والأبحاث التي كتبها الأستاذ حمد الجاسر ذات أهمية كبيرة ، نظرا لما تحويه من معلومات قيمة عن بعض جوانب البحث. وإستفدت أيضاً من كتب الأستاذ الدكتور شوقي ضيف ، والشيخ محمد بن بليهد ـ رحمه الله ـ إضافة الى عدد من المصادر القديمة والحديثة التي يجد لها القارىء ثبتاً تفصيلياً في آخر هذا الكتاب .

ومن حق الوفاء عليّ أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل الزملاء الذين ساعدوني في إنجاز هذا العمل ، سواء كانت تلك المساعدة مناقشة حول

الموضوع ، أو إرشاد الى مصدر من مصادره ، أو قراءة لبعض فصول هذا الكتاب قبل تقديمه الى المطبعة ، أو مراجعة للخرائط التي رسمتها مع هذا البحث ، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور حسن أحمد محمود ، والأستاذ الدكتور سامي الصقار والدكتور محمد مسفر الزهراني ، والدكتور محمد الرويثي ، (والدكتور حمدان عبدالمجيد الكبيسي) سائلاً الله جل وعلا أن يجزي الجميع عني خير الجزاء . والله الموفق .

الدكتور عبدالله محمد السيف

قسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة الرياض

(جامعة الملك سعود)

## توطئة جغرافية

# موقع الحجاز ونجد من الجزيرة العربية

يختلف الجغرافيون الأقدمون من المسلمين في تحديد الحجاز ونجد إختلافاً كبيراً ، وهذا الإختلاف فيما بينهم يعود الى إختلاف الحدود الإدارية لأقسام جزيرة العرب[1] التي تعرضت لتبديلات غير قليلة في فترات تاريخية متقاربة . فقد أوجد المسلمون في العصور الاسلامية الاولى تقسيمات إدارية تتلاءم مع الظروف والأحوال التي كانوا يواجهونها دون أن يخضعوها للتقسيمات الجغرافية[2] فسجل المؤلفون هذه التنظيمات الادارية متجاوزين الحدود الجغرافية الطبيعية .

لقد عرض للحجاز ونجد كثيرون من الجغرافيين المسلمين ومن الأفضل أن نستعرض ما ذكروه لندرك مدى الاختلاف فيما بينهم ، فقد ذكر الهمداني[3] نقلاً عن ابن الكلبي أن بلاد العرب خمسة أقسام : تهامة ، والحجاز ، ونجد ، والعروض ، واليمن ، ذلك أن جبل السراة الذي يقبل من

---

(١) صالح العلي ، تحديد الحجاز عند المتقدمين ، مجلة العرب ، ج١ ، لسنة ١٣٨٨هـ ، ص٢ ، ٤ ، عبد الله الوهيبي ، الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الأول ، ص٥٥ .

(٢) صالح العلي ، المرجع السابق ، ص٢ ، ٩ .

(٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، الرياض : ١٣٩٤/ ١٩٧٤م ، ص٥٨ ، الحربي ، المناسك ، الرياض/ :١٣٨٩/ ١٩٦٩م ، ص ٥٣٣ ـ ٥٣٤ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ٩ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ ، الفيروز أبادي ، المغانم المطابة في أخبار طابة ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

اليمن يحجز بين الغور ( وهو تهامة ) ، وهو هابط ، وبين نجد ، وهو ظاهر ، فسمته العرب حجازاً ، فنجد كل ما يقع شرق هذا الجبل حتى العراق ، أما العروض فتشمل اليمامة والبحرين . وذكرت المصادر[١] نقلا عن المدائني أن جزيرة العرب تشتمل على خمسة أقسام : تهامة ، ونجد، والحجاز ، والعروض ، واليمن ، فتهامة هي الناحية الجنوبية من الحجاز ، ونجد هي الناحية التي بين الحجاز والعراق ، والحجاز هو ما بين نجد وتهامة ، وهو جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام ، وسمي حجازاً لحجزه بين نجد وتهامة ، والعروض هي اليمامة الى البحرين . ويروي السمهودي[٢] نقلاً عن الأصمعي أن جزيرة العرب أربعة أقسام : اليمن ، ونجد والحجاز ، والغور ، وهو تهامة ويذكر الحربي نقلا عن مالك بن أنس[٣] أن جزيرة العرب مكة والمدينة واليمامة واليمن . ويضيف الهمداني[٤] قوله أن جزيرة العرب عند أهل اليمن يمن وشأم ، فجنوبها اليمن وشمالها الشام ، وتشمل نجد وتهامة والحجاز والسراة والعروض والعراق والشحر ، في حين أن ابن حوقل[٥] يذكر أن ديار العرب منها الحجاز الذي يشتمل على مكة والمدينة واليمامة ومنها نجد الحجاز المتصل بأرض البحرين ، ومنها بادية العراق ، وبادية الشام وبادية الجزيرة واليمن ، وجعل المقدسي[٦] جزيرة العرب : أربع كور جليلة ،والكور أولها : الحجاز ، ثم اليمن ، ثم عمان ، ثم هَجَرَ والنواحي : الأحقاف ، والأشحار ، واليمامة ، وقرح . وروى أبو الفدا[٧] نقلا عن ابن

(١) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ م ، ص ٧٨ - ٧٩ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص٢٤٥ ، نهاية الأرب ، ص ١٦ - ١٧ ، الألوسي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج ١ ، ص ١٧٨ ، القاهرة : ١٣٤٣ هـ ، كحالة جغرافية شبه جزيرة العرب ، القاهرة : ١٣٨٤/ ١٩٦٤ م ، ص . ٤ .

(٢) السمهودي ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ج ٤ ، ص ١١٧٦ .

(٣) الحربي ، المصدر السابق ، ص ٥٣١ ( بدون اليمن ) ، البكري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥ .

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٦٤ .

(٥) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٩ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص . ٨ .

(٦) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن : ١٩٦٧ ، ص ٦٨ -٦٩ .

(٧) أبو الفدا ، المصدر السابق ، ص ٧٩ ، ووجرة على طريق البصرة الى مكة بازاء غمرة التي تقع على =

الأعرابي أن ما كان بين العراق وبين وَجْرَة وغَمْرة الطائف فهو نجد ، وما كان وراء وجرة الى البحر فهو تهامة ، وما كان بين تهامة ونجد فهو الحجاز .

كما ينقل عن الواقدي[١] قوله : الحجاز من المدينة الى تبوك ، وأيضاً من المدينة الى طريق الكوفة ، وما وراء ذلك الى أن يشارف البصرة فهو نجد ، ومن المدينة الى طريق مكة الى أن تبلغ مهبط العَرْج حجاز أيضا ، وما وراء ذلك الى مكة وجدة فهو تهامة. ويرى الفيروز أبادي[٢] نقلاً عن الشافعي ان الحجاز مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها . ويروي ياقوت[٣] عن الأصمعي أيضا قوله : الحجاز ما احتزمت به الحرار : حرة شوران ، وحرة ليلى ، وحرة واقم ، وحرة النار ، وعامة منازل بني سليم . وقال في موضع آخر : الحجاز من تخوم صنعاء ، من العَبْلاء وتُبَالة ، الى تخوم الشام ، وإنما سمي حجازا ، لأنه حجز بين تهامة ونجد ، فمكة تهامية والمدينة حجازية والطائف حجازية[٤] . أما القلقشندي[٥] فيقول : الحجاز عبارة عن مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها على خلاف في بعض ذلك . ويضيف البكري نقلا عن الخليل[٦] أنه سمي حجازا لأنه فصل بين الغور وبين الشام ، وبين تهامة ونجد . والواقع أن وجود كلمة الغور في هذا النص غريبة ، والأصح أن تكون اليمن ، فيكون الحجاز قد سمي كذلك لأنه يفصل بين اليمن والشام[٧] . ويذكر عرام[٨] حد الحجاز من معدن النُّقرة الى المدينة ، فبعض المدينة

---

= طريق الكوفة ، ويحرم منها اكثر الحاج ، انظر : الحربي، المناسك ، هامش ( ٣ ) . ص ٣٤٥ .

(١) أبو الفدا ، المصدر السابق ، ص ٧٩ .

(٢) الفيروز أبادي ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١١٨٢ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٠٥ ، الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ١٤ .

(٥) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢٤٤ .

(٦) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ١٢ .

(٧) صالح العلي ، تحديد الحجاز عند المتقدمين ، ص ٣ .

(٨) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٢٤ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ١٠ .

حجازي ، ونصفها تهامي ، ويذكر ابن المجاور[١] نقلا عن الجوهري أن الحجاز بين نجد والغور . ويذكر الأصفهاني رواية عن عمارة بن عقيل[٢] أن ما سال من حرة بني سليم وحرة ليلى فهو الغور ، حتى يقطعه البحر ، وما سال من ذات عِرْق مغربا فهو الحجاز الى أن تقطعه تهامة ، وهو حجاز أسود يحجز بين نجد وتهامة .

أما في تحديد إقليمي اليمامة ونجد فقد اختلفت الأقوال وتعددت ، يقول الأصفهاني نقلا عن عمارة بن عقيل[٣] : وما سال من ذات عرق مقبلاً فهو نجد الى أن يقطعه العراق في حين يضيف ابن قتيبة نقلا عن الأصمعي[٤] قوله : إذا خلفت الحجاز مصعدا فقد أنجدت ، فلا تزال في نجد حتى تنحدر في ثنايا ذات عرق .

وتذكر المصادر[٥] نقلا عن ابن الكلبي في موضع آخر : الحجاز ما حجز بين اليمامة والعروض ، وفيما بين اليمن ونجد ، فصارت نجد ما بين الحجاز الى الشام وإلى العذيب ، والطائف من نجد ، والمدينة من نجد ، ويقول الحربي[٦] والطائف تدخل في نجد ، لأن حدها ما بين فيد الى المدينة ، الى أعالي أرض تميم ، والطائف منها . ويذكر ياقوت[٧] وأبو الفدا[٨] أنه في نجد المشهورة خلاف والأكثر على أنها اسم للأرض المرتفعة الفاصلة بين تهامة واليمن ، وبين العراق والشام ، وأولها من ناحية الحجاز

---

(١) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٣٩ .

(٢) الاصفهاني ، بلاد العرب ، ص ١٤ - ١٥ . وذات عرق محل احرام حجاج شمال نجد والقادمين بطريقه من شرق البلاد الاسلامية كالعراق وغيره ، وتقع بقرب ما يعرف الآن باسم الضَّرِيبة . الأصفهاني ، بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي ، ص ٣٣٩ ، هامش (٤) .

(٣) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ١٥ .

(٤) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٥٦٧ ، ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ٢٦ .

(٥) الحربي، المناسك ، ص ٥٣٧ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٦) الحربي ، المصدر السابق ، ص ٦٥٤ .

(٧) ياقوت ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص ٤١٥ .

(٨) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٧٩ .

ذات عرق .

وكما اختلف الجغرافيون في تحديد نجد والحجاز اختلفوا أيضا في تحديد اليمامة هل هي تابعة للحجاز ـ كما ذكرنا ـ أم تابعة لنجد ، أم أنها عمل مستقل بذاته . يقول : ياقوت[1] اليمامة معدودة من نجد وقاعدتها حَجْر وتسمى جَوّا والعُروض . ويقول ابن الفقيه : « اليمامة صرة نجد ومدينة نجد حجر »[2] . ويذكر القلقشندي[3] : أن اليمامة من الحجاز ، ؛ ويضيف رواية عن البيهقي[4] اليمامة ملك منقطع بعمله ، في حين يؤكد البكري[5] أن نجداً كلها من عمل اليمامة ، ويتوسع الاصفهاني[6] في تحديده لليمامة فيجعلها تشمل جزءاً من اليمن وجزءاً من الحجاز وجزءاً من البحرين وجزءاً من أطراف العراق والشام .

إن هذا الخلط الذي رأيناه في تحديد الحجاز ونجد واليمامة يرجع الى إختلاف الحدود الادارية لأقسام جزيرة العرب بين حين وآخر . فالتقسيمات الادارية تتغير بتغير الظروف التاريخية وهي لا تراعي الحدود الجغرافية فيروي ياقوت مثلا بأن اليمامة ربما ضمت الى المدينة وربما أفردت في عصر بني أمية[7] ويذكر الاصفهاني[8] أن مروان بن الحكم إذا ولي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان ، أرسل مروان بن أبي حفصة الى اليمامة ليجمع ما فيها من المال

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٠٢٧ .

(٢) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٣٠ . وحجر أقدم قاعدة لاقليم اليمامة ، ولقد قامت مدينة الرياض ، عاصمة المملكة العربية السعودية ، على انقاض مدينة حجر،انظر : حمد الجاسر ، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، الطبعة الاولى : الرياض ١٣٨٦/ ١٩٦٦ م ، ص ٩ .

(٣) القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص ١٧ .

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ص ٥٨ .

(٥) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ١٣ ، وانظر : السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٣١٨ .

(٦) الاصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٢٥ ، عبد الله بن خميس ،المجاز بين اليمامة والحجاز ،الرياض : ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م . ص ١١ .

(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٠٧ .

(٨) الاصفهاني ، الاغاني ، ج ١٠ ، ص ٧١ .

لأنها مضافة الى المدينة . ويذكر مصعب الزبيري[١] أن عكرمة بن عبد الرحمن المخزومي سعى على صدقات سعد والرِّبَاب « أيام كانت اليمامة تضم الى المدينة » . لذلك فالجغرافيون الذين جعلوا اليمامة من الحجاز أو جعلوها من نجد ، أو جعلوها اقليما مستقلاً يشمل نجدا وغيرها من حدود الحجاز والعراق واليمن والبحرين والشام ، انما تأثروا بالتنظيمات الادارية متجاهلين الحدود الجغرافية .

والأمر الذي لا شك فيه أن موقع الحجاز معروف بصورة عامة ، غير أن حدوده غير واضحة ، واختلاف الجغرافيين المسلمين في تحديده ، يزيد الأمر تعقيداً ، ويجعل من العسير الخروج برأي يحدد الحجاز تحديداً جغرافيا واضحا استناداً الى آرائهم السابقة ما عدا ما رواه الهمداني عن ابن الكلبي الذي حدد الحجاز جنوبا بقعرة اليمن حتى أطراف بوادي الشام ، أي أنه إعتبر الحجاز ، سلسلة جبال السروات بأكملها[٢] ، التي تمتد من أقصى جنوب الجزيرة العربية الى شمالها ، تاركة سهول تهامة الضيقة في الغرب ، وهضبة نجد في الشرق . ولكننا يجب أن نتنبه الى أن ما رواه الهمداني عن ابن الكلبي من أن جبال السروات هي الحجاز ليس تعبيرا دقيقا ، لأن المعروف أن بعض أقسام جبال السروات وخاصة ما كان منها في الجنوب والشمال لا تسمى حجازا ، وأن تعبير الحجاز يقع وسط السلسلة من هذه الجبال[٣] . كما أن اسم الحجاز يشمل في العرف تهامة ايضا[٤] . وبذلك يكون الحجاز هو المنطقة الممتدة من خط عرض ٢٠° شمالا الى خط عرض ٢٩° شمالا[٥] . ( انظر : شكل ١ ) .

---

(١) مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص ٣٠٥ .

(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٥٨ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص٩، الوهيبي ، المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٣) صالح العلي ، تحديد الحجاز عند المتقدمين ، ص ٥ .

(٤) مصطفى الدباغ ، الجزيرة العربية ، ج ١ ، ص ٦٥ ، أحمد الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص ٣ .

(٥) مصطفى الدباغ ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

وينطبق ذلك كله على تحديد نجد واليمامة ايضا . وأقرب الآراء الى التحديد الجغرافي السليم رأي ياقوت وأبي الفدا اللذين يطلقان اسم نجد على الأرض المرتفعة التي تفصل بين اليمن وتهامة ، وبين العراق والشام[١] . وهذا الرأي يقارب التحديد الجغرافي الحديث لنجد ، والذي يذكر أنها المنطقة الممتدة بين النفوذ الكبير شمالا ( والذي يعرف لدى المتقدمين باسم رملة عَالِج ) ، والربع الخالي جنوبا ( والذي يعرف لدى الجغرافيين المتقدمين باسم رملة يِبْرِين ) ، وبين الدهناء في الشرق ، وجبال السروات في الغرب[٢] ، أي من خط العرض ٢٠° شمالاً حتى خط العرض ٢٨° شمالاً[٣] ( انظر : شكل ١ ) ، ويشمل هذا التحديد الجغرافي ما يعرف باسم هضبة نجد[٤] .

ويظهر مما تقدم ، أننا سنستعمل هذا التحديد الجغرافي لمنطقة نجد ليشمل اليمامة ايضاً ، فتكون اليمامة اقليما من أقاليم نجد ، وذلك لعدة أسباب منها أن استعمال هذا المعيار الجغرافي سيبعدنا عن التحديد الاداري لليمامة ، الذي تأثر به الجغرافيون المتقدمون ، والذي يمتد وينكمش ، طبقا لما يتولاه عامل اليمامة من اقاليم تقل وتكثر وتتسع وتنكمش حسب قوة الوالي أو ضعفه .

كما أن بعض الباحثين تنبه الى أن اليمامة كانت اقليما من أقاليم نجد في العصر الاسلامي وانما افردها الجغرافيون احيانا لشهرتها التاريخية القديمة قبل الاسلام فيقول صاحب تاريخ نجد : « . . . فقد كانوا بذلك الوقت يقسمون نجداً أربعة أقسام فما كان من القصيم وجنوبه ينسبونه الى اليمامة

---

(١) ياقوت ، المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ، ص ٤١٥ ، أبو الفدا ، تقويم البلدان ص ٧٩ .

(٢) عزة النص ، المزاج الطبيعي لمنطقة نجد ، مجلة كلية الاداب ، جامعة الرياض ، المجلد الأول ، السنة الاولى : ١٣٩٠ هـ ، ص ١٧ ، مصطفى الدباغ ، المرجع السابق ، ص ٢٠ ، محمود طه أبو العلا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٦٥ م الطبعة الأولى ، ص ٤٠ .

(٣) محمود طه أبو العلا ، المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٤) الدباغ ، المرجع السابق ، ص ٢٠ .

لشهرتها بذلك الوقت ويعتبرون هذا التقسيم كله تابعاً لليمامة أو هو اليمامة بنفسه والسبب أن اليمامة صار لها شهرة تاريخية قديمة ترجع الى زمن طسم وجديس فجرى المؤرخون والجغرافيون على هذا الاعتبار الى مدة قريبة حيث توسعت مدارك الناس ودرسوا التاريخ وحققوا مواقع البلدان فقسموها تقسيمات تخالف التقسيمات القديمة[1] . . . » ويقول عمر رضا كحالة : « إذا أنعمنا النظر في كتب الرحلات ومعاجم البلدان ، نجد اليمامة اكبر مقاطعة نجدية : اتسعت أرجاؤها وكثرت بلدانها ، وتداولتها هذه الكتب بالبحث والإشادة . . . »[2] .

ثم إن هذا التحديد الجغرافي لمنطقة نجد يوافق التفسير اللغوي الذي يجعل « النجد ما علا من الأرض »[3] . وهو السائد الآن ، أما اليمامة فقد إنحسر مدلولها لتشمل قرية صغيرة من قرى الخَرْج بمنطقة نجد .

---

(١) مقبل الذكير ، تاريخ نجد ، مخطوط : معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، رقم ١٤٦٤ ، تاريخ ، ورقة ١٧٠ أ ، ب

(٢) كحالة ، المرجع السابق ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٣) أبو علي الهجري ، التعليقات والنوادر ، مخطوط : دار الكتب المصرية ، رقم ٣٤٢ لغة ، النسخة المصرية ، ورقة ١٨ ب .

# الباب الأول

## الحياة الاقتصادية في نجد والحجاز

# الفصل الأول

## الزراعة والنشاط الرعوي

١ ـ العوامل التي ساعدت على نشوء الزراعة وتطورها .
٢ ـ الإقطاعات والملكيات الزراعية الخاصة .
٣ ـ طرق الري .
٤ ـ المحاصيل الزراعية وأماكن زراعتها .
٥ ـ أثر الآفات والفتن على الزراعة .
٦ ـ طرق التعامل الزراعي .
٧ ـ الرعي وتربية الماشية .

# الفصل الأول
## الزراعة والنشاط الرعوي

### ١ ـ العوامل التي ساعدت على نشوء الزراعة وتطورها :

على الرغم من أن معظم أراضي نجد والحجاز صحراوية تنبت الأعشاب والنباتات البرية كالأثل والطلح والثمام والعرفج والسنا والاذخر ، الا أن هناك أراضي خصبة صالحة لإنتاج الأنواع المختلفة من التمور والحبوب والخضروات والفواكه . فمن الأراضي الخصبة في الحجاز واحات المدينة المنورة ، التي كانت بساتينها في القرن الأول الهجري تملأ الفضاء المحيط بها وعلى الخصوص من الشمال والشرق والجنوب[١] ، كما تنتشر الأراضي

---

(١) راجع الملكيات الزراعية في هذا الفصل ، وانظر أيضاً : البتنوني ، الرحلة الحجازية ، القاهرة : ١٣٢٧ هـ ، ص ٢٢٣ .

الخصبة في خَيْبَر ، وفدك والطائف ، وتُرَبَة ويَنْبُع ووادي القُرى[1] . أما الواحات الخصبة الصالحة للزراعة في بلاد بني سليم في الحجاز فتشمل واحات الأُتْم وحَاذَة وصَفِينَة والسَّوَارِقيَّة والأَرْحَضِيّة وواحات وادي العَقِيق[2] .

أما في نجد فتنتشر الأراضي الخصبة في القَصيم وبلاد اليَمامة[3] ، وقراها كقَرْقَرى[4] والوَشْم[5] والفَلَج[6] والخَرج . ووصف ابن الفقيه خصوبة أرضها ووفرة إنتاجها من الحبوب والتمور بقوله : « وأما حنطتهم فتسمى بيضاء اليمامة وهي عذي لاسقي يحمل منه الى الخلفاء وأما تمره فلو لم يعرف فضله الا أن التمر ينادى عليه بين المسجدين يمامي اليمامة يمامي اليمامة فيباع كل تمر ليس من جنسه بسعر اليمامي »[7] ويقول ابن حوقل : « وأما اليمامة فواد ، والمدينة به تسمى الخِضْرمة . . وهي اكثر نخيلا وتمراً من المدينة ومن سائر

---

(١) وادي القرى ، يسمى الآن العُلا ، وهو ليس وادياً واحدا بل أودية كثيرة ، والعلا الآن ذات قرى ونخيل كثيرة ، انظر ، الحربي ، المناسك ، تحقيق حمد الجاسر ، هامش ( ٢ ) ، ص ٤١٣ . وخيبر لايزال حتى العصر الحاضر وهو مجموعة من القرى ذات النخيل ، ويبعد عن المدينة بما يقارب ال ١٦٠ ميلاً في طريق معبد ، انظر نفس المصدر ، ص ٤١٣ ، هامش ( ١ ) . وفَدَك تعرف الآن باسم الحَائِط . انظر الاصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٧٦ ، حاشية ( ٣ ) .

(٢) حمد الجاسر ، القطائع النبوية ، مجلة العرب ، ج ١ ، من السنة الثامنة لعام ١٣٩٣/ ١٩٧٣ م ، ص ٦ . وحاذة وصفينة قريتان لا تزالان بهذا الاسم تابعتان لأمارة المَهْد ( معدن بني سُليم سابقا ) . والأرحضية ، لا تزال معروفة وهي قرية صغيرة تسمى الرِحْضِيَّة . انظر : الحربي ، كتاب المناسك ، ص ٣٣٤ ، هامش ( ١ ) ، وص ٣٣٠ هامش ( ٥ ) . اما السوارقية فهي قرية لا تزال تحمل هذا الاسم الى هذا العهد ، انظر ابن بليهد ، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، ج ٣ ، ص ١٨٦ .

(٣) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ٢٩ ، حمد الجاسر ، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، ص ١٩ .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٢ ، وقرقرى : أرض واسعة تعرف الآن باسم البَطِين ، وتشتهر بانتاج القمح والتمور ، فيهاعـددٌ من القرى منها ضَرمَى ، والمُزَاجميّة ، والبَرَّة ، انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٦١٦ ، هامش ( ١ ) ، الاصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٤٠ ، هامش ( ٣ ) .

(٥) واقليم الوشم ، اقليم واسع من أقاليم نجد ، يقع جنوبي القصيم ، ويبلغ امتداده من الشمال الى الجنوب ١٠٠ ميل ، ويضم عدداً من القرى اهمها شَقْراء وأُشَيْقِر ، والقَصَب ، وثَرْمَداء ، وأُثَيْثِيَة ، ومَرات . انظر : مصطفى الدباغ ، المصدر السابق ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٦) الفلج يعرف الآن باسم الأفْلاَج ، فيه قرى كثيرة وسكان كثيرون ، ويشتهر بأنتاج التمور . انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٦٢٠ ، هامش ( ٢ ) ، ص ٦٢٢ ، هامش( ١ ) .

(٧) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ٢٩ . والعذي هو ما تسقيه الأمطار .

الحجاز »[1] . ووصف ياقوت[2] نقلا عن السكوني قرية سَدُوس بأنها أخصب قرى اليمامة .

ورأس المال من العوامل المساعدة على ازدهار الزراعة ، إلى جانب خصوبة التربة ، وقد تضخمت الثروات في هذا العهد بزيادة الاموال التي أخذت تتدفق على الحجاز ، وخاصة مكة والمدينة نتيجة للفتوحات الاسلامية التي تمت في عصر الخلفاء الراشدين[3] . وفي العصر الأموي خلف أبناء الصحابة آباءهم على هذه الثروات الواسعة ونموها ، بالاضافة الى الأعطيات السخية التي درج خلفاء بني أمية على إغداقها على الحجازيين[4] . وكان العطاء يصرف لأغلب السكان ، عدا الرزق الذي تعودت الدولة على صرفه لهم . وكان ديوان العطاء مدداً مستمراً لا ينفد ، ولم يرو أنه انقطع عن أهل الحجاز الا سنة واحدة في عصر هشام بن عبد الملك ، الذي قطعه عنهم لتأييدهم ثورة زيد بن علي عندما خرج عليه ولكنه لم يلبث أن مات فأعاده عليهم الوليد بن يزيد[5] .

ومهما يكن من أمر فإن كثيرين من أهل الحجاز تجمعت لديهم ثروات كبيرة في هذا العصر ، إما بفضل ما جاءت به الفتوح الاسلامية ، وإما بفضل

---

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣١ ، حمد الجاسر ، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، ص ٧١ .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٨٤ ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص٣٤٥ .وسدوس قرية لاتزال نعرف بهذا الاسم ، وهي بلدة عامرة ذات نخيل ومزارع ،انظر: ابن بليهد ، صحيح الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٠٨ ، الحربي ، المصدر السابق ، ص ٦١٧ ، هامش ( ٥ ) .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ج ٣ قسم ١ ، ص ٢١٦ ، الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٦ ـ ١٧ ، الماوردي، الأحكام السلطانية ، ص ١٩٩ .

(٤) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٣١ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٣١ ، ٤٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٦٦ ، الرشيد بن الزبير، الذخائر والتحف ، ص ١١ ـ ١٢ ، مجهول المؤلف ، العيون والحدائق ، ص ٢٤ ، ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٩٥ ، ابن العمراني ، الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٤٩ . وانظر : العوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية ، ص ٢٠٧ .

(٥) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٧ ، ص ٢٢ ، وانظر : الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٧ ، ص ٢١٧ ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٥٢ ، شوقي ضيف ، الشعر والغناء ، ص ٢٩ .

الأعطيات والهبات المستمرة من خزائن دمشق أو من أرباح رؤوس الأموال التي كان يديرها الحجازيون . ولقد ترتب على هذا النمو السريع للثروات إرتفاع مستوى المعيشة وازدهار الزراعة نتيجة للطلب العظيم على المنتجات الزراعية ، التي كانت من قبل تعتبر كمالية كالخضروات والفواكه . ولتوفر الأموال توسع المزارعون فأصلحوا كثيراً من الأراضي الصالحة للزراعة ، لإنتاج أغلب المحاصيل الزراعية التي يتطلبها المجتمع وهذا التوسع في الطلب على المنتجات الزراعية أدى الى تطور الزراعة ، وجلب أنواع جديدة من النباتات[(١)] .

والأيدي العاملة من العوامل الاساسية في نهضة الزراعة ونحن نعلم أن الأموال التي تدفقت على الحجاز ، نتيجة للفتوحات الاسلامية ، لم تدخل الحجاز وحدها ، وانما دخلت ومعها الرقيق الذي كان يؤسر نتيجة الحروب ، هذا علاوة على ما كان يعطيه بعض الخلفاء كالوليد بن عبد الملك الذي زار المدينة فقسم بها رقيقا كثيرا[(٢)] ، كما أمر سليمان بن عبد الملك لجعفر بن الزبير برقيق من البيض والسودان[(٣)] .

ومن المجالات التي عمل فيها الرقيق الزراعة ، فتذكر المصادر ، أن سعيدا ابن عثمان بن عفان استخدم ثلاثين سغديا للعمل في نخله ومزارعه في المدينة المنورة[(٤)] . كما حفر تُحَنَّس غلام الحسين بن علي بن أبي طالب عين تُحَنَّس التي نسبت اليه[(٥)] . واستخدم علي بن أبي طالب مولاه الحبشي

(١) Ali, Muslim Estates in Hidjāz, p. 252

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٤٦٦ ، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مخطوط : دار الكتب المصرية ، رقم ٥٤٩ ، معارف عامة ، جـ ١٩ ، ورقة ٩٠ .

(٣) الاصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٥ ، ص ٥ .

(٤) محمد بن حبيب ، أسماء المغتالين من الأشراف ، ص ١٦٧ ، البلاذري ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١١٩ .

(٥) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٧٢ .

أبو نَيْزَر ليقوم على ضياعه في يَنْبُع وحفر عين أبي نيْزَر والبُغَيْبِغَة(١) . واستخدم معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن الزبير عدداً من الرقيق لزراعة أراضيهما في الحجاز(٢) . كما جعل معاوية بن أبي سفيان أربعة آلاف من الرقيق وأسرهم في الخَضَارم من أقليم اليمامة بنجد لاستصلاحها واستثمارها(٣) . كما استخدم ثور بن الصمة القشيري رقيقا للعمل بنخله في الفَلَج(٤) . واستخدم عبد الله بن عمر ( رضي الله عنه ) رقيقاً للعمل بمزارعه في المدينة(٥) . وكان المسؤول عن أموال وضياع معاوية بن أبي سفيان من الموالي ، هو ابن ميناء(٦) .

هذه بعض أمثلة وردت في مصادرنا عن بعض الرقيق الذي استخدم في الزراعة في الحجاز ونجد ، والذي لا نشك فيه هو أن بعض هؤلاء الرقيق كانوا مزارعين في بلادهم قبل استرقاقهم ، وكانت لهم خبرة واسعة بالزراعة(٧) ومعرفة ببعض النباتات التي جلبت فيما بعد لتزرع في الحجاز ونجد فساعدت على تطور الزراعة .

ومن العوامل التي ساعدت على تطور الزراعة أيضاً ، تشجيع الخلفاء والولاة للزراعة وبذل المحاولات الجادة لتحسينها سواء بحفر الآبار ، أو إقامة السدود ، أو شق الطرق ، أو تحسين طرق الحرث والزراعة . فمن السدود

---

(١) المبرد ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧ ، البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٢ ، ص ٦٥٧ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٧١ .

(٢) البياسي ، الاعلام ، بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ، مخطوط : دار الكتب رقم ٣٩٩، تاريخ ، جـ ١ ، ورقة ٨٤ ب .

(٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣٥٢ ، النويري ، نهاية الأرب جـ ١٩ ، ورقة ١٤ ، والخَضَارم تشمل الآن قرية اليمامة والسِلْمية والسِّيح في اقليم الخرج ، انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٦١٧ ، هامش (١) .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ١٧٦ .

(٥) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، ص ١٠٤ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٤ ، ص ١٦١ .

(٦) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ص ٢٥٠ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة جـ ١ ، ص ١٧٦ .

(٧) Ali, Muslim Estates in Hidjāz, p.253.

التي أقيمت في الحجاز سد معاوية بن أبي سفيان ( رضي الله عنه ) ، ويقع على الطريق بين المدينة المنورة ومعدن بني سُليم ويبعد عن المدينة عشرين ميلاً[١] ، وكان يوجد به ماء كثير ، وقد عمله معاوية على هيئة البركة حتى ينحبس فيه الماء . كما أقيم عدد من السدود في العَقيق للاستفادة من مياه السيول ، كسد عبد الله بن عمرو بن عثمان[٢] .

أما الطائف فقد طرأت على مزارعها تحسينات عدّة ، زادت من انتاجها ، فقد أقيمت في العصر الأموي بعض السدود التي ساعدت على توسع الزراعة وتطورها ، ومن أهم هذه السدود ، والذي لا يزال يشهد بعبقرية المهندس الاسلامي الذي شيده « سد ساي سد » وقد بُني هذا السد في عهد معاوية بن أبي سفيان ، ويبلغ طول الجزء الباقي منه الآن (٨٥) متراً ، ويتراوح إرتفاعه (٨,٥) متراً الى (١٠,٢٥) متراً وقد كتب عليه بالخط الكوفي المحفور على صخوره ما يلي : « هذا السد لعبد الله معوية ( معاوية ) أمير المؤمنين بنه ( بناه ) عبد الله بن خلد ( خالد ) باذن الله لسنة ثمن ( ثمان ) وخمسين أللهم إغفر لعبد الله معوية ( معاوية ) أمير المؤمنين ذنبه وأنصره ومتع ألمؤمنين به كتب عمرو بن حيان »[٣] .

وقد أقيم السد من الحجارة الجرانيتية وحدها ، فلم يضع مهندسه الاسلامي أي مادة من مواد البناء كالطين أو الملاط أو ما شابه ذلك بين الحجارة لتثبيتها ، حتى تتماسك وتكون كأنها كتلة واحدة . ويبعد هذا السد عن الطائف حوالي ستة أميال شرقي الطائف ولا يزال في حالة جيدة ، يشيد بعبقرية المهندس الذي بناه في ذلك العصر[٤] .

---

(١) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٤٠١ ، الحربي ، المناسك وأماكن طرق الحج ص ٣٣٠ ، وانظر عن معدن بني سليم الفصل الثالث من هذا الباب . السمهودي ،وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٣٢ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ١٠٧٢ ، جـ ٤ ، ص ١٢٣١ .

(٣) سعاد ماهر ، الطائف ووج ومابها من آثار ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(٤) تويتشل ، المملكة العربية السعودية ، ص ٥٠ ، كمال ، الطائف ، مجلة العرب ، جـ ١ ، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م . ص ٢١ .

هريرة ( رضي الله عنه ) أرضاً في العقيق ، صارت لأولاده يستغلونها فيما بعد[١] . وفي سنة ٤١ هـ/٦٦١ م أقطع مروان بن الحكم ، عبد الله بن عياش ابن علقمة أرضاً في العقيق ، اشتراها منه فيما بعد عروة بن الزبير[٢] . وكانت لعبد الملك بن مروان ضيعة في مَطْلوب قرب المدينة ، وكانت من أحسن ضياع بني أمية[٣] . كما كانت له ضيعة تسمى غُرَّبا ، كان فيها نخل وأشجار ، وتقع قرب المدينة المنورة ، وهي التي أقطعها عبد الملك لكثيِّر عزة ، عندما طلبها منه[٤] . أما الوليد بن عبد الملك فكان له الخَرَّار ، وهو واد من أودية المدينة ، اشتراه من ورثة عبد الله بن عامر بن كريز[٥] . وكان لعمر بن عبد العزيز مزرعة في السُوَيْداء بالقرب من المدينة المنورة[٦] .

أما عمرو بن العاص فكانت له ضيعة تسمى الوَهْط بالطائف[٧] تغل عشرة آلاف درهم سنوياً[٨] ، وكان لعبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان حائط في العَرْج بالطائف[٩] . وكان لسعيد بن العاص ضيعة غناء بالعَرْصَة على ثلاثة أميال من المدينة[١٠]. وكانت لعلي بن أبي طالب أموال

---

(١) السمهودي ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٦٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٠٤٢ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ١٣٠٩ .

(٤) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ١٠ - ١١ ، أحمد الربيعي ، كثير عزة ، ص ٤٨ .

(٥) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٢ ، ص ٤٩٢ .

(٦) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٦١ . والسويداء موضع بعد ذي خشب على ليلتين من المدينة المنورة ، انظر : السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٣٩ .

(٧) اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ١٦ . ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٢ . الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢٠٥ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٩٤٣ ، ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٣٢ ، البياسي ، المصدر السابق ، ورقة ٤٩ ب ، العجيمي ، اهداء اللطائف ، من أخبار الطائف ، ص ٨٩ .

(٨) الرشيد بن الزبير ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٩) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٤٠٢ .

(١٠) الزبيري ، نسب قريش ، ص ١٧٦ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٢٧٦ السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ١٠٥٥ .

في يَنْبع في الحجاز[1] ، كما كان لعلي بن الحسين ضيعة قرب المدينة المنورة[2] . وكان لسعيد بن عثمان بن عفان ضياع في المدينة المنورة[3] . وكانت للمغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ضيعة تسمى البَديع وهي من أرض فدك[4] . وكان لعبد الله بن عمر ضيعة في المدينة[5] ولأخيه عاصم بن عمر ضيعة في الأَكْحَل[6] ، وكان لعبد الله بن عامر بن كريز مزارع كبيرة في النِّبَاج بنجد[7] ، أما جرير بن الخطفي فكانت له ضيعة في أُثَيْفِيَة[8] في إقليم اليمامة بنجد .

وكان لثور بن الصمة القشيري مال بالفَلَج من أرض اليمامة بنجد[9] وكان لعبد لله بن عباس مال بالصَهْوة بالقرب من المدينة[10]. أما عبد الله بن سعد ابن ابي سرح فكان ماله في المدينة يسمى كَيْدَمة اشتراه بأربعين ألف درهم[11].

---

(١) المبرد ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧ ، الحربي ، المناسك ، ص ٤١٣ ، البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٢ ، ص ٦٥٧ .

(٢) البلاذري ، أنساب الاشراف ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ٣٤ .

(٣) ابن حبيب ، أسماء المغتالين من الاشراف ، ص ١٦٧ .

(٤) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ . وبديع تعرف الآن باسم الحُوَيط وتقع بين فَدَك وخَيْبَر ، وهو واد فيه نخيل . انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٥٤٢ ، هامش (٤) .

(٥) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٠٤ .

(٦) الحربي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٩ ، السمهودي ، المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١١٢٩ ولا يزال الأكحل معروفاً في الحجاز ، وهو واد في أعلاه نخل ينحدر من حرة سليم ( حرة رُهاط ) متجهاً للجنوب الغربي ، انظر الحربي ، المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .

(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٧٣٦ ، والنباج هي قرى الأسياح التي تعرف بهذا الاسم اليوم ، وتقع الى الشمال الشرقي من مدينة بُرَيدَة على بعد حوالي ٦٣ كيلا . انظر محمد العبودي ، الأَسْيَاح ( النباج قديماً ) ، مجلة العرب ، جـ ٧ و ٨ ، لسنة ١٣٩٥/ ١٩٧٥ م ، ص ٥٣٢ .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٢١ . وأثيفية قرية من قرى الوشم وهي مسقط رأس الشاعر جرير ، ولا تزال معروفة وتنطق أثيثية . انظر : مصطفى الدباغ ، الجزيرة العربية ، ص ١٦٠ .

(٩) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ١٧٦ .

(١٠) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٥٦ .

(١١) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٤ ، ص ١١٤٥ .

أما عبد الله بن الزبير ، فكانت له أموال بالفُرْع وحفر ينابيع الفَارِعَة والسَّنام[١] ، وكان لابنه حمزة ضيعة بالفُرع بها عشرون ألف نخلة[٢] . كما كان لعباد بن حمزة بن الزبير مال يسمى الأَثْبَةَ بالبَقيع[٣] . وكان لعبد الله بن عروة بـن الزبير أموال وآبار بالفرع في المدينة[٤] . وكان للسائب بن جناب أرض زراعية بقَناة بالقرب من المدينة[٥] . وكان للحسن بن علي بن أبي طالب أموال في ذات الأَسِيل من وادي نَخْلى[٦] . ولعبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب ضيعة يقال لها البَثْنات في ينبع[٧] . وليحيى بن طالب الحنفي ضيعة بقَرْقَرى في البَرَّة من إقليم اليمامة بنجد[٨] . ولمحمد بن عمران ضيعة في المدينة[٩] .

ولسعية بن غريض ضيعة بتَيْماء تساوي ستين الف دينار[١٠]. وكانت عين ضَرِيَّة لعثمان بن عنبسة بن أبي سفيان[١١]. أما جعفر بن طلحة بن عبيد الله ، فكانت له ضيعة أم العِيَال التي أنفق على استصلاحها مائتي ألف دينار ، وكان فيها عشرون ألف نخلة[١٢]وكانت غلتها أربعة آلاف دينار في

---

(١) البكري ، نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ١٠٢٠ ، والفرع من أعمال المدينة المنورة ، ولا يزال معروفاً بهذا الاسم ، وفيه قرى كثيرة ، انظر البكري ، معجم ما استعجم ، جـ٣ ، ص ١٠٢٠ ، الحربي ، المناسك ، ص ٣٤١ ، هامش (٢) .

(٢) البكري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٢١ ، الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ١ ، ص ٥٢ .

(٣) البكري ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٠٦ .

(٤) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ١ ، ص ٢٦٦ .

(٥) البكري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٩٦ .

(٦) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ٤ ، ص ١٣١٨ .

(٧) البكري ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٢٧ ، حمد الجاسر ، بلاد ينبع ،ص ١٣ .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٦٣ ، ابن بليهد ، صحيح الأخبار ، جـ٥ ، ص ٨ .

(٩) وكيع ، أخبار القضاة ، جـ١ ، ص ١٩٧ .

(١٠) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ٣ ، ص ١٣٠ .

(١١) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٩٨ .

(١٢) السمهودي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١١٣٠ ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ١٤٠ .

السنة[١] . ولعبد الله بـن مطيع أموال وبئر فيما بين السُّقْيا والأَبْواء[٢] . ولطلحة بن عبيد الله مال في قناة[٣] ، ولعائشة بنت طلحة ضيعة في الطائف[٤] .

ومع زيادة الطلب على الأراضي الزراعية لاستصلاحها ، ارتفعت قيمتها وزادت عناية الأهلين لها ، وبدأ الاهتمام بالزراعة وبتطويرها . وتشير بعض المصادر الى أثمان هذه الضياع والأراضي ، فيروي السمهودي أن معاوية بن أبي سفيان اشترى العرصة من عمرو بن سعيد بن العاص بثلاثة ملايين درهم[٥] كما ساوم عين أبي نَيْزر من الحسين بن علي بن أبي طالب بمائتي ألف دينار ، فأبى الحسين أن يبيع[٦] . كما طلب من سعية بن غريض أن يبيعه ضيعة بتيماء فجحدها عليه بستين ألف دينار[٧] . وباع علي بن الحسين عين تُحَنَّس من الوليد بـن عقبة لقضاء دين والده الحسين بسبعين ألف دينار[٨] . كما باع محمد بـن عمرو بن حزم حائطاً له بالأَفْراق ، في المدينة بأربعة آلاف درهم[٩] . وباع المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي نصف ضيعته بالبَدِيع من أرض فدك ، من أحد أبناء هشام بن عبد الملك بعشرين الف دينار[١٠]. اما عمرو بن سليم فباع حائطه المعروف ببئر جُشَم في المدينة بثلاثين ألف درهم[١١].

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٤٠ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٣ ، قسم ١ ، ص ١٥٨ . وانظر : الرشيد بن الزبير ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٤) الأصفهاني ، الاغاني ، ج ٦ ، ص ٢٠٣ .

(٥) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٥٧ .

Ali , Studies in the Topography of Medina , p. 90.

(٦) البكرى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٥٩ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٢٧٢ .

(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٣ ، ص ١٣٠ .

(٨) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٢٧٢ .

(٩) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٢٣٢ .

(١١) نفس المصدر ، ص ٣٨٣ .

## ٣ ـ طرق الري :

أما عن الري في الحجاز ونجد فكان أحياناً يعتمد على الأمطار[١] ونظراً لأن الأمطار غير كافية للزراعة ، لذا اتجه السكان الى حفر العيون والآبار . كما حفروا بعض القنوات وأقاموا السدود التي ساعدت على استصلاح معظم الأراضي الصالحة للزراعة .

إلا أنه يبدو أن أهم الوسائل التي اتبعت في ري المزروعات هي الاعتماد على العيون التي انتشرت في نواحي نجد والحجاز ، ففي مزارع حمزة بن عبد الله بن الزبير بوادي الفُرع ، عينان غزيرتان احداهما تسمى الربض والأخرى النجف تسقيان عشرين الف نخلة[٢] . وكذلك عين أم العيال لجعفر بن طلحة بن عبيد الله ، فكانت تسقي اكثر من عشرين الف نخلة[٣] وتذكر المصادر أن في وادي ساية أكثر من سبعين عينا[٤] . وكان في ينبع مئة عين غزيرة[٥] ، اضافة الى عيني أبي نَيْزر والبُغَيْبِغَة التي كان يمتلكها علي بن أبي طالب[٦] . كما حفر معاوية بن أبي سفيان عدداً من العيون في مكة المكرمة[٧] . وتنتشر العيون أيضاً في وادي مَرّ الظَهْران[٨] ، ووادي غَوْل[٩] ،

---

(١) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ .

(٢) الزبير بن بكار ، المصدر السابق ، ص ٥٢ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ، ص ١٠٢١ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٧٨ ، السمهودي وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٢٨٢ .

(٣) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ١٤٠ ، السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١١٣٠ .

(٤) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ، ص ٨١١ ، السمهودي ، المصدر السابق ص ١٢٣١ . وسَاية واد عظيم من أودية الحجاز من اعمال المدينة تنزله مزينة وسليم ، انظر البكري ، المصدر السابق ، ص ٨١١ .

(٥) الحربي ، كتاب المناسك ، ص ٤١٣ ، البكري ، المصدر السابق ، ص ٦٥٦ ، وتسمى ينبع الآن بينبع النخل ، وقد دثرت كثير من عيون ينبع حيث لم يبق الآن سوى ٢٥ عينا . انظر : حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ٩ ـ ٤٤ ، وانظر الحربي ، المصدر السابق ، ص ٤١٣ .

(٦) المبرد ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ ، البكري ، المصدر السابق ، ص ٦٥٧ .

(٧) الأزرقي ، تاريخ مكة ، ص ٤٤٣ .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٨١ ، وسيأتي تعريف مر الظهران في الفصل الثالث .

(٩) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٩٢ . وغول جبل كبير لا يزال معروفا ، وفيه واد يسمى به ، فيه مياه=

ورَنْية[1] ، والصَفْرَاء[2] ، وخَيْف ذي القَبْر وخيف ذي النَّعم[3] ورابغ ، وخُليص ، وبديع[4] ، ومَرَّان [5] وورْقَان [6] ، والسُّقيا [7] وعَمودان [8] .

وفي وادي يَلْيَل عين كبيرة عذبة تسمى عين البُحَير[9] ، وفي بدر عينان جاريتان[10]. أما وادي رهاط ففيه عين جارية تسقي في اليوم والليلة مقدار ألفي سقية من صميد الموز والنخل والأترج[11].

وفي إقليم نجد انتشرت العيون في منطقة اليمامة كعين الخَضْراء ، وعين هِيت ، وعين الهجرة . كما كانت هناك العيون السائحة كسيح الغَمْر في

---

= ونخل ويقع في عالية نجد غرب بلدة نِفي بما يقارب ٦٠ كيلا ، انظر الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ٩١ ، هامش ( ١ ) .

(١) قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعة الكتابة ، ص ١٨٨ . ورنية لا تزال قرية معروفة فيها مزارع ، انظر : الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٦ ، حاشية ( ١ )

(٢) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٣٩٨ ، البكري ، المصدر السابق ، ص٨٣٦ . والصفراء واد بقرب المدينة ، يبعد عنها ١٨٠ كيلا ، وكانت الصفراء كثيرة العيون ، ولكن لم يبق من عيونها سوى القليل . انظر الحربي ، المصدر السابق ، ص ٤١٤ ، هامش ( ١ ) .

(٣) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤١٤ ، ٤١٥ .

(٤) الحربي ، المصدر السابق ، ص ٤٥٦ ، ٤٦١ ، ٥٤٢ .

(٥) السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١٢٨٧ ، ومران لا يزال معروفا . انظر الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٧٢ ، حاشية (٤) .

(٦) البكري ، المصدر السابق ، ص ١٣٧٧ .

(٧) البكري ، المصدر السابق ، ص ٧٤٢ ، وتعرف السقيا الآن باسم أم البرك ، وانظر : الحربي ، المناسك ، ص ٤٥٠ ، حاشية (٣) .

(٨) ) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٩٦ .

(٩) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٣٩٨ ، البكري ، المصدر السابق ، ص ٨٣٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥١١ ، ووادي يليل هو أسفل وادي بدر . انظر الحربي ، المصدر السابق ، ص ٤١٩ ، هامش (١) .

(١٠) الحربي ، المصدر السابق ، ص ٤١٩ ، البكري ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(١١) الحربي ، المصدر السابق ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ . ورهاط لا تزال معروفة في الحجاز في واد عظيم يسمى بهذا الاسم ، فيه مجموعة من القرى ، ينحدر من حرة سليم التي تعرف الآن باسم رهاط . أنظر: الحربي ، المصدر السابق ص ٤١٥ هامش ( ١ ) .

المَجَازَة ، وسيح نَعَام في قرية نَعام[1] . وفي النِّبَاج ، الذي استنبط ماءه عبد الله بن عامر بن كريز ، عيون كثيرة استخدمت للزراعة[2] ، كما كانت تكثر العيون الجارية في الفلج[3] والفَوَّارة[4] .

ومع التوسع في الزراعة ازداد حفر الآبار لري المزروعات ، ففي المدينة المنورة حفر عروة بن الزبير عدداً من الآبار ، في العقيق لري مزروعاته[5] ، وفي بطن نَخْل ثلاثمائة بئر كلها طيبة لري المزروعات[6] . واحتفر سعيد بن العاص ثلاثة آبار لري مزروعاته بالعرصة على بعد ثلاثة أميال من المدينة[7] . كما حفر عبد الله بن مطيع بئراً فيما بين السقيا والأبواء[8] . وكان بقرية أَمَجْ عشرون بئراً لري المزروعات[9] . وانتشرت المزارع الواسعة في السوارقية واعتمدت على الآبار في الري[10]. وانتشرت الآبار أيضاً في

---

(١) ابن الفقيه ،كتاب البلدان ،ص ٢٨ وهذه العيون التي ذكرها ابن الفقيه تقع الآن في الخرج والحَريق وفي وادي حوطة بني تميم بنجد ما عدا عين الخضراء وعين هيت . انظر حمد الجاسر ، مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ص ٢٢ . وقرية نعام لا تزال معروفة بهذا الاسم الى الآن ويقع الى الغرب منها بلد الحريق ، انظر : ابن بلهيد ، صحيح الأخبار ، ج ٣ ، ص ٢٣٢ .

(٢) الحربي ، المناسك ، ص ٥٨٧ ، ٦٢٢ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٠ ياقوت، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٧٣٦ .

(٣) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢١ ، ياقوت ، معجم البلدان ج ٣ ، ص ٩٠٨ .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٩٦ . الحربي ، المناسك ، ص ٦٠٧ ، ولا تزال قرية الفوارة موجودة وبها عين جارية ، انظر : الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٧٠ ، حاشية (٤) .

(٥) السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١٠٤٤ .

(٦) نفس المصدر ، ص ١١٤٩ . ويذكر السمهودي أن بطن نخل قرية قريبة من المدينة ، ويرجح الأستاذ حمد الجاسر أنها هي ما يسمى الآن بالحُنَاكِية وهي قرية كبيرة . انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٣٦٥ ، هامش ( ١ ) .

(٧) السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١٠٥٥، Ali, Studies in the Topography of Medina, p. 90

(٨) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

(٩) الحربي ، المناسك ، ص ٤٦١ ، السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١١٣٠ ، وأمج لا تزال قرية معروفة بها قصور ونخيل ومزارع ، لم يتغير اسمها الى هذا العهد ، وموقعها بين أودية الفرع وبين ساية ، وأهلها الآن حرب . انظر ابن بليهد ، صحيح الأخبار ، ج ٤ ، ص ٢٠ .

(١٠) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٣١ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ١٠٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨٠ . السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٢٣٨ .

الرَوْحَاء[1] ، ومعدن البُرم ومران[2] والرحضية[3] ورابغ[4] . واهتم عمر بن عبد العزيز والي المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك فحفر عدداً من الآبار منها بئر الحُفَير ، وكانت طيبة الماء[5] . وكذلك انتشرت الآبار الكثيرة في العُشَيْرة والسَّيَّالة[6] ، ووادي بَيْضَان ووادي الصَّحْن[7] والعقيق[8] والسقيا[9] والفَقْي[10]. وكان المزارعون يحملون الماء على النواضح من الآبار لري المزروعات[11].

ولم يقتصر المزارعون في الري على العيون والآبار فقط ، بل أقيمت بعض السدود وحفرت القنوات للاستفادة من مياه السيول واستصلاح الاراضي والتوسع في زراعتها . ولقد سبق أن ذكرنا أن معاوية بن أبي سفيان أنشأ بعض السدود في الحجاز كسد معاوية، وسد « ساي سد » الذي أنشىء سنة ٥٨ هـ/ ٦٨٠ م . ويروي السمهودي بأن عروة بن الزبير حفر قناة للاستفادة من مياه السيول التي تجري في أودية العقيق[12]. وكذلك عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان الذي عمل سداً لهذا الغرض في العقيق[13].

---

(١) ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص ١٧٧ .
(٢) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤١٩ ، ٤٣٨ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٤٢٧ ، البكري ، المصدر السابق ، ص ٩٠٧ .
(٤) الحربي ، المناسك ، ص ٤٥٦ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٤٤٠ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٣٠٢ ، ٤٤٣ .
(٧) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٣٥ .
(٨) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص ٣١٣ .
(٩) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ، ص ٧٤٢ .
(١٠) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٥ . والفقي أصبح يعرف الآن باقليم سُدَيْر في نجد وبه قرى كثيرة ، انظر الحربي ، المصدر السابق ، ص ٦١٧ هامش ( ٤ )
(١١) الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٥١ .
(١٢) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٤٤ .
(١٣) نفس المصدر ، ص ١٠٧٢ ، ص ١٢٣١ .

## ٤ ـ المحاصيل الزراعية وأماكن زراعتها :

تعتبر التمور أهم المحاصيل الزراعية التي كانت تنتج في نجد والحجاز فلقد كانت النخيل تزرع في أغلب نواحي البلاد[١] لملائمة التربة والمناخ لنموها ، خاصة في المدينة المنورة التي اشتهرت بجودة تمورها وكثرة إنتاجها منه . فيروي اليعقوبي نقلاً عن الواقدي[٢] أن معاوية بن أبي سفيان كان يجذ من أمواله في المدينة المنورة سنوياً مائة وخمسين ألف وسق من التمور . وفي قرية الفرع كان لعباد بن حمزة بن الزبير عينان تسقيان اكثر من عشرين الف نخلة[٣] . كما كانت له الأثبة وكانت كثيرة النخل[٤] . وفي الفرع أيضاً نخيل كثيرة لعبد الله بن عروة بن الزبير تنتج كميات كبيرة من التمور[٥] ، وكان يعطي الشاعر أبا وجزة السعدي ستين وسقاً من التمر كل عام على أن يقتصر بمدحه على الزبيريين[٦]. كما توفرت التمور في قرية أم العيال التي كان يوجد بها عشرون الف نخلة[٧] وكانت البغيبغة في ينبع تنتج الف وسق من التمور في السنة[٨] . ومن قطائع آل الزبير التي كانت تنتج التمور وادي رهاط الذي كان يوجد به ألفا سقية من النخل والموز والأترج[٩] .كما كانت البساتين التي تسقيها عين أبي نيزر في ينبع تنتج كمية كبيرة من التمور[١٠].

---

(١) الغساني ، كتاب بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين ، ورقة ١٣١ أ

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ ، ٢٥٠ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ١ ، ص ١٧٦ . السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

(٣) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ج ١ ، ص ٥٢ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ، ص ١٠٢١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٨٧٨ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٢٨٢ .

(٤) البكري ، المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٥) المصعب الزبيري ، كتاب نسب قريش ، ص ٢٤٦ ، الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ج ١ ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٢ ، ص ٢٤٣ .

(٧) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ١٤٠ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١١٣٠ .

(٨) نفس المصدر ، ص ١١٥٠ .

(٩) الحربي ، كتاب المناسك ، ص ٣٤٩ .

(١٠) الفيروز أبادي ، المغانم المطابة في أخبار طابة ، ص ٢٩٠ .

وزرع النخيل أيضاً في حصن العشيرة بين ينبع وذي المَرْوة الذي يفضل تمره على سائر تمور الحجاز عدا الصيحاني بخيبر والبرني والعجوة في المدينة[1] . وزرع النخيل أيضاً في ضيعة سعيد بن العاص على بعد ثلاثة أميال من المدينة[2] وخيبر موصوفة بكثرة التمر والنخل حيث يعتبر التمر الصيحاني فيها من أجود تمور الحجاز ، وقد ضرب بها المثل في كثرة انتاج التمور ؛ فيقول حسان بن ثابت :

إنّا ومن يهدي القصايد نحونا كمستبضع تمراً إلى أرض خيبرا[3] .

ومن المناطق المجاورة للمدينة المنورة التي اشتهرت بإنتاج التمور القُفّ ، وهو واد من أودية المدينة[4] والصفراء[5] والرحضية[6] . وتزرع النخيل بكثرة أيضاً في وادي القرى[7] وفدك[8] وبديع[9]

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٨١ - ٦٨٢ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ج ٤ ، ص ١٢٦٦ ، يوسف خوري ، جزيرة العرب كما ذكرها الجغرافيون العرب ، مجلة الأبحاث ، السنة ٢١ ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٧ .

(٢) الزبيري ، كتاب نسب قريش ، ص ١٧٦ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، مخطوط معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ص ٣٦٤ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ ، ابن بدران ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، ج ٦ ، ص ١٤٢ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٠٥ ، ص ٦٨٢ . وفي مجمع الأمثال للميداني ، ج٢ ، ص ١٥٣ قال النابغة الجعدي :

وإنّ أمرأ أهدى اليك قصيدة كمستبضع تمراً الى أرض خيبرا .

(٤) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ، ص ١٠٨٧ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٢٩١ .

(٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٤١٠ ، عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٣٩٨ ، البكري ، المصدر السابق ، ص ٨٣٦ . وانظر :

Al —Wohaibi , The Northern Hijāz , p. 237.

(٦) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٢٧ ، ٤٣٨ ، البكري ، المصدر السابق ص ٩٠٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧٦٨ .

(٧) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٤٤٢ . البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ، قسم ٢ ص ٢٩ . المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٤ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣١ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٩٢ .

(٨) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٧٦ ، أبو علي الهجري ، التعليقات والنوادر، النسخة الهندية ، ص ٤٤٤ ، السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١١٨٧ .

(٩) الحربي ، المناسك ، ص ٥٤٢ ، أبو علي الهجري ، المصدر السابق ، ص ٤٤٤ .

وتيماء[1] ، والبَرْدَان[2] ، كما يزرع النخيل في ثَنِية الشَرِيد في المدينة التي اشتراها معاوية بن أبي سفيان [3] ومن البلدان التي اشتهرت بكثرة نخلها وجودة تمرها المروة[4]، وساية[5]، ومران[6] ويليل بوادي ينبع[7]، ورَابِغ[8] ، وبَدْر[9] ، وقُبَاء[10]، والسَّيالة[11]، والسقيا[12]، وإرَن ، والأكحل[13] ، والأفراق في المدينة وكان به تمور جيدة[14] ، وكانت البَثْنَة في المدينة التي ملكها عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب أسطراً من نخل[15] ، وكذلك الكَيْدَمة[16] . كما كانت تنتج التمور في ضيعة سعيد بن عثمان بن عفان في المدينة المنورة[17] ، والسوارقية ، وقرية قِيًّا[18] ،

---

(١) البكري ، المصدر السابق ، ص ٣٣٠ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٤ .

(٢) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٩٦ ، والبردان لا يزال معروفا انظر نفس الصفحة ، حاشية ٤ .

(٣) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٦٦ .

(٤) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٣. والمروة قرية كانت مشهورة ودرست وقام على أنقاضها قرية تدعى أم زرب . انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٦٥٠ حاشية ٩ .

(٥) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٤ ، السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١٣٢١ .

(٦) الحربي ، المناسك ، ص ٦٠١ ، السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١٣٠٣ .

(٧) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٣٩٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥١١ ، السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١٣٣٣ .

(٨) الحربي ، المناسك ، ص ٤٥٦ .

(٩) نفس المصدر ، ص ٤١٩ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ٢٣١ ، ولا تزال بدر موجودة وتبعد عن المدينة حوالي ١٦٨ كيلا ، انظر حمد الجاسر ، حول الجار والشعيبة ، ص ١١٧٠ .

(١٠) الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص ٢٢٥ .

(١١) الحربي ، المناسك ، ص ٤٤٣ .

(١٢) نفس المصدر ، ص ٤٥١ ، ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص ١٧٨ .

(١٣) الحربي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٩ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ١٨٢ ، وإرَن تقع في ديار بني سليم ، ولا تزال هذه القرية موجودة الى الآن . انظر ، الحربي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٩ ، حاشية ٢ .

(١٤) نفس المصدر ، ص ١٧٦ .

(١٥) نفس المصدر ، ص ٢٢٧ .

(١٦) نفس المصدر ، ص ١١٤٥ .

(١٧) ابن حبيب ، أسماء المغتالين من الأشراف ، ص ١٦٧ .

(١٨) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٣١ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ١٠٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .

وأمج[1] والبِرْمة وهي بين خيبر ووادي القرى[2] .

أما مكة ، فقد أصبحت تنتج التمور ، بعد أن عمل معاوية بن أبي سفيان على إجراء العيون فيها . فتحولت الأراضي غير الصالحة للزراعة الى مزارع للنخيل وغيرها من المزروعات الأخرى . وقد أنشأ معاوية على هذه العيون عشرة بساتين كانت غنية بالمزروعات والنخيل[3] . كما إعتنى عبد الله ابن الزبير بإنشاء بساتين النخيل في مكة من ماله الخاص في مواضع من النقا والسليمانية مكان الحلقة اليوم في مكة الى اطراف المعابدة[4] .

وتكثر زراعة النخيل في المناطق المجاورة لمكة ، حيث توجد التربة الصالحة للزراعة والمناخ الملائم ، والمياه المتوفرة ، ومن أهم هذه المناطق المجاورة وادي تربة[5] ورنية[6] ، وخليص[7]. كما تزرع النخيل في الطائف[8] ، والمناطق المحيطة بها كعكاظ[9] ووادي مُطَار ، يروي البكري « أن بمطار أبد الدهر نخلا مرطبا ونخلا يصرم ، ونخلا مبسرا ، ونخلا يلقح »[10] ورغم المبالغة في هذه العبارة فانها تدل على أن مُطَار كان مشهورا بزراعة النخيل وإنتاج التمور . ويزرع النخيل أيضا في وادي مَرّ الظَهْران[11]،

---

(١) الحربي ، المناسك ، ص ٤٦١ ، البكري ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ .
(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧١١ .
(٣) الأزرقي ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .
(٤) أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١١٣ .
(٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ١٠٩ ، الزمخشري ، الجبال والأمكنة والمياه ، ص ٣٩ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٨٣٤ ، ووادي تربة من أشهر الأودية الآن ، وفيه قرى وسكان كثيرون ، أنظر: الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ هامش ٥ .
(٦) قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعة الكتابة ، ص ١٨٨ .
(٧) الحربي ، المناسك ، ص ٤٦١ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٧٩ .
(٨) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٢٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٩٥ .
(٩) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ، ص ٩٥٩ .
(١٠) نفس المصدر ، ص ١٢٣٧ .
(١١) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٥ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٨١ .

وعُسْفان ، والفَارِع ، وخيف ذي القبر ، وخيف ذي النعم ، ووادي مُدْرِكة وقُعَيْقُعَان ، ومعدن البُرم[1] .

أما في إقليم نجد فتكثر زراعة النخيل في منطقة اليمامة ، التي تقول المصادر بأنها أكثر تموراً من سائر الحجاز ، حتى أنها كانت تصدر كميات كبيرة من التمور الجيدة[2] .

ومن أهم البلدان التي كانت تنتج التمور في اليمامة الفلج ، وهي قرية عظيمة تنتج كميات كبيرة من التمور[3] ، ففي وادي الغَيْل بالفلج نخل كثير « به تمر يحمل الى مكة يقال له الصفري ، لا يصبر في البحر غيره لصلابته[4] . . » كما زرعت التمور في المناطق المحيطة بفلج كقرية قَرْن ، والشِطْبَتَان . والصَّدَارة[5] . ويبدو أن انتاج التمور بكثرة استمر بالفلج حتى القرن الخامس الهجري ، فيستفاد من كلام الرحالة الفارسي ناصر خسرو أن هذا الإقليم كان غنياً بالتمور والنخيل ، فقد ذكر أن جيشاً من العرب مر بالفلج وطلب من أهلها خمسمائة مَنّ ، من التمر ، فلم يوافقوا على ذلك مما جر عليهم حرباً أدت الى قطع الف نخلة[6] ، ويقول ياقوت نقلا عن الحفصي[7]

---

(١) عرام ، المصدر السابق ، ص ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٩ .

(٢) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ٢٩ . وانظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ص ٣١ ، الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٤٤ ، القلقشندي ، نهاية الأرب ص ١٧ .

(٣) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٩٠٨ .

(٤) الحربي ، المناسك ، ص ٦٢٢ ، ووادي الغيل لا يزال معروفا في اقليم الأفلاج في نجد ، ويكثر فيه تمر الصفري ، واقليم الأفلاج لا يزال كثير المياه ، كثير التمور . أنظر: الحربي ، المصدر السابق ، ص ٦٢٢ ، هامش ( ١ )

(٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، والشطبتان يسميان الآن الشِّطْبيّة والضَّبْعِيّة ، والصدارة لا تزال قرية معروفة بهذا الاسم الى هذا العصر . أنظر: الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ ، هامش ( ٣ ) ، ص ٢٣١ ، هامش ( ٢ )

(٦) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ١٤٠ ، والمَنّ ، يساوي شرعا رطلين ، كل رطل ١٣٠ درهما انظر : هنتس ، المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

(٧) ياقوت ، معجم البلدان ،ج ١ ،ص ٤١٤، ج ٣ ،ص ٦٩٩، ج ٤، ص٥٤٤ ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص ٣١٤ ، ٣٣٤ ، ٣٩٨ . والحفصي هو محمد بن ادريس بن أبي حفصة اليمامي ، عاش في القرن الثالث الهجري وهو أول من ألف كتابا عن مواضع اليمامة ، وكان هذا الكتاب من مصادر =

أن النخيل كان يزرع في العُقَير[1] ، والمَصَانِع[2] وأَهْوَى ، ووَبْرة من قرى اليمامة .

وفي قَرْقَرى ، وعَقيق بني عُقيل في اليمامة ، ومَوْقَق ، وأُكْمَة[3]. كما كانت تنتج التمور في عُكَاش[4] ، والخَرْج[5] ونَعَام[6] ، والفقي[7] ، والصَّرِيف[8] والخِصَافة[9] ، ومُويسِل[10] والرَّيْب[11] ، ومنْفُوحَة[12] ، وعَمودان[13] ، والرس[14] ،

---

= ياقوت ، وقد اكثر عنه النقل . لكن كتابه عن اليمامة لم يصلنا . انظر : مجلة العرب ، ج ٣ ، السنة : ١٣٨٩/ ١٩٦٩ ، ص ٦٦٠ .

(١) سيأتي تحديد العقير في الفصل الأول من الباب الثاني .

(٢) المصانع قرية معروفة الى هذا العهد ، وتقع جنوب مدينة الرياض . أنظر: ابن بليهد ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢١٥ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٣٤ ، ج ٣ ، ص ٧٠٠ ، ج ٤ ، ص ٦٢ ، ٦٨٨ وموقق لا تزال قرية عامرة حتى العصر الحاضر ، وتقع شمال جبل أجا ، انظر: ابن بليهد ، صحيح الأخبار ، ج ٣ ، ص ٧٤ .

(٤) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٧٠٤ ، وعكاش لايزال حتى العصر الحاضر ، أنظر: ابن بليهد ، صحيح الأخبار ، ج ٤، ص ٢٣٦ .

(٥) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٣ ، الزمخشري ، الجبال والأمكنة ، ص ٨٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .

(٦) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٧٩٤ ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص ٤١٩ .

(٧) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٥ .

(٨) الحربي ، المناسك ، ص ٥٨٧ . والصريف لا يزال معروفا في اقليم القصيم بنجد ، انظر: نفس الصفحة ، حاشية ٢ .

(٩) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٩١ .

(١٠) أبو علي الهجري ، التعليقات والنوادر ، النسخة الهندية ، ص ٢٨٤ .

(١١) نفس المصدر ، ص ١٦٤ ، والرَّيْب يعرف الآن بأسم الرين فيه قرى وسكان وعن الرين أنظر: سعد بن جنيدل ، الريم، الريب ، الرين ، مجلة العرب ج ٧ ، ج ٨ ، السنة ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م من ص ٦١٦ - ٦٢٠ .

(١٢) الزمخشري ، المصدر السابق ، ص ٢١٤ . ومنفوحة بلدة لا تزال معروفة تقع بجوار مدينة الرياض في الجنوب .أنظر: الأصفهاني ، بلاد العرب . ص ٣٦٠ حاشية ٤ .

(١٣) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٩٦ .

(١٤) نفس المصدر ، ص ٣٧ . والرس أصبح مدينة كبيرة في غرب القصيم ، أنظر: نفس المصدر ، والصفحة ، حاشية ٥ .

وأثال[١] ، وكُحَيل[٢] ، وضرية[٣] ، والقَصيم[٤] ، والشُّرَيف[٥] ، وتَمْر وتُمَير[٦] والبَالديَّة[٧] . كما كانت تنتج التمور بوفرة في مزارع عبد الله بن عامر بن كريز بنجد والمعروفة باسم النباج[٨] .

ونظراً لكثرة زراعة النخيل في نجد والحجاز ، فقد تعددت أنواع التمور ففي المدينة المنورة تعددت أنواع التمور حتى زادت على مئة وثلاثين نوعاً ، كان من أشهرها الصيحاني[٩] ، والرعلة[١٠] ، والبرني والعجوة[١١] . وفي خيبر إشتهر التمر الصيحاني[١٢] وهو أكثر جودة من الصيحاني في المدينة المنورة . وتأتي تمور حصن العشيرة في الدرجة الرابعة في الجودة ، بعد الصيحاني في خيبر والبرني والعجوة في المدينة[١٣] . كما يوجد البرني في قرية قيا بجوار السوارقية[١٤] . ومن التمور الجيدة الخمادعي ويوجد في بديع وفدك وتلك

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٧٠ ، وأثال لا تزال معروفة وهي قرية من قرى القصيم تبعد عن مدينة بريدة ، حوالي ٤٠ كيلا . وعن أثال انظر : محمد العبودي أثال : تحديده وما ورد فيه ، مجلة العرب ج ٧ ، ٨ ، السنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦ من ص ٤٨١ - ٤٩١ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢٤ ، ص ١٤٢ .

(٣) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ، ص ٨٦٠ . وضرية لا تزال قرية موجودة وسيأتي تحديدها .

(٤) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٤٠ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٨ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٩٢ .

(٦) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ٣٢٩ . وبلدة تمير لا تزال معروفة في سدير في نجد ، أما تمر فهي بلدة تسمى الآن تَمْرة بالقرب من تمير . انظر: نفس المصدر ، ص ٢٥٨ - ٩ ، حاشية ٧ ، ١ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٣٢٨ .

(٨) الحربي ، المناسك ، ص ٦٢٢ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٦٣ .

(٩) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ٧٢ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ١٠٦٣ .

(١١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ ، السمهودي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٦٦ .

(١٢) ياقوت ، المصدر السابق ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ ، السمهودي ، المصدر السابق ص ١٢٦٦ .

(١٣) ياقوت ، المصدر السابق ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ ، السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١٢٦٦ .

(١٤) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٣١ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ص ١٠٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .

الأعراض[1] .

أما أنواع التمور في منطقة نجد ، فقد تعددت في إقليم اليمامة وتنوعت وأجودها البردي ، والزرقاء ، والجدامية[2] . وهناك أنواع من التمور أقل جودة كالصفرقان ، والحضري ، والهجنة ، والصفراء ، والقعقاعي ، واللصف والصفر ، والصفايا ، والتعضوض ، والعماني ، والجعاب ، والمري ، وخرائف بني مسعود ، والصرفان ، والزغري ، والصنعانة[3] . أما في وادي الغيل بالفلج فكانت توجد أنواع من التمور ، كالصفري [4] ، والسري واللصف ، والفحاحيل ، والمجتني ، والجعادي ، والشماريخ والمشرخ والبياض والسواد والبرني [5] .

ومن المحاصيل الزراعية الأخرى الحبوب ، وتأتي في الدرجة الثانية بعد التمور ، وكانت تزرع على نطاق واسع في أغلب نواحي نجد والحجاز ، لأنها تعتبر من المحاصيل الغذائية الرئيسية التي يعتمد عليها السكان . ففي المدينة المنورة زرعت الحنطة في مزارع طلحة بن عبيد الله[6] ، ومزارع معاوية بن أبي سفيان التي تنتج من القمح سنويا مائة الف وسق[7] . وزرع القمح أيضا في المناطق المجاورة للمدينة كوادي الصحن[8] ، ووادي بيضان[9] . كما زرع في المناطق المجاورة للطائف كبلدة تربة[10].

---

(١) أبو علي الهجري ، التعليقات والنوادر ، النسخة الهندية ، ص ٤٤٤ .

(٢) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٣٠ .　　(٣) نفس المصدر ، ص ٢٩ .

(٤) الحربي ، المناسك ، ص ٦٢٢ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٧ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٠٧ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٣ ، قسم ١ ، ص ١٥٨ ، الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢٠٢ .

(٧) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ ، ٢٥٠ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ١ ، ص ١٢٧ ، الكتاني ، التراتيب الادارية ، ج ٢ ، ص ٥٠

(٨) عرام ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٣٥ . الفيروز أبادي ، المغانم المطابة ، ص ٢١٦ .

(٩) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٣٥ .

(١٠) أبو علي الهجري ، التعليقات ، النسخة المصرية ، لوحة ١٨٦ ، حمد الجاسر ، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ، ص ٢١٤ .

أما في منطقة نجد ، فكان القمح يزرع في منطقة اليمامة التي اشتهرت بجودة انتاجها منه حتى أنها كانت تصدره الى الأقاليم والبلدان القريبة منها كالحجاز[١] . كما كان يزرع في بلاد بني نمير كعكاش في الشريف بنجد[٢] والتي كانت تزرع الشعير أيضا[٣] . وتكثر زراعة الشعير في إقليم الحجاز ، فيزرع في بلدة إرن في بلاد بني سليم[٤] . كما تكثر زراعته في ضواحي المدينة المنورة كوادي بيضان ووادي الصحن [٥] ، وفي ضواحي الطائف كوادي تربة [٦] . أما السمسم فكان يزرع في قرية العرج بالطائف[٧] . ومن المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع في الحجاز ، وتستعمل علفاً للحيوان القت ( البرسيم ) ، فكان يزرع في المدينة المنورة ، فيروي وكيع أن محمد ابن عمران ، قاضي المدينة في أواخر العصر الأموي ، كان له ضيعة في المدينة مليئة بالقت[٨] . ويزرع القت أيضا في أودية المدينة المنورة المجاورة مثل وادي بيضان[٩] .

وكانت تزرع الحبوب أيضاً في ضواحي مكة[١٠]، والطائف[١١]، ووادي القرى[١٢] ومعدن البرم[١٣]، ومران[١٤]، وقعيقعان[١٥]،

(١) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ٢٩ . (٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٠٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٧٠٤ .

(٤) أبو علي الهجري ، التعليقات والنوادر ، النسخة الهندية ، ص ٤٠٢ .

(٥) عرام ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٣٥ ، الفيروزأبادي ، المغانم المطابة، ص ٢١٦ .

(٦) الهجري ، التعليقات ، النسخة المصرية ، لوحة ١٦٨ ، الجاسر ، أبو علي الهجري ، وأبحاثه في تحديد المواضع ، ص ٢١٤ .

(٧) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج ٢ ، ص ٥٧٤ .

(٨) وكيع ، اخبار القضاة ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

(٩) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٣٥ .

(١٠) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ ، أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ١١٤ .

(١١) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٢٥ ، محمد سعيد كمال ، الطائف ، ص ٢٢ .

(١٢) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج ١ ، ص ٤٤٢ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٣٧٧ .

(١٣) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٩ .

(١٤) نفس المصدر ، ص ٤٣٨ .

(١٥) نفس المصدر ، ص ٤١٩ .

والسيالة[١] ، ومُهَايع[٢] والعقيق في المدينة [٣] ، والسوارقية[٤] ، والنباج[٥] ، والخرج[٦] ، وضرية[٧] ، وقرقرى[٨] ، والصفراء[٩].

أما الفواكة والخضروات فكانت تزرع في أغلب مناطق نجد والحجاز ، ففي مدينة الطائف انتشرت زراعة الكروم ، فكانت تنتج كميات كبيرة يحول أكثرها الى زبيب[١٠]. وكان لعمرو بن العاص بستان للعنب بقرية الوهط في الطائف ، يعرش على مليون خشبة ، وكان ينتج كميات هائلة من العنب ، لدرجة أن سليمان بن عبد الملك لما زاره ، ورأى بيادر الزبيب مجتمعة في وسطه ظن أنها حرار سوداء[١١].

ويروي الرشيد بن الزبير أنه غرس فيه مليون شجرة عنب[١٢]. وكان

---

(١) الحربي ، المناسك ، ص ٤٤٣ .

(٢) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤١٤ .

(٣) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص ٣١٣ .

(٤) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤١٩ .

(٥) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٠ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٨٣ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٢٨٨

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٢ .

(٩) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٣٩٨ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ، ص ٨٣٦ ، Al —Wohaibi , op. cit , p. 237

(١٠) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٧٠ ، عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٢٠ ، المقدسي ، أحسن التقاسم ، ص ٧٩ ، الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٢٦ ,

(١١) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ٢٢ ، الدينوري ، عيون الأخبار ، ج ٩ ص ٢٢٧ ، وانظر أيضا : اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ١٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ، ص ٩٤٣ - ٩٤٤ ، ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٢٢ ، العجمي ، اهداء اللطائف ، ص ٨٩ ، الكتاني ، التراتيب الإدارية ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ . لقد ذكر ابن بليهد أن الوهط موضع في أعلى وادي وَجْ بالطائف ، وهو يحمل هذا الاسم الى هذا العهد ، وقد زاره فوجد فيه مقابر عليها شواهد قبور مكتوب على كل قبر إسم صاحبه : ( فلان بن فلان السهمي ) وهي قبيلة عمرو بن العاص السهمي ، وعلى النصيبة تاريخ وفاة صاحبها ، وأكثرهم ماتوا في القرن الثاني والثالث بعد الهجرة . انظر : ابن بليهد ، صحيح الأخبار ، ج ٣ ، ص ١٠٦ ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ .

(١٢) الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢٠٥ .

لعبد الله بن عباس ضيعة في الطائف تنتج كميات كبيرة من العنب[١] . وكان للطائف شهرة كبيرة في إنتاج العنب ، يقول مسلمة بن عبد الملك بن مروان بأنها « معدن العنب والزبيب »[٢] وتزرع الكروم أيضا في جبال السروات[٣] .

أما في المدينة المنورة فقد زرع العنب في ثنية الشريد ، التي اشتراها معاوية بن أبي سفيان ، وكانت كما يقول ابن زبالة « أعناباً لم ير مثلها »[٤] . وتزرع الكروم أيضا في المناطق المجاورة للمدينة مثل بدر[٥] ، وساية[٦] ، والسوارقية[٧] ، وتيماء[٨] .

أما الرمان فزرع في الطائف بكثرة[٩] ، وكانت قراه المحيطة به كالعرج تنتج كميات كبيرة منه[١٠] . كما كثرت زراعة الرمان في ضواحي مكة[١١] ،

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٧٠ .
(٢) الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص ١٩٩ .
(٣) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٧ .
(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٦٦ . وابن زبالة هو محمد بن الحسن ابن زبالة ، أحد أصحاب الإمام مالك بن أنس ، وشيخ الزبير بن بكار ، وهو أقدم من أرخ للمدينة ، فألف كتابه «أخبار المدينة» سنة ١٩٩ هـ ، ولم يذكر له غيره وقد فقد هذا الكتاب ، ولكن بقيت منه نصوص نقلها المتأخرون ، أنظر: صالح أحمد العلي ، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد ١١ ، بغداد : ١٩٦٤م ، ص ١٢٧ .
(٥) الحربي ، المناسك ، ص ٤١٩ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ٢٣١ .
(٦) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٧ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ج ٤ ، ص ٢٣١ .
(٧) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٣١ ، البكري ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .
(٨) البكري ، المصدر السابق ، ص ٣٣٠ .
(٩) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٧ ، ص ١٢٣ ، عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٢٠ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٧٩ . أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ، العيني ، عقد الجمان ، ج ١١ قسم ٣ ، ص ٤٢٧ . ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، مخطوط ، دار الكتب ، رقم ٢٢٠٤ تاريخ تيمور ، ص ٣٨٠ .
(١٠) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١ ، انظر ٤٠٢ .
(١١) مالك بن أنس ، المدونة ، ج ٢ ، ص ٤٥١ .

وورقان[١] ، وبديع[٢] ، وخيف ذي القبر [٣] ، وساية [٤] ، والسوارقية [٥] ، أما في اقليم نجد فزرع الرمان في القصيم[٦] وفي قرية سدوس التي كانت تنتج كميات كبيرة منه حتى أنه كان يباع المائة رمانة بدرهم ، وكان في غاية الجودة، ولقد عبر الحربي عن كثرة الرمان في سدوس بقوله: «لو وردتها الف راحلة ما تبين ما يخرج منها»[٧] . ويقول ياقوت نقلا عن السكوني عن قرية سدوس بأنها أخصب قرى اليمامة ، ولها رمان موصوف[٨] .

أما الموز فكان يزرع في المدينة المنورة ، وعندما حج سليمان بن عبد الملك وزار المدينة ، أهدى اليه خارجة بن زيد بن ثابت ألف عذق موز[٩] . ويزرع الموز أيضا في المناطق المجاورة للمدينة كبدر[١٠]، وساية[١١]، والسوارقية[١٢] أما في قطائع آل الزبير في وادي رهاط فكان يوجد ألفا سقية من الموز والنخل والأترج ، وكان يحمل ثمرها الى ذات عرق والطائف ومكة[١٣]. كما يزرع الموز في الطائف وقراه المجاورة كقرية مطار وخيف ذي القبر[١٤].

---

(١) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٤ ، ص ١٣٧٧ .
(٢) الحربي ، المناسك ، ص ٥٤٢ .
(٣) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٤ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٤١٤ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٢٣١ .
(٥) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٣١ ، البكري ، معجم ما استعجم، ج ١ ، ص ١٠٠ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .
(٦) الحربي ، المناسك ، ص ٥٨٦ .
(٧) نفس المصدر ، ص ٦١٧ .
(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٨٤ .
(٩) الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ١١ .
(١٠) الحربي ، المناسك ، ص ٤١٩ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ٢٣١ .
(١١) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٤ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٢٣١
(١٢) عرام ، المصدر السابق ، ص ٤٣١ ، البكري ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .
(١٣) الحربي ، المناسك ، ص ٣٤٩ .
(١٤) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤١٤ ، ٤٢٠ .

أما التين ، فكان يزرع في بعض أنحاء الحجاز ، كالسوارقية [١] ، وقُدُس [٢] ، وتيماء[٣] ، وشَمَنْصِير[٤] ، أما في نجد فزرع التين في بلاد القصيم[٥] ، وفي مويسل في أجا ببلاد طيء[٦] ، أما السفرجل والخوخ فقد زرعا في السوارقية[٧] ، وزرع الخوخ أيضا في بلاد القصيم بنجد[٨] . وزرع الزيتون في مدينة الطائف حيث استخرج منه الزيت[٩] . كما اشتهرت الطائف بزراعة شجر التوت في قرية الوهط[١٠]، التي كانت تمون مكة بالفاكهة ، ويذكر ابن المجاور بأن قرية الوهط التي كانت غنية بالكروم والفواكه في العصر الأموي لم يبق من أشجارها في القرن السابع الهجري سوى شجرة توت[١١]، أما قصب السكر فزرع في جبال السروات بالحجاز[١٢] .

أما البطيخ والقثاء فقد عرفت زراعته في نواحي نجد والحجاز ، فتذكر المصادر أنه كان يزرع في بلدة ضرية[١٣] . وتزرع البقول والبطيخ أيضا في وادي يَلْيل[١٤] ، ونَهْب الأعلى[١٥] . وكان يزرع في مكة الكراث والخس

---

(١) نفس المصدر ، ص ٤٣١ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ١٠٠ ، ياقوت معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .

(٢) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٤ ، ص ١٢٨٧ .

(٣) البكري ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(٤) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٠٩ ، وشمنصير : جبل عظيم يتصل بحرة سليم ، ولا يزال معروفا بهذا الاسم في الحجاز ، انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٤٦٠ ، هامش ٢ .

(٥) الحربي ، المناسك ، ص ٥٨٦ .

(٦) أبو علي الهجري ، التعليقات والنوادر ، النسخة الهندية ، ص ٢٨٤ .

(٧) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٣١ ، البكري ، معجم ما استعجم ج ١ ، ص ١٠٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .

(٨) الحربي ، المناسك ، ص ٥٨٦ .

(٩) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٢

(١٠) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٢٢ .

(١١) نفس المصدر ، ص ٢٢ ، محمد سعيد كمال ، الطائف ، ص ٢٢

(١٢) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٧ .

(١٣) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٩٩ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ، ص ٨٦٦ .

(١٤) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٣٩٨ ، البكري ، المصدر السابق ، ص ٨٣٦ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥١ .

(١٥) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٠٣ .

والسلق [١] أما القرع ، فتذكر المصادر أنه كان يزرع في ضيعة علي بن أبي طالب في ينبع[٢] . ويزرع الكراث والثوم في مزارع عبد الله بن عامر بن كريز في النباج بنجد[٣] .

## ٥ ـ أثر الآفات والفتن على الزراعة :

لا تمدنا المصادر بمعلومات مفصلة عن الأوبئة والآفات التي تعرضت لها الزراعة في نجد ، والحجاز ، لكن بعضها تتضمن ما قد يعطي فكرة عامة عن هذه الأوبئة الزراعية فيذكر الزبير بن بكار أن الجراد أتلف المحاصيل الزراعية في المدينة في العصر الأموي ، ولم يسلم منه الا نخل عامر بن عبد الله بن الزبير[٤] . وفي عهد هشام بن عبد الملك ، أصاب أهل المدينة آفة في مزروعاتهم ، مما أدى الى أن طلبوا من هشام بن عبد الملك ، أن يضع عنهم خرص ثمارهم ففعل[٥] . لكن المصادر لا تسمي لنا هذه الآفة ونوعيتها . ويبدو أن هذه الآفة انتشرت في فترة الجفاف التي تعرضت لها الحجاز في عهد هشام بن عبد الملك واستمرت عدة سنوات ، حتى أتلفت المحاصيل الزراعية التي تعتمد على الأمطار[٦] . وفي جبال السروات ، حيث يزرع قصب السكر ، كانت هذه الجبال مأوى للقرود التي كانت تفسد على أهل السروات الكثير من إنتاجهم[٧] .

ومن المشكلات الأخرى التي عانت منها الزراعة ، مشكلة زحف الرمال

---

(١) مالك بن أنس ، المدونة ، ج ٢ ، ص ٤٥١ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦١ .

(٢) المبرد ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ، ص ٦٥٧ .

(٣) أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

(٤) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٣٩٥ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢٣ ، ص ٢٣٧ ، النويري ، نهاية الأرب ، ج ١٩ ، ورقة ١٥٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٣٥ .

(٦) الزبير بن بكار ، المصدر السابق ، ص ٢٦٦ .
Ali , Muslim Estates in Hidjāz , p. 260

(٧) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٧ .

على الأرض الزراعية[١] ، إضافة الى السيول الجارفة التي تجرف التربة وتغمر المنتجات الزراعية ، فتغرقها ، كسيل الجحاف سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م ، الذي دمر كل شيء مر به ، فهدم الدور وقتل الأنفس ، ودمر طرق المواصلات وكان ذلك في عهد عبد الملك بن مروان[٢] .

ولا ريب أن الفتن الداخلية التي راح ضحيتها عدد كبير من الأهلين تركت أثراً كبيراً على الزراعة كموقعة الحرة التي قتل فيها عدد كبير من أهل المدينة[٣] . وتعرضت الحجاز للفتن خلال الحروب التي استمرت بين عبد الله بن الزبير وبين بني أمية ، وقد قتل في هذه الحروب عدد كبير من أهل الحجاز[٤] . وتعرضت نجد لحركة الخوارج في اليمامة ، بقيادة نجدة بن عامر الحنفي التي عبثت بالأمن، ونهبت المزروعات بما فيها من الرقيق الذين يعملون فيها[٥] . وفي سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٦م داهم الخوارج الحجاز بقيادة أبي حمزة الخارجي فحدثت بينهم وبين أهل المدينة معركة قُدَيْد التي قتل فيها أكثر من ألفي رجل[٦] . لقد أفنت هذه الحروب طاقات بشرية أثرت على

---

(١) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٣٩٨ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ، ص ٨٣٦ ، ياقوت معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥١١ .

(٢) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٣٩٦ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٧٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٣٢٥ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٢ ، ص ٢١٩ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٤١٧ ، الكتبي ، عيون التواريخ ، ج ٥ ، ص ١٠٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ٣١ الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٥ ، ص ٢٠٥ . أحمد حديد ، السيول في منطقة مكة المكرمة ، المجلة التاريخية ، العدد الثالث بغداد : ١٩٧٤ ، ص ٣٤٤ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ ، سرور ، الحياة السياسية في الدولة العربية ، ص ١٠٨ . ويقول الزهري بأن قتلى موقعة الحرة بلغ عشرة آلاف وسبعمائة من قريش والأنصار والموالي والرقيق انظر : السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ١ ص ١٣٢ .

(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ص ١٨٨ - ٢٠٤ ، ٣٦١ وما بعدها

Gabrieli , Muhammad and the Conquests of Islam , London , 1968 , p. 100.

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٣٥٢ . النويري ، نهاية الأرب ، ج ١٩ ، ورقة ١٤ .

(٦) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٨ ، ص ٣٧٨ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢٣ ، ص ٢٢٤ ، العيون والحدائق ، ص ١٦٩ . وقديد واد قرب المدينة المنورة لايزال معروفا ، وفيه قرى صغيرة ، وكان طريق =

الناحية الاقتصادية ، ولا بد أن عددا ممن قتل في هذه الحروب كان يعمل في الزراعة إضافة الى أن اضطراب الأمن يؤدي الى كساد الانتاج .

## ٦ ـ طرق التعامل الزراعي :

لقد كان جل سكان حواضر نجد والحجاز يعملون في الزراعة ومنهم من كان يمتلك الأراضي الواسعة التي زرعها لحسابه الخاص باستخدام الرقيق ، كما فعل سعيد بن عثمان بن عفان عندما استخدم ثلاثين رقيقا للعمل في مزارعه في المدينة[١] ، وكما فعل معاوية بن أبي سفيان عندما وضع أربعة آلاف من الرقيق وأسرهم للعمل بالزراعة في ماله بالخضارم في إقليم اليمامة في نجد[٢] . ومن الملاك من كان يزارع على الأرض غيره كأن يدفع له خمس المحصول ، أو ثلثه أو ربعه ، أو نصفه مما تنتجه الأرض[٣] . ومنهم من كان يؤجر أرضه بالدنانير والدراهم ، كما فعل عبد الله بن عمر[٤] . وعروة بن الزبير الذي أكرى أرضاً له أربع سنين بثمانين دينارا[٥] . أما أصحاب الأملاك الصغيرة فكانوا يقومون على زراعتها بأنفسهم[٦] .

## ٧ ـ الرعي وتربية الماشية :

كانت أغلب الأراضي الصالحة للرعي والقريبة من مدن نجد والحجاز تستغل في انتاج المحاصيل الزراعية لخصوبة تربتها ، الا أن بعض سكان

---

= المدينة الى مكة يمر به لكنه الآن يقطع أسفل الوادي بعيداً عن قرى قديد ، انظر الحربي ، المناسك ، ص ١٤٥ ، هامش ٣ .

(١) محمد بن حبيب ، أسماء المغتالين من الأشراف ، ص ١٦٧ ، البلاذري أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ١١٩ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٣٥٢ ، النويري ، نهاية الأرب ، ج ١٩ ، ورقة ١٤ .

(٣) مالك بن أنس ، المدونة ، ج ١٢ ، ص ٢ ـ ٣ ،

Ali , Muslim Estates in Hidjaz , p. 253

(٤) مالك بن أنس ، المدونة ، ج ١١ ، ص ٥٤٦ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٥٤٦ .

(٦) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٣ ، ص ١٠٩٦ .

المدن كان لهم نشاط في تربية الإبل والخيل والأغنام[١] ، فيروي السمهودي أنه كان لأهل المدينة مائتا راع[٢] ، يرعون مواشيهم ما تنبته مناطقهم من الأعشاب الرعوية . وكان الرعاة يتعرضون أحيانا لهجوم الخارجين على الدولة فيأخذون ما معهم من الماشية ، فيروي أبو نعيم أن أصحاب نجدة بن عامر الحنفي مروا على إبل ترعى لعبد الله بن عمر فاستاقوها مع راعيها[٣] .

أما بوادي نجد والحجاز فكانت مجالاً لنشاط القبائل البدوية التي كانت تمتلك القطعان الكبيرة من الإبل والخيل والأغنام ، وينتقل بها الرعاة في البوادي بحثا عن المراعي الخصبة[٤] وطلباً لمساقط الغيث والكلأ ، حيث الماء والعشب والخصب ، يروي الأصفهاني أن بني قشير عندما جاء الربيع إنتجعوا أرضا في نجد « قد نضرها غيث فأخصبها »[٥] . ويروي البكري أن بني عامر كانوا يتصيفون الطائف لطيب ثمارها ، ويتشتون بلادهم من أرض نجد لسعتها وكثرة مراعيها[٦] . كما استقر قسم من قبيلة بني نمير في سرة نجد في منطقة الشريف نظراً لما تمتاز به من كثرة الأعشاب التي ترعاها الأغنام والأنعام[٧] ، وكان يتولى رعاية هذه القطعان من الماشية رعاة القبيلة[٨] .

والواقع أن هذه الثروة من القطعان التي كانت تمتلكها القبائل البدوية تعتبر مقياس الغنى والفقر لدى القبائل نظراً لاعتماد حياتهم عليها ، فهم

---

(١) المبرد ، الكامل ، ج ١ ، ص ١٦٧ ، ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ج ١ ،ص ٣٤٠ ،السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٦٢ ، ١٠٩٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٠٩٤ .

(٣) أبو نعيم ، حلية الاولياء ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢٠ ، ص ١٩٩ .

(٥) نفس المصدر ، ج ١٩ ، ص ١٠٣ .

(٦) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(٧) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج ٢٤ ، ص ٢٠٩ ، ياقوت ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص ٢٧٣ ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

(٨) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٢٤ .

يشربون ألبانها ، ويأكلون لحمها ، ويكتسون من أوبارها وجلودها . لذلك كانت القبائل البدوية في حاجة مستمرة الى التنقل بحثاً عن المراعي الخصبة التي تستطيع قطعان الماشية أن ترعى فيها مما أدى الى نشوء المنافسات القبلية على هذه المراعي الخصبة ، وان كان من المؤكد أن هذه المنافسات لم تكن قوية ، بسبب نهي الاسلام عن الأخذ بالثأر ، وتحول حقه من أيدي الأفراد الى يد الدولة(١) . كما كان ولاة بني أمية في نجد والحجاز حريصين على مراقبة القبائل وعقاب المخطئين منهم(٢) .

وتتضمن المصادر أحيانا اشارات تدل على الثروة الحيوانية التي كانت موجودة وقتذاك . فيروى أن عبد الله بن صفوان بن أمية أهدى معاوية بن أبي سفيان عندما حج ألفي شاة(٣) . ويذكر ابن قتيبة أن ابن ميناء كان يتولى أموال معاوية بن أبي سفيان في الحجاز ، وكانت لديه مجموعة من الإبل التي تسرح للرعي(٤) . وكان معاوية بن أبي سفيان يقول : أغبط الناس عيشاً مولاي سعد فكان يتربع جدة ، ويتقيظ الطائف ، ويشتو بمكة(٥) . ويروي العصامي أن معاوية بن أبي سفيان عندما حج أهدى لدارمية الحجازية من بني كنانة « مائة ناقة حمراء فيها فحولها ورعاتها »(٦) . ويذكر الرشيد بن الزبير أن سليمان بن عبد الملك عندما قدم الى المدينة سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م ، أهدى اليه خارجة بن زيد بن ثابت « ألف شاة ، ومئة أوزة ، وألف دجاجة ، ومئة جزور »(٧) . وعندما إمتدح دكين الراجز عمر بن عبد العزيز ، أثناء ولايته على المدينة ،

---

(١) شوقي ضيف ، العصر الاسلامي ، ص ١٤٩ .

(٢) الجاحظ ، المحاسن والأضداد ، ص ٦٧ . الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص ١٧٠ - ١٧٢ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٢ ، ص ١٧٠ ، ج ٢١ ، ص ٢٣٨ .

(٣) الكتبي ، عيون التواريخ ، ج ٥ ، ص ٣٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٨ ، ص ٣٢٥ ، ابن فهد ، إتحاف الورى ، لوحة ٣٣٠ .

(٤) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ١٥ ، ( طبعة القاهرة : ١٣٢٤ هـ/١٠٩٦ م ) .

(٦) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، ج ٣ ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٧) الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ١١ .

أمر له بخمسة عشر ناقة[١] . كما يروي الأصفهاني أنه كان لدكين الراجز عدد من الإبل بالفَلْج في نجد[٢] . وكان ثابت بن عبد الله بن الزبير ممن يهتمون بتربية الإبل فيروي الزبير بن بكار أنه كان صاحب إبل ، وقد اشترى مرة من سكينة بنت الحسين جارية بمئة ناقة[٣] . وكان لمحمد بن عمران عدد من الإبل التي كان يستخدمها في ضيعته[٤] .

ويروي الأصفهاني أن جبيهاء الأشجعي كان يربي الابل في بادية الحجاز[٥] . وعندما مدح الشاعر نصيب عبد الله بن جعفر أهدى اليه خيلاً وإبلاً[٦] . ويروي الزبير بن بكار أن أبا عبيدة بن عبد الله بن زمعة كان إذا صدر الى الفرش في وقت الربيع ذهب بإبلٍ وغنم ودجاج كثير[٧] . أما ابراهيم بن هشام المخزومي فكان له في حمى ضرية من كل لون من ألوان الإبل الف بعير[٨] . ويروي الأصفهاني أن ثور بن الصمة القشيري كان كثير المال والإبل ، وكانت إبله ترد مع الرعاء على عين لأخيه يزيد في الفَلَج لتشرب منها[٩] .

وقد اهتم بعض السكان بتربية الأغنام ، فقد كان بنو مرة يقطنون الحرة بالقرب من المدينة المنورة ، وكانوا يهتمون بتربية الأغنام[١٠]. ويروي

---

(١) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج ٢ ، ص ٦١٠ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٩ ، ص ٢٦١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٦١ ، والفلج يعرف الآن باسم الباطِن . انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٥٣٥ ، حاشية ١ .

(٣) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ج ١ ، ص ١١٥ - ١١٦ .

(٤) وكيع ، اخبار القضاة ، ص ١٩٧ .

(٥) الأصفهاني ، الاغاني ، ج ١٨ ، ص ٩٥ .

(٦) المبرد ، الكامل ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

(٧) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ج ١ ، ص ٤٨٦ ، والفرش هو فرش ملَلَ ، ويبعد عن المدينة ثلاثين ميلا . انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٤٤١ .

(٨) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٩٤ .

(٩) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٨ ، ص ١٧٦ .

(١٠) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٣١٨ .

الأصفهاني أن عروة بن أذينة كان نازلاً في العقيق ، وكانت عنده أغنام يتولى رعايتها راع اسمه كعب[١] . وفي أواخر العصر الأموي ، كان عند عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز في قصره في البُطْحَان بالقرب من المدينة المنورة ، غنم كثيرة كان يستخرج منها اللبن والزبد[٢] . كما اهتم بعض الاهالي بتربية الطيور المنزلية الأليفة كالحمام والدجاج والإوز[٣] .

أما الخيل فكانت تربى في بادية نجد والحجاز ، وكان يأتي بها البدو لبيعها في حواضر المدن حتى أنه كان في المدينة سوق يطلق عليه سوق الخيل[٤] . ويروي عرام أنه كان لبني سليم في السوارقية خيل وأغنام وإبل كثيرة[٥] ، وكانوا يجلبون الخيل لبيعها في المدينة المنورة[٦] . ويروي الزبير ابن بكار أن بني مصعب بن الزبير كانوا يهتمون بتربية الخيل في الحجاز[٧] . ويستشف من رواية الـفيروزأبادي أن الخيل كانت تربى في منطقة نجد[٨] ، ويدلّنا على إهتمام أهل المدينة بتربية الخيل واقتنائها ما رواه الأصفهاني من أن هشام بن عبد الملك عندما زار المدينة ، طلب تنظيم سباق للخيل بها [٩] .

أما الأبقار ، فقد كان أهل الحجاز يملكون عددا منها ، ويستفاد من رواية الامام مالك أن الأبقار كانت تباع في سوق المدينة ومكة[١٠]. ويبدو أن

---

(١) نفس المصدر ، جـ ١٨ ، ص ٣٢٦ .
(٢) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ١٠٦٢ .
(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٨٩ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، جـ ١ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ١١ .
(٤) البسوي ، المعرفة والتاريخ ، جـ ١ ، ص ٥٠٢ .
(٥) عرام ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٣١ - ٤٣٢ .
(٦) السمهودي ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٥٤ .
(٧) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٣٤٠ .
(٨) الفيروز أبادي ، المغانم المطابة ، ص ٩٦ .
(٩) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١١ ، ص ١٩٣ .
(١٠) مالك ، المدونة ، جـ ٣ ، ص ٩٤ .

أهل المدينة قد استفادوا من الأبقار في حرث الأرض لزراعتها .

أما الإبل فقد استفيد منها في جوانب الحياة الاقتصادية المختلفة فقد كانت النجائب تكرى للتنقل فيما بين مكة والمدينة[١] . ويذكر اليعقوبي أنه كان لعلي بن الحسين إبل تحمل الفاكهة من الشام الى المدينة[٢] . وقد استخدمت الإبل والثيران في جر العجل التي كانت تحمل الأحجار لبناء المساكن في مكة[٣] . أما في مجال الزراعة فقد استخدمت الإبل في نقل الماء من الآبار لري الأراضي الزراعية ، وكانوا يسمونها الإبل النواضح ، فيروي السمهودي أن عنبسة بن سعيد بن العاص كان يستخدم أربعين بختياً لري مزارعه[٤] .

وقد إستخدم الرقيق في رعي الماشية مع أبناء القبيلة نفسها فيروي الزبير بن بكار أن بني عبد الله بن الزبير ، خبيب وحمزة وعباد وثابت ، كانوا عند جدهم منظور بن زبان بالبادية يرعون عليه الابل كما يفعل عبيده[٥] . وكان لعبد الله بن عمر إبل يرعاها غلام له[٦] . كما كان رؤبة بن العجاج يرعى إبل أبيه ، ويجوب بها المراعي الخصبة[٧] . وكان لخداش بن بشر ابنان يرعيان له الإبل[٨] . وكان معبد مملوكاً لآل قطن من موالي بني مخزوم ، يرعى لهم الغنم بظهرة الحرة[٩] ، كما كان الشاعر نصيب يرعى إبل

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ . أما عن وسائل الانتقال التي كانت مستخدمة في نجد والحجاز في العصر الأموي فانظر الفصل الثاني من الباب الثاني .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ .

(٣) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٣٩٦ .

(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ١٠٥١ .

(٥) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٨٠ .

(٦) أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ .

(٧) البغدادي ، خزانة الأدب ، جـ ٢ ، ص ٤٠ .

(٨) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، جـ ١ ، ص ٤٩٨ .

(٩) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٣٩ ، ٤١ .

مواليه[١] ، وكانت ميادة ترعى الابل لسادتها[٢] . أما الشاعر جرير فقد أعطاه عبد الملك بن مروان ثمانية ( أعبد ) لكي يرعون عليه إبله[٣] . وكان العبد سحيم يرعى إبل مواليه في المدينة المنورة[٤] . وتذكر المصادر أن الشاعر ذا الرمة كان يجيد رعي الابل[٥] .

وقد انتشرت المراعي الخصبة في نجد والحجاز كمرعى المَروت ونَمْلَى[٦] ، وضَلْفَع بالقرب من حمى ضَرِيّة[٧] ، علاوة على مناطق الحمى القديمة كحمى ضرية وحمى فَيْد ، وحمى النَقيع ، وحمى الرَبَذَة[٨] . وكان للشرف ـ الذي هو كبد نجد ـ أهمية كبرى كمرعى فيقول الأصمعي « من تصيف الشَّرَف وتربع الحزن وشتى الصمان فقد أصاب المرعى » [٩] . ويقول البكري عن ضرية بأنها أرضٌ منبات كثيرة العشب[١٠] . ويروي الحربي بأنه كان يوجد في الربذة « حشيش أخضر لا يجف ولا يتغير شتاء ولا صيفاً »[١١]. ويقول الهمداني : وينبت بنجد عدد من الأعشاب التي ترعاها الابل فمن ذلك الحمض والسحاء[١٢]. أما إقليم اليمامة بنجد فكان يوجد به المراعي الخصبة الطيبة ، يقول ابن الفقيه : « وأما لحم اليمامة فانه يطيب لطيب

---

(١) نفس المصدر ، ص ٣٣١ .

(٢) نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٢٦٥ .

(٣) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، ص ٤٢٠ ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء جـ١ ، ص ٤٦٨ .

(٤) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ١ ، ص ٣٣٩ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٨ ، ص٧ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ٣ ص ٣٢٥ .

(٦) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ١٢٩ ، ٣٦٥ .

(٧) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٨ ، وضرية لا تزال قرية موجودة وتبعد عن المدينة حوالي ( ٢٥٠ ) كيلومتراً تقريباً ، انظر : عمر دراز ، الحمى في شبه الجزيرة العربية ، ص ٢١١ .

(٨) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ٣ ، ص ١٠٨٢ ، ١١٠٢ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، والحمى موضع من الموات ، يمنع التعرض له ليتوفر فيه الكلأ ، فترعاه مواشٍ مخصوصة . نفس المصدر ، ص ١٠٨٢ .

(٩) نفس المصدر ، ص ١٠٩١ .

(١٠) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ٣ ، ص ٨٦٠ . الحربي ، المناسك ، ص ٥٩٥ .

(١١) نفس المصدر ، ص ٣٢٧ .

(١٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٢ .

مراعيهم »[1] .

لقد حمى رسول الله ( ص ) حمى النقيع لخيل المسلمين التي يغزى عليها ، واستمر ذلك في عهد أبي بكر الصديق[2] ( رضي الله عنه ) . وعندما تولى عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) استمر في حماية النقيع لخيل المسلمين وحمى الربذة وضرية لابل الصدقة ومواشيها[3] . ويروي السمهودي أن عمر بن الخطاب استعمل مولى له يدعي هني على الحمى فقال له : « يا هني ضم جناحك للناس ، واتّق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة ، وأدخل رب الصريمة والغنيمة ، واياك ونعم ابن عفان وابن عوف فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان الى نخل وزرع . . . ولولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت على المسلمين من بلادهم شبرا[4] » . ويستنتج من هذا النص أن الهدف من الأحماء هو حسن استغلال المراعي بما يحقق المصلحة العامة للمسلمين ، كما أن الخليفة هو الذي يقرر وسائل استخدامها فله أن يسمح لبعض الناس باستخدامها وخاصة الفقراء وأصحاب الابل والغنم القليلة التي يعتمدون عليها في معاشهم وكان حمى ضرية يمتد الى مسافة ستة أميال من كل ناحية من نواحي ضرية[5] ، وقد زيدت مساحة الحمى بعد ذلك في عهد ء ـان ( رضي الله عنه ) وذلك عندما زاد عدد ما به من الجمال على

---

(١) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٣٠ .

(٢) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ١٠٨٣ . لقد زار الدكتور عمر دراز عندما كان يعمل خبيراً للمراعي في المملكة العربية السعودية حمى النقيع الذي حماه الرسول ( ﷺ ) ولاحظ الفارق الكبير بين حالته أيام الرسول ( ﷺ ) كما وصفت في كتاب « وفاء الوفاء » من أنه كان ينبت البقل والطرائف ويغيب فيه الراكب . . ( انظر ، ص ١٠٨٤ ) ، وبين حالته الآن ، وقد وجد الخبير أن ما ذكر من الأنواع النباتية لا زال الى الآن ينبت في نفس الوادي ، غير أنها تبدو ضئيلة الحجم ، قليلة العدد لا تخفي راكباً ولا جالساً ، نظراً لإساءة استعمالها بالرعي الجائر وتقطيع الشجر ، انظر عمر دراز ، الحمى في شبه الجزيرة العربية ، مجلة العربي ، العدد ٢١١ ، يونيو ١٩٧٦ ، ص ٥٧ .

(٣) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٢ ، ص ٦٣٣ ، جـ ٣ ، ص ٨٦٠ .

(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ١٠٨٨ .

(٥) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٣ ، ص ٨٦٠ ، السمهودي ، وفاء الوفاء جـ ٣ ، ص ١٠٩٣ .

أربعين ألفا[١] . أما حمى فيد ، فكان احدى المراعي التي كانت تقصدها القبائل من طَيء لرعي ماشيتها في العصر الأموي ، ويرجح السمهودي أن أول من حماه عثمان بن عفان[٢] .

وقد استمرت هذه الأحماء في العصر الأموي على ما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين ، لإبل الصدقة ومواشيها ، ولم تظهر أية أحماء جديدة ، واكتفى الأمويون بتوسيع رقعتها[٣] . وكان الغرض الرئيسي من هذه الأحماء أن تكون مراعي للإبل والخيل والأغنام . إلا أن خصوبة أرضها أدت إلى العدوان عليها الأمر الذي كان يتطلب حراسة قوية من إدارة الحمى . كما أن تطور الحياة الإقتصادية والرغبة في استصلاح الأراضي الزراعية ، إمتد الى مناطق الحمى مما أدى الى تقليص مساحة المراعي فيها . لهذا كانت إدارة الحمى تواجه عدة مشكلات ، منها حماية الحمى من العدوان الذي تتعرض له من ملاك الأراضي المجاورة له ، وحل المشكلات التي قد تحدث بين الرعاة والزراع ، هذا فضلاً عن الإشراف على إبل الصدقة ومواشيها[٤] . بل إن بعض ولاة المدينة بدأوا يستفيدون من الحمى لمصلحتهم الخاصة ، لاسيما حمى ضرية فيروي السمهودي أنه « لم تزل الولاة تزيد فيه ، واتخذوه مأكله »[٥] .

لذلك رأى عمر بن عبد العزيز أن يباح الحمى لجميع المسلمين عامة ، فيروي ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز أمر بإباحة الحمى لجميع

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٠٩٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١١٠٣ . وفيد لا تزال الى العصر الحاضر ، وتقع بلدة فيد في مكان من أجمل الامكنة التي يتوفر فيها الكلأ والعشب والمرعى في مختلف فصول العام . انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٣٠٦ ، حاشية ٢ .

(٣) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ١٠٨٥ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ .

(٤) صالح العلي ، الحمى في القرن الأول الهجري ، مجلة العرب ، جـ ٧ ، لسنة ١٣٨٩ هـ / نيسان ١٩٦٩ م ، ص ٥٩٤ - ٥٩٥ .

(٥) السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١٠٩٣ .

المسلمين[1] . كما يذكر ابن عبد الحكم أنه كتب يقول : « ونرى أن الحمى يباح للمسلمين عامة ، وقد كانت تحمى فتجعل فيها نعم الصدقات ، فيكون في ذلك قوة ونفع لأهل فرائض الصدقات وأدخل فيها وطعن فيها طاعن من الناس فنرى في ترك حماها والتنزه عنها خيراً إذا كان ذلك من أمرها ، وإنما الامام فيها كرجل من المسلمين ، وإنما هو الغيث ينزله الله لعباده فهم فيه سواء »[2] .

وعلى الرغم من إباحة الأحماء الا أنه في عهد هشام بن عبد الملك بدأ ولاة المدينة يستفيدون من الحمى لمصلحتهم الخاصة ، فيروي السمهودي أن والي المدينة ابراهيم بن هشام المخزومي زاد في حمى ضرية وضيق على أهله واتخذ فيه من كل لون من ألوان الإبل الف بعير ، « ولم تزل حواط الحمى يقاتلون عليه أشد القتال ويكون فيه الدماء »[3] .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٨١ . وانظر :
Gibb, The Fiscal Rescript of Umar II, p. 5.

(٢) ابن عبد الحكيم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٩٧ .

(٣) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ١٠٩٣ - ١٠٩٤ .

# الفصل الثاني

# التجارة

١ ـ العوامل المؤثرة في التجارة

٢ ـ التجارة الداخلية

أ ـ التبادل التجاري بين المدن

ب ـ الأسواق التجارية في المدن

٣ ـ التجارة الخارجية

أ ـ الطرق البرية والبحرية

ب ـ مواني التصدير والاستقبال

ج ـ السلع المتبادلة مع الأقاليم الأخرى

٤ ـ الرقابة على الأسواق

٥ ـ الأسعار

٦ ـ أسلوب التعامل في الأسواق

ـ النظام النقدي

ـ الصكوك

ـ السفاتج ( الحوالات )

ـ الصيرفة

ـ وحدات الكيل والوزن

# الفصل الثاني
# التجارة

## ١ ـ العوامل المؤثرة في التجارة :

لقد أدى اتساع النفوذ الاسلامي الى اتصال عرب شبه الجزيرة العربية بالأقاليم والشعوب الاسلامية الأخرى ، ونتيجة لوحدة الدولة الأموية فقد تنقل الأشخاص والسلع ، ولم تفرض عليهم قيود مانعة لذلك تقدمت التجارة فصارت السلع تحمل الى الحجاز ونجد من جميع الأمصار ، وأخذ الحجاز بفضل خبرات أهله في التجارة ونشاطهم يحتل مكانة بارزة ، كما أخذت الأموال تتدفق عليه من جميع الأقاليم الاسلامية الأخرى فتجمعت الثروات في أيدي الناس وارتفع مستوى المعيشة[١] ، وازداد الطلب على البضائع الكمالية نتيجة لارتفاع مستوى الدخل ، وازدياد الاقبال على الترف ، وارتفاع القدرة الشرائية عند الناس .

هذا ، والاسلام يحل البيع والشراء ، ويحرم الربا ، وينظم المعاملات التجارية ويعترف بالتجارة طريقاً للكسب المشروع[٢] ، وتعددت الآيات التي

---

(١) اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، ص١٣ ـ ١٤ ، ١٦ ـ ١٧ . المسعودي، مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٣٣٢ ، ٣٣٣ ، الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ابن العمراني ، الإنباء ، ص٤٩ .

(٢) لقد وردت كلمة تجارة في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، انظر : سورة البقرة ، آية ٢٨٢ ، سورة =

توضح ما يجب أن يتحلى به المسلم من خلق في شؤون البيع والشراء ، فأوجبت الإيفاء في الكيل والميزان ، وعدم بخس الناس أشياءهم[١] . وتضمنت الأحاديث النبوية الشريفة حضاً على الصدق والأمانة وعدم التدليس[٢] .

كما أن اهتمام الدولة الأموية بطرق المواصلات التي تربط الحجاز ونجد بالأمصار الاسلامية الأخرى ، ساعد على تقدم التجارة ، فارتبطت نجد بالحجاز ، ثم ربطت الحجاز بمصر والمغرب وبلاد الشام والعراق واليمن وجنوب الجزيرة العربية[٣] .

كما حفرت الآبار على الطرق مما مكن المسافرين من الحصول على الماء ، وأول من وجه العناية الى الاهتمام بطرق المواصلات وحفر الآبار من خلفاء بني أمية الوليد بن عبد الملك[٤] .

ولم تقتصر جهود الدولة الأموية على ربط الحجاز ونجد بالأمصار الاسلامية الأخرى ، وإنما بذلت جهوداً طيبة في محاربة السراق وقطاع الطرق ، الذين يفسدون في الأرض ويترصدون للقوافل التجارية على الطرق الممتدة من العراق الى الحجاز ، ومن العراق الى اليمامة بنجد ، ومن الشام الى الحجاز أو من اليمن الى الحجاز . يروي الأصفهاني أن مالك بن الريب

---

= النساء ، آية ٢٩ ، سورة التوبة ، آية ٢٤ ، سورة النور ، آية ٢٤ ، سورة الجمعة ، آية ٦٢ .

(١) سورة المطففين ، آية ١ ـ ٣ ، الرحمن ، آية ٧ ـ ٩ ، سورة الأنعام آية ١٥٢ ، سورة هود ، آية ٨٤ ، سورة الإسراء ، آية ٣٥ ، سورة الأعراف ، آية ٨٥ .

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، جـ ١ ، ص ٩٩ ، ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، جـ ٢ ، ص ٧٤٩ ، أبو داود ، سنن أبي داود ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٣) الحربي ، كتاب المناسك ، ص ٦٤٣ ، ٦٤٧ ، ٦٤٩ ، ٦٥٣ ، صالح العلي ، طرق المواصلات القديمة في بلاد العرب ، ص ٩٧٢ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٣٧ ، العيون والحدائق ( مجهول المؤلف ) ، ص ٤ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ١٠٩ ، المقريزي ، الذهب المسبوك ، ص ٣٠ ، العيني ، عقد الجمان ، جـ ١١ قسم ٣ ، ورقة ٣٦٢ .

التميمي ومن إنضموا اليه كانوا يقطعون الطريق الممتد ما بين الفلج والقصيم بنجد ، ويخيفون السبيل فيه[1] . وكان أبو النشناش التميمي وعصابته يعترضون القوافل التجارية على الطرق الممتدة من الشام الى الحجاز[2] .
أما السمهري بن بشر العكلي ، ومن تجمع حوله فكانوا يعترضون المسافرين بطريق الكوفة ومكة أو بطريق نخل والمدينة[3] . وكان جحدر بن مالك العكلي ينزل باليمامة ويغير على نواحيها وأسواقها وطرقها[4] . بل إن بعض العصابات من قطاع الطرق كانوا يغيرون على التجار في أسواق المدن ، ويسرقون أنفس ما يعرضون من الثياب والبضائع ، فهذا جحدر بن مالك العكلي كان يختطف الناقة من سوق الابل في مدينة حجر باليمامة ، من صاحبها الذي قدم ليبيعها فيه ويفرّ بها[5] .

لم يكن ولاة بني أمية في الحجاز ونجد غافلين عن هؤلاء اللصوص ، بل كانوا يطاردونهم ويجتهدون في طلبهم ، حتى استطاعوا في النهاية أن يقبضوا عليهم ويزجوا بهم في السجون . فاستطاع والي المدينة عثمان بن حيان المري أن يقبض على السمهري بن بشر العكلي ، الذي كان يقطع الطريق بين الكوفة ومكة ، وبين نخل والمدينة ، وأن يقتله[6] . كما إستطاع والي اليمامة ابراهيم بن عربي أن يقبض على جحدر بن مالك العكلي ويزج به في سجن دوار باليمامة[7] . ولا شك أن تمكن الدولة الأموية من القضاء على

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٢ ، ص ٢٨٧ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ١٧١ .
(٣) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢١ ، ص ٢٣٣ ، عطوان ، الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص ٩٩ .
(٤) الجاحظ ، المحاسن والأضداد ، ص ٦٧ ، الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ص ١٧٠ - ١٧٢ ، حمد الجاسر ، جحدر العكلي ، مجلة العرب ، جـ ١ ، جـ ٢ ، السنة ١٣٩٦ / ١٩٧٦ م ، ص ٧٣ - ٧٤ .
(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٦١ . نوري القيسي ، شعراء أمويون ، القسم الأول ، ص ١٧٨ .
(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢١ ، ص ٢٣٨ .
(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، طبعة بيروت : ١٩٥٦ م ، جـ ٢ ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ ، ابن بلهيد ، صحيح الأخبار ، جـ ٤ ، ص ١٢٣ .

السرّاق وقطاع الطرق ، والسيطرة على الطرق التجارية وحمايتها ، ساعد على تقدم التجارة الى حد كبير .

ويتمتع الحجاز ونجد بموقع جغرافي ممتاز ، ساعد على تقدم التجارة وإزدهارها فقد كان يمر بالحجاز شريان رئيسي من شرايين التجارة العالمية في ذلك الوقت ، فوقوعه على الطريق البري الذي يسير محاذياً للبحر الأحمر ويربط اليمن بالشام[1] ، جعله ملتقى القوافل التجارية ، التي تحط فيه وتتزود منه ، هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى فقد كان الحجاز على إتصال بالبحرين شرقاً ومصر غرباً براً وبحراً[2] . لهذا تقدمت التجارة في مدن الحجاز التي أصبحت محطات تجارية للقوافل المحملة من اليمن الى الشام ومصر وغيرها . كما كانت موانىء الحجاز التي تقع على البحر الأحمر ، وهما الجار[3] ، ميناء المدينة المنورة ، وجدة ميناء مكة المكرمة[4] ، محطات تجارية للسفن القادمة من اليمن والبحرين ومصر والحبشة والهند والصين . أما نجد فلها هي الأخرى موقع جغرافي متوسط على الطريق البري الممتد من اليمن الى نجد ثم العراق شمالاً ، ومن البحرين شرقاً الى نجد ثم الحجاز غرباً[5] . فأصبحت مركزاً لطرق القوافل التي تجوب الجزيرة العربية من

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥ ، ص ٣٨٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية جـ ٨ ، ص ١٦٦ ، العيني ، عقد الجمان ، جـ ١٠ ، ص ٥٠٣ ، ابن فهد ، اتحاف الورى ، ص ٣٣٦ .

(٢) انظر الطرق البرية والبحرية في هذا الكتاب .

(٣) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٣٩٨ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٣ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٥٧ ، الحربي ، المناسك ، ص ٤١٣ ، ٥٣٢ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٨٣ ، الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٢٥ ، ياقوت ، المشترك وضعا ، ص ٩٢ . والجار يعرف الآن باسم البُرَيْكة ، وكان ميناء الى عهد قريب ، أما الآن فيستعمله الصيادون ، ويبعد عن بدر ٢٥ كيلا ، أما بدر فيبعد عن المدينة ١٦٨ كيلا . انظر : حمد الجاسر ، حول الجار والشعيبة ، ص ١١٧٠ ـ ٧١ .

(٤) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٤٤ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٥٧ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٧ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٧٩ ، البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٢ ، ص ٣٧١ ، الإدريسي ، أنس المهج ، ص ٦٠ .

(٥) انظر الطرق البرية والبحرية في هذا الكتاب .

الجنوب الى الشمال ومن الشرق الى الغرب .

ولم تتأثر مكانة الحجاز في العصر الأموي ، بعد إنتقال مركز الخلافة الى الشام فقد إحتفظ هذا الاقليم بمكانته المرموقة بين أقاليم الدولة الاسلامية ، لأنه قلب العالم الاسلامي ، وقبلة المسلمين جميعاً ، ففيه مكة التي يعتبر الحج اليها أحد الأركان الخمسة ، وفيه المدينة التي دفن فيها الرسول الكريم ( صلى الله عليه وسلم ) . فأصبح يؤم الحجاز سنوياً عشرات الألوف من الحجاج من أقاليم متعددة من أنحاء الدولة الاسلامية لأداء فريضة الحج ، يجلبون معهم ما تنتجه بلادهم من سلع(١) . فيكون البيع والشراء وتبادل السلع مما يؤدي الى إزدهار الأسواق في الحجاز(٢) .

والذي لا نشك فيه أن الحجاج كانوا يحملون معهم العملة من بلادهم وينفقونها في الحجاز ما بين مكة والمدينة طيلة اقامتهم سواء في الأكل أو السكن .يروي الواقدي أن ابن أبي ذئب كان يؤجر داره ، وكان كراء داره بمكة يأتيه بين الصفا والمروة(٣) ، هذا فضلاً عما كان الحجاج يشترونه من هدايا يحملونها الى بلادهم ، فتنشط التجارة الداخلية والخارجية معا .

وكان للحج دور كبير في إزدهار الموانىء الحجازية كالجار وجدة ، فكانت هذه الموانىء تستقبل الحجاج من مصر واليمن والحبشة والمغرب وغيرها من الأمصار الأخرى ، فيقيمون فيها أول قدومهم ويشترون من أسواقها ما يحتاجون اليه حتى ينتقلوا الى مكة . فازدهرت التجارة وانتعشت الأسواق ، وكثرت الأموال في الموانىء الحجازية أيام موسم الحج(٤) . ويمكن أن نعتبر

---

(١) انظر الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٦ ، ص ١٧٥ . صالح العلي ، الأنسجة في القرنين الأول والثاني ، مجلة الأبحاث ، جـ٤ ، بيروت : ١٩٦١ ، ص ٥٥١ ـ ٥٥٢ .

(٢) وما زال الحج الموسم الأكبر للتجارة ، ففي أيامه تنشط الحركة التجارية في الحجاز ، ويكثر البيع والشراء ، وتزدهر الأسواق .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٥٩ .

(٤) انظر المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٧٩ ، علي السليمان ، النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية ، ص ٩٨ .

الإجراءات التي قام بها الخليفة عمر بن عبد العزيز من اسقاط ضريبة المكس[1] ، التي كانت تفرض على المبيعات الداخلية من العوامل التي ساعدت على ازدهار التجارة أيضا .

ولا ننكر أن هنالك عوامل أخرى عرقلت التجارة وحدت من تطورها في بعض الفترات . فقد شهدت الحجاز ونجد ، في العصر الأموي ، عدة اضطرابات داخلية أدت الى انعدام الأمن ، وتعطل الحركة التجارية وتعرض التجار للسلب والنهب .

فبعد تولي يزيد بن معاوية الخلافة ، خلع أهل المدينة طاعته ، فبعث اليهم جيشاً سنة ٦٣ هـ /٦٨٢ م ، بقيادة مسلم بن عقبة المري ، فحاصر المدينة فتولى الدفاع عنها أهلها بما فيهم التجار فيذكر البلاذري[2] أن جالية من البحرين يقدر عددها بأربعمائة رجل ، كانوا يتاجرون في العطر ، اشتركوا في الدفاع عن المدينـة ضد الجيش الأموي . وبعد هزيمة أهل المدينة ، ذكر أمرهم مسلم بن عقبة المري في كتاب بعثه الى يزيد بن معاوية ، مما أغضبه عليهم ففرض عليهم غرامة كبيرة تقدر بأربعمائة ألف درهم عقابا لهم . وقد قتل في هذه الموقعة عدد كبير من أهل المدينة[3] ، ولا ريب أن بعض هؤلاء القتلى كانوا تجاراً أو يعملون في التجـارة . هذا فضلاً عن تعطل الأسواق فترة من الزمـن وتعرضها للسلب والنهب من قبل الجيش الأموي[4] .

---

(١) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٣٣ ، ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٩٩ ،
Gibb, The Fiscal Rescript of 'Umar II, p. 7 ; Becker, Beitrage Zur Geschichte Agyptens Unter Dem Islam, pp. 156 - 157 .

والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق . انظر : ابن منظور، لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ١٠٥ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ٤٣ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٢ ، الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ، خليفة ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ٢٣١ - ٢٤٥ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ١ ، ص ١٣٢ .

(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ١٣٦ .

وخلال حركة عبد الله بن الزبير تعرضت الحجاز للفتنة فكثر السلب والنهب بسبب انشغال ابن الزبير بمحاربة الأمويين من ناحية ، ومحاربة الخوارج في اليمامة من ناحية اخرى . فتعرض سوق ذي المجاز بالقرب من عرفة للنهب من قبل بني كعب بن عامر بن صعصعة سنة ٦٧هـ / ٦٨٧م[١] . كما تعرضت خيبر لنهب أموالها من قبل الجيش الأموي الذي كان مقيماً بفدك لأنها كانت تتبع ابن الزبير[٢] ، وتوقفت التجارة عندما تعرضت مكة المكرمة لحصار الحجاج بن يوسف الثقفي ، لمدة تزيد على ستة أشهر[٣] ، ولم ينته الحصار الا في شهر جمادى الأولى سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م بعد أن قضى الحجاج على حركة عبد الله بن الزبير[٤] . وكانت خطة الحجاج ترك ابن الزبير محاصراً حتى يفنى ما عنده ، فيضطر للاستسلام ، وفعلاً قل مخزون الطعام في مكة بشكل عام ، وأصابت الناس مجاعة اثناء الحصار ، وارتفعت أسعار المواد الغذائية إرتفاعاً فاحشاً[٥] ، بسبب تعطل التجارة ، وإنعدام الأمن[٦] ، وقلة المجلوب إلى أسواق مكة ولم تعد للنقود قيمة بسبب ندرة السلع في الأسواق[٧] .

وفي عهد الوليد بن عبد الملك ، طلب الحجاج بن يوسف الثقفي منه ، اخراج العراقيين الذين آواهم عمر بن عبد العزيز في الحجاز عندما كان والياً عليه ، خاصة في مكة والمدينة . وكان كثيرون منهم يشتغلون بالتجارة[٨]

---

(١) البلاذري ، أنساب الاشراف ، ( طبعة اهلورت ) ص ١٢٩ ، عبد الرحمن النجم ، البحرين في صدر الاسلام ، بغداد : ١٩٧٣ م ، ص ١٦٩ .

(٢) البلاذري ، أنساب الاشراف ، جـ ٥ ص ٣٥٦ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ٣٦٨ .

(٤) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ .

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ٣٦١ ، الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٦ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ٢٣ ، الفاسي ، شفاء الغرام ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٦) ابن سعد ، كتاب الطبقات ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١٢٤ .

(٧) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٦ .

(٨) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٨٥ ، وانظر: Barthold, Caliph ʻUmar II and the Conflicting Reports on his Personality, P. 74.

فكتب الوليد بن عبد الملك الى خالد بن عبد الله القسري وعثمان بن حيان المري والياه على مكة والمدينة يأمرهما بإخراج من في الحجاز من العراقيين ، وإرسالهم الى الحجاج بن يوسف ، فقاما بإخراجهم جميعا ، ولم يتركا « تاجراً ولا غير تاجر »[١] .

وفي سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م تعرضت الحجاز لغزو الخوارج بقيادة أبي حمزة الخارجي ، الذي استولى على مكة ، مما أدى إلى تعطل الأسواق وهجرها التجار خوفا من السلب والنهب ، وقد حدث هذا فعلاً لسوق عكاظ فلم تقم له قائمة بعد ذلك[٢] . ثم توجه الخوارج نحو المدينة المنورة ، فوجه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، والي المدينة ، جيشاً عدته ثمانية آلاف من قريش والأنصار والتجار[٣] ، فالتقوا بقديد ، لكن أهل المدينة انهزموا وقتل منهم اكثر من ألفي رجل[٤] . ودخل الخوارج المدينة فخرج وجوه أهلها وتركوها لأن القتل قد شاع في الناس[٥] ، فولى أبو حمزة رجلاً من أصحابه يدعى المفضل على المدينة ، وخرج منها الى مكة ، فاجتمع أهل المدينة مرة أخرى لقتال المفضل ومن بقي معه من الخوارج ، فاشترك معهم « أهل السوق »[٦] حتى إستطاعوا في النهاية هزيمة الخوارج[٧] .

وقد امتدت الفتن الى منطقة نجد ، حيث ظهر خطر الخوارج في

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ، ص ٤٨٥ .
(٢) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٣١ ، البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٣ ، ص ٩٥٩ ، الجزري ، درر الفرائد المنظمة ، ص ٦٧ ، الفاسي ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٢١٣ - ٢١٤ ، تحفة الكرام ، ورقة ١٢٤ أ .
(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٨ ، ص ٣٧٧ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٣ ، ص ٢٢٤ ، العيون والحدائق ، ( مجهول المؤلف ) ، ص ١٦٧ .
(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٨ ، ص ٣٧٨ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٣ ص ٢٢٤ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٢٤٦ .
(٦) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٨ ، ص ٣٨٠ ، الأصفهاني ، الأغاني جـ ٢٣ ، ص ٢٤٦ .
(٧) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٨٠ ، الأصفهاني ، المصدر السابق،ص ٢٤٦ .

اليمامة[1] ففي سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م إستولى الخوارج في اليمامة على مدينة الخضارم ونهبوها[2] . كما اعترض نجدة بن عامر الحنفي قافلة قادمة من البحرين في طريقها الى الحجاز ، فاستولى عليها وجلب الغنائم الى الخضارم حيث وزعت على أصحابه[3] . وظلت منطقة نجد تعيش تحت وطأة الخوارج الذين استولوا على معظم أجزائها ، كما انعدم الأمن فيها وتعطلت فيها التجارة الى أن استطاعت الدولة الأموية القضاء عليهم[4] .

وفي سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٤ م ، تعرضت نجد للإضطرابات القبلية ، والحروب الداخلية ، بعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد الأموي ، إذ لم يعترف أهل اليمامة بولاية علي بن المهاجر بن عبد الله الكلابي ، واضطرب حبل الأمن وكثرت الغارات والسلب والنهب بين القبائل في نجد ، حتى قدم الى اليمامة المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة والياً على اليمامة من قبل أبيه ، حيث كانت اليمامة في ذلك الوقت تتبع العراق اداريا ، فهدأت الأحوال واستتب الأمن[5] .

ومما أثر في التجارة أيضا السراق وقطاع الطرق ، الذين كانوا يترصدون للقوافل التجارية على الطرق الممتدة من العراق الى الحجاز ، ومن العراق الى اليمامة بنجد ، ومن الشام الى الحجاز ، أو من اليمن الى نجد ثم العراق . لكن ولاة بني أمية ـ كما أسلفنا ـ إستطاعوا أن يقبضوا على هؤلاء اللصوص ويزجوا بهم في السجون .

هذا فضلاً عن السيول التي كانت تدمر طرق المواصلات وتقتل الأنفس

---

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ٣ ، ص ٣٥٢ ، النويري ، نهاية الأرب، جـ١٩ ، ورقة ١٤ ، Watt, Kharijite Thought in the Umayyad Period, P. 219.

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ٣ ، ص ٣٥٢ . النويري ، نهاية الأرب جـ١٩ ، ورقة ١٤ .

(٣) ابن الأثير ، المصدر السابق ، ص ٣٥٢ ، النويري ، المصدر السابق ورقة ١٤ ، ابن منصور ، منهاج المعارج ، ورقة ١٤٥أ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٦ ، ص ١٩٣ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، جـ٣ ، ص ١١٠ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ١٩ ، ص ١٤٤ .

وتهدم الأسواق والدور ، كما حدث لمكة سنة ٨٠ هـ / ٦٩٩ م ، حيث دهمها السيل في موسم الحج ، والأسواق عامرة ، فدمرها ويصف لنا شاهد عيان هذا السيل بقوله « ولقد رأيت الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء تمر بهم ما لأحد فيهم حيلة »[١] . فغرقت بيوت مكة حتى لجأ الناس الى الجبال للاعتصام بها ، وقتل من جراء هذا السيل المدمر ناس كثير[٢] . وكسيل المخبل سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م . الذي أصاب الناس بعده مرض شديد في ألسنتهم وأجسادهم[٣] .

## ٢ ـ التجارة الداخلية :

كان التبادل التجاري بين مدن الحجاز ونجد قائماً في العصر الأموي بسبب توفر المنتجات الزراعية ، وتيسر طرق المواصلات من ناحية ، ووجود المستهلكين من القبائل وأهل المدن والقرى من ناحية أخرى . فيروي الأصفهاني أن حكم بن ميمون كان ينقل الزيت من جدة ووادي القرى الى أسواق المدينة المنورة ليبيعه فيها[٤] . وكان التجار يقدمون بالحنطة والسمك من جدة لبيعه في مكة[٥] . كما كانت الحنطة والحبوب والسمن والعسل تحمل من السروات وقرى الطائف الى مكة[٦] .

أما جميع أنواع الفواكه فكانت تحمل من الطائف[٧] ،

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٣٢٥ .
(٢) الأزرقي، أخبار مكة ، ص ٣٩٥ ، الطبري ، المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٧٢ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٤١٧،الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٢ ، ص ٢١٩ . الكتبي ، عيون التواريخ ، ج ٥ ، ص ١٠٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٣١ . الفاسي ، العقد الثمين ، جـ ١ ، ص ٢٠٥ ، ابن فهد ، اتحاف الورى ، ص ٣٦٩ .
(٣) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٣٩٧ ، ابن فهد ، اتحاف الورى ، ص ٣٧٠ .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٦ ، ص ٢٨٠ .
(٥) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٦ .
(٦) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٥١ .
(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٢١٢ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٧٩ ، . =

وعسفان[1]، والهدة[2] الى مكةوالبلدان الأخرى. وكان العسل يحمل من الأَصْدَار في قرية النَعْمَان بجبال السروات الى مكة[3]. كما كان يحمل الموز والأترج والتمر من وادي رهاط الى ذات عرق والطائف ومكة[4] . ويحمل التمر أيضاً من وادي مر الظهران الى مكة[5] . أما من منطقة نجد فكانت تحمل التمور من اليمامة الى مكة والمدينة وتباع في الأسواق التي تقام عند المسجد النبوي في المدينة المنورة وعند المسجد الحرام في مكة[6] . ويذكر الحربي أن التمر الصفري كان يحمل من وادي الغيل ببلاد الفلج بنجد الى مكة[7] ، كما كانت الحنطة تحمل من اليمامة الى الحجاز لتباع هناك[8] . أما قرية سدوس في اليمامة بنجد ، فكانت تصدر الرمان الى القرى والبلدان القريبة منها[9] .

وكانت الأسماك ترد المدينة من ميناء الجار ، الذي يقع على البحر الأحمر ، كما كان لأهل المدينة وكلاء في هذا الميناء ، يشترون منهم الحنطة ويحضرونها الى المدينة[10] . وكان كثيِّر عزة في مستهل حياته يجلب الغنم من بلدته كُلَيّة ، إحدى قرى الحجاز ، ويبيعها في الجار ، كما كان يجلب

---

= الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ ٥ ، ص ٤٣٥ ، ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٢٢ ، البغدادي ، خزانة الأدب جـ ٢ ، ص ٢٤ .

(١) مالك ، المدونة ، جـ ٢ ، ص ٣٧٨ .

(٢) ياقوت ، المشترك وضعا ، ص ٤٣٨ .

(٣) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٠.

(٤) الحربي ، كتاب المناسك ، ص ٣٤٩ .

(٥) ياقوت ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص ٤٣٨ .

(٦) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ٢٩ .

(٧) الحربي ، المناسك ، ص ٦٢٢ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣٥٢ ، النويري ، نهاية الأرب جـ ١٩ ، ورقة ١٤ ، ابن فهد ، اتحاف الورى ، ص ٣٥٨ .

(٩) الحربي ، المناسك ، ص ٦١٧ .

(١٠) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٤٨٧ .

الإبل ويبيعها في موسم الحج في مكة[1] .

أما أهل بادية نجد والحجاز فكانوا يحضرون أسواق المدن لشراء ما يحتاجون اليه ، وبيع ما يربونه من الإبـل والغنم وما ينتجونه من السمن والصوف وغير ذلك . فكان بنو عامر مثلا يشترون البر والتمر من أسواق وادي القرى[2] . أما الشماخ بن ضرار المري فكان يمتار من سوق المدينة المنورة[3] . وكان بنو سليم يجلبون الغنم والإبل والخيل والسمن لبيعها في أسواق المدينة المنورة[4] وكان لهم سوق في قرية السوارقية خاص بهم يأتيه التجار من كل مكان للبيع والشراء والأخذ والعطاء[5] . كما كانت تعرض مصنوعات الطائف من الأدم في الأسواق المجاورة لها كسوق عكاظ ، وغيره من الأسواق الأخرى[6] .

**الأسواق التجارية في المدن :**

كانت التجارة الداخلية تتركز في الأسواق ، التي تعتبر مركز الحياة الاقتصادية في مدن الحجاز ونجد . وتتنوع التجارات في هذه الأسواق ، كتجارة المواد الغذائية ، مثل الحبـوب والتمور والفـواكه والخضـروات وغيرهـا[7] ، أو تجارة المـاشية كـالإبل والخيـل والغنم

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ٣١ وكُلَيّة قرية من قرى الحجاز ، وتقع بين مكة والمدينة .أنظر: البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٤ ، ص ١١٣٤ ، ولا تزال هذه القرية موجودة الى الآن انظر : الحربي، المناسك ، ص ٤٥٨ ، حاشية ٣ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٢٥ .

(٣) المبرد ، الكامل ، جـ١ ، ص ١٢٨ .

(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ ، ص ٧٥٤ .

(٥) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٣١ .

(٦) أنظر: الأزرقي، أخبار مكة ، ص ٤٧٤ ، أحمد فاروق ، دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهل الاسلام ، ص ٥٥٤ .

(٧) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٦ ، الأزرقـي ، أخبار مكة ، ص ٤٥١ ، الحربي ، المناسك ص ٣٤٩ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ ، الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٤٨٧ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٦ ، ص ٢٨٠ ، ياقوت المشترك وضعا ، ص ٤٣٨ .

تتعرض للنهب من قبل الخارجين على الدولة ، فلم يأمن الناس على أموالهم وتجاراتهم كما حدث لسوق عكاظ سنة ١٢٩ هـ/٧٤٦ م ، عندما خرج أبو حمزة الخارجي على الدولة الأموية ، فخاف الناس أن ينتهبوا ، فتركت عكاظ في هذه السنة ، ثم تركت مجنة وذي المجاز بعد ذلك ، واستغنوا عنها بالأسواق في مكة ومنى وعرفات(١) .

أما سوق حباشة ، فكانت من أكبر الأسواق التي تعرض فيها أنواع السلع ، وكانت تقوم ثمانية أيام في السنة ، يذكر حكيم بن حزام أنه اشترى منها بَزاً من بَز تهامة(٢) . وقد استمرت هذه السوق قائمة حتى نهاية القرن الثاني الهجري(٣) .

وفي مكة المكرمة ظهرت الأسواق الدائمة ، فيبدو أن كل أصحاب مهنة ، بدأوا يتجمعون معاً مكونين سوقاً فرعياً داخل السوق الكبير ، فكان هناك أصحاب الأدم(٤) ، وأصحاب العطر ، بين الصفا والمروة(٥) ، في فناء المسجد الحرام . وكان من العطارين في مكة عبد الله بن كثير(٦) ، الذي كان يجلب الطيب من دارين في البحرين . ويذكر الأصفهاني أن المغني الغريض كان يشتري الطيب من عطار في مكة(٧) . وكانت هناك سوق للقسي لبيع

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٣١ ، الجزري ، درر الفرائد المنظمة ، ص ٦٧ ، الفاسي ، العقد الثمين ، ج ١ ، ص ٢١٣ - ٢١٤ ، تحفة الكرام ، ورقة ١٢٤ أ

(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ، ص ٤١٨ . ويذكر البكري أن سوق حباشة يقع بناحية مكة وهي أكبر أسواق تهامة . أنظر: نفس المصدر ، ص ٤١٨ ، ويذكر الأزرقي أن سوق حباشة للأزد ، وهي من مكة على ست ليال . انظر : أخبار مكة ، ص ١٣١ . ويبدو أنها تقع جنوب الطائف . انظر الخريطة شكل ( ٢ ) .

(٣) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٣٢ ، نجلة الصياغ ، بلاد الحجاز في العصر العباسي ، ص ٨٧ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٤٧٤ .

(٥) مالك ، المدونة ، ج ٢ ، ص ٤٥٦ ، الأزرقي ، المصدر السابق ، ص ٤٦٠ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٤٩٢ ، الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ج ١ ، ص ٤٤٣ ، الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، ج ١ ، ص ٧١ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٤١ ، الفاسي ، العقد الثمين ، ج ٥ ص ٢٣٨ .

(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .

الأقواس العربية[١] ويذكر القيرواني أن القوس العربية الجيدة كانت تساوي في مكة عشرة دنانير[٢] . أما سوق الفاكهة ، فكانت تباع فيه جميع أنواع الفواكه التي كانت ترد مكة من مدينة الطائف وقراها[٣] فيروي صاحب الأغاني أن علياً بن عبد الله بن عباس اشترى من هذا السوق سلة عظيمة من العنب[٤] . وكان هناك سوق للحناطين[٥] ، الذين يبيعون الحنطة التي كانت ترد الى مكة من اليمامة وجدة وجبال السروات والطائف . كما كان هناك سوق للإبل ، وكان حكيم بن حزام يرتاد هذا السوق للبيع والشراء ، فيذكر الزبير بن بكار أن عبد الله بن الزبير قابل حكيماً بن حزام في سوق الإبل ، وكان معه جمل يبيعه ، فلما ربح فيه درهماً باعه[٦].

وفي موسم الحج ، كانت التجارة تنشط في مكة ، حيث تكثر الأسواق وتتعدد السلع ويعم البيع والشراء . وتشير المصادر الى ازدهار التجارة في هذا الموسم ، فيروي الأصفهاني أن عمر بن أبي ربيعة اشترى في موسم الحج ، بَزاً وعطراً بألف دينار[٧] . كما يروي صاحب المدونة أن بعض تجار الحجاز ، كانوا يقترضون ويشترون الرقيق والبغال والسلع لبيعها في موسم الحج في كل عام ، ولولا هذه التجارة والأرباح ما شهدوا موسم الحج[٨] . وكانت تجارة الإبل والبقر والغنم تزدهر أيام الموسم ، فعندما حج صفوان بن سليم اشترى بدنة بسبعة دنانير[٩] ، واشترى عبد الملك بن مروان بدنة من

---

(١) القيرواني ، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، ص ٦١ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٦١ .
(٣) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٣٢ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١ ، ص ٢١٢ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١٦ ، ص ١٧٩ .
(٥) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ ، ج ١ ، ص ٤١١ .
(٦) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ص ١ ، ص ٣٦٤ .
(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١ ، ص ١٦٧ ، المبرد ، الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .
(٨) مالك ، المدونة ، ج ١٢ ، ص ٩٤ .
(٩) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ٣ ، ص ١٦٠ .

سوق منى[1] ، كما جلب كثير عزة في مستهل حياته جملاً ، ليبيعه في موسم الحج في مكة[2] وكانت سوق الأبطح في مكة مشهورة في موسم الحج بالبيع والشراء ، والأخذ والعطاء[3] . أما تجارة الرقيق فكانت موجودة في مكة في هذا العصر ، فتذكر المصادر[4] أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، اشترى جارية من مولاها عندما حج بأربعين ألف درهم .

وقامت الأسواق في المدينة المنورة بسبب تطور الحياة الاقتصادية ، ووفرة الأموال ، وازدياد الطلب على السلع الكمالية . وعرفت تجارة الرقيق[5] ، يروي الجاحظ[6] أن هشاماً بن عبد الملك طلب من واليه على المدينة أن يشتري له ، « الوصائف البيض الطوال » ، فسأل النخاسين الموجودين في المدينة ، واشترى منهم حاجته وبعث بالرقيق الى هشام بن عبد الملك ، وكان للرقيق سماسرة يتولون بيعه ، ويتقاضون أجراً نظير ذلك[7] .

وفي سوق الإبل كانت تباع الإبل[8] ، وتكرى النجائب ، يروي الأصفهاني أن قوماً من بني حنيفة كانوا يكرون نجائبهم ، وقد استأجر منهم ابن أبي عتيق ( عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق )

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٧٤ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٩ ، ص ٣١ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٤٣ .

(٤) نفس المصدر ، ج ١٧ ، ١٧٥ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٢٩٧ ابن حجة ، ثمرات الأوراق ، ج ١ ، ، ص ١٢٩ .

(٥) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج ٢ ، ص ١٣٣ . البلاذري ، أنساب الأشراف ج ٧ ، ص ١٨٦ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٩٦ ، وكيع ، أخبار القضاة ، ج ١ ، ص ١٩٥ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٥٥ ، ابن سعد ، الطبقات ج ٥ ، ص ٢١٢ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٦ ، ص ٢٥ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

(٦) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .

(٧) مالك ، المدونة ، ج ١٠ ، ص ٢٥٣ .

(٨) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ج ١ ، ص ٤٩ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٩ ، ص ٢٠٤ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٣٨٧ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٦٤ .

راحلتين الى مكة[1] ويبدو أن الأجرة كانت تختلف حسب بعد المكان وقربه ، فكانت مسيرة اليوم تقريباً بثمانية عشر درهماً[2] . وكان لبعض أهل المدينة إبل تعمل في السوق بالأجرة ، ويعمل عليها العبيد ، كإبل عياض بن عبد الله السلامي ، ومالك بن كلثوم المرادي[3] . وكان هناك أيضاً سوق لبيع الغنم[4] .

أما العطارون فتشير المصادر الى وجودهم في سوق المدينة المنورة يذكر البلاذري أنه كانت في المدينة جالية من دارين ، يبلغ عدد أفرادها حوالي أربعمائة رجل وكانوا جميعاً عطارين[5] . كما كان هناك عطارون من أهل المدينة ، كالتاجر سيار الذي كان يبيع العطر[6] . وكان لكثّير عزة حانوت في المدينة يبيع فيه العطر والخيط ، والثياب والقطران ، وكان يتولى البيع فيه غلام له[7] . ويذكر الأصفهاني أن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب ، اشترى من أحد العطارين بالمدينة عطراً بأربعمائة دينار[8] .

أما البزازون الذين يقومون ببيع الأقمشة على اختلاف أنواعها فتذكر المصادر وجودهم في سوق المدينة[9] . فيذكر ابن سعد أن مروان بن جبر كان بزازاً يبيع الثياب في المدينة[10]. وكان النضر بن أنس يتجر في البز ، وكان أخوه مالك يبيع معه ويتجر فيه[11]، ولم يكن هنالك مانع من الجمع بين

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ، القيرواني ، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، ص ٥٣ .
(٢) وكيع ، أخبار القضاة ، ج ١ ، ص ١٨٩ .
(٣) مالك بن أنس ، المدونة ، ج ١١ ، ص ٤٢٥ .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٩ ، ص ٧ .
(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٤ ، قسم ٢ ، ص ٤٣ .
(٦) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج ٢٢ ، ص ٣٨ ، الفيروز أبادي ، المغانم المطابة ، ص ٤٨ .
(٧) التنوخي ، المستجاد من فعلات الأجواد ، ص ١٢٤ .
(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٦ ، ص ١٧٢ .
(٩) مالك ، المدونة ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ ، الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج ٢٢ ، ص ١٣٩ .
(١٠) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٤٧ .
(١١) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج ١ ، ص ١١٥ .

التجارة وطلب العلم ويرجح الشيخ أبو زهرة ما ذكر من أن الإمام مالك كان يرتزق من التجارة ، حيث كان له أربعمائة دينار يتجر بها ، ومنها كان قوام عيشه[1] ، وكان التاجر حجاج الصواف بزازاً ، وكان عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً على المدينة يكلفه بشراء الملابس له[2] . ويذكر وكيع أن أبا المفلاح كان بزازاً بالمدينة[3] . كما كان يوجد في سوق المدينة ، أصحاب العباء ، الذين يبيعون العباء[4] ، والجزارون[5] ، الذين يقومون ببيع اللحوم . ولما كان السواد الأعظم من الناس يعتمدون على العطاء في معاشهم ، لذلك كان الجزارون يبيعونهم اللحم ، ويمهلونهم حتى يخرج عطاؤهم ، يروي الإمام مالك أن سالماً بـن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان يشتري اللحم يومياً من الجزارين ، وكان لا يعطيهم حتى يخرج عطاؤه[6] . ويذكر القاضي عياض أن الإمام مالك كان يشتري كل يوم لحماً بدرهمين[7] . كما كان ابن هرمز يشتري اللحم من الجزارين في المدينة[8] .

أما أصحاب الفاكهة[9] ، فتشير المصادر الى وجودهم في سوق المدينة ، وكانوا يتولون بيع الفاكهة التي ترد السوق من البلدان المجاورة لها . يذكر ابن سعد ان نافعاً مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، اشترى عنقوداً من العنب بدرهم من هؤلاء الباعة[10]. كما كان يوجد في سوق المدينة تجار

---

(١) ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص ١٩ ، ابو زهرة ، مالك ، ص ٤٥ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ، ص ٢٤٦ ،

Barthold, Umar II, p. 74.

(٣) وكيع ، أخبار القضاة ، ج ١ ، ص ١٩١ .

(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ص ٧٤٧ ، ٧٥٠ ، ١٢٢٩ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٨٧ .

(٦) مالك بن أنس ، المدونة ، ج ٩ ، ص ٢٩٣ .

(٧) عياض ، ترتيب المدارك ، ج ١ ، ص ١١٥ .

(٨) مالك ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ .

(٩) التنوخي ، المستجاد من فعلات الأجواد ، ص ١٦ . أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ٣ ، ص ٢٤٦ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٢٤ .

(١٠) ابن سعد ،الطبقات، ج ٤ ، قسم ١ ، ص ١١٦ - ١١٧ أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .

المواد الغذائية كباعة الحنطة[1] والزيت والسكر ، فمن الحناطين الذين كانوا يبيعون الحنطة عقرب الحناط[2] ، وعيسى بن أبي عيسى الخياط[3] ، والتاجر سيار ، فبالاضافة الى تجارة العطر ، كان يبيع الحنطة[4] . ويذكر الزبيري أن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، كان يبيع الطعام والزيت في سوق المدينة[5] . أما سعيد بن المسيب ، فقد رفض العطاء سخطاً على الدولة الأموية ، وكان له أربعمائة دينار يتجر بها في الزيت[6] . وكان السكر يباع في سوق المدينة ، يذكر الأصفهاني أن عبد الله بن جعفر اشترى سكراً قيمته أربعة آلاف درهم من أحد الباعة عندما كسد عليه ، وفرقه على الناس[7] . وكان يباع في سوق المدينة السمك ، الذي يجلب اليها من ميناء الجار . وكان نافع مولى عبد الله بن عمر يشتري السمك من هذه السوق[8] . أما باعة التمر فكان لهم مكان في سوق المدينة يسمى دار التمارين[9] .

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان ، يذكر ابن الكلبي ، أن سائب خاثر كان تاجراً موسراً يبيع الطعام في المدينة[10] . أما أبو اسماعيل بن يسار فكان يصنع طعام العرس ، فيشتريه منه من أراد أن يتزوج[11] . وفي رواية أخرى أنه

---

(١) مالك المدونة ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ ، الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٦ ، ص ١٣٥ ، ١٨٥ .
(٢) نفس المصدر ، ص ١٨٥ .
(٣) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٨٥ .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢٢ ، ص ٣٨ ، الفيروز أبادي ، المغانم المطابة ، ص ٤٨ .
(٥) الزبيري ، نسب قريش ، ص ٣٠٤ .
(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ١٠٠ ، العيني ، عقد الجمان ، ج ١١ قسم ٣ ، ص ٣٩٢ ، الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ١٠٢ .
(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٢ ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٤١٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ٣٣ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ج ٣ ، ص ١٦٦ .
(٨) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٢٩٨ .
(٩) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٥٢ .
(١٠) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٨ ، ص ٣٢٢ ، النويري ، نهاية الأرب ، ج ٤ ، ص ٢٦١ .
(١١) الأغاني ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٠٨ .

كان يبيع النجد والفرش التي تتخذ للعرائس[١] . وفي سوق المدينة أيضاً كان يباع علف الماشية[٢] ، والأقواس العربية[٣] ، والقطن[٤] .

ويذكر ابن شبه أن سوق المدينة كان ساحة مكشوفة لا تؤخذ عليه الضرائب ، حتى جاء معاوية بن أبي سفيان فاتخذ دار القطران ودار النقصان وضرب عليها الخراج[٥] . وعندما تولى عمر بن عبد العزيز كتب الى أهل المدينة « إنما السوق صدقة فلا يضربن على أحد فيه كراء »[٦] . وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، اقترح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، والي المدينة أن يبني داراً يدخل فيها سوق المدينة ، فوافق هشام ، فبناها إبراهيم وسد بها وجوه الدور والشوارع التي في السوق[٧] ، وجعل في أسفلها حوانيت تكرى على التجار بالأجرة ، يقول ابن زبالة : « وجعل لدار السوق حوانيت في أسفلها ، وعلالي تكرى للسكن ، وحملت أبوابها من البَلقَاء . . »[٨] . ويضيف ابن شبه أن تلك الدار استمرت في عهد هشام بن عبد الملك ، وكان التجار فيها يؤخذ منهم الإيجار . فلما وصل الى أهل المدينة نبأ وفاة هشام ابن عبد الملك ، قام الناس بهدم هذه الدار ، وانتهبت أبوابها وخشبها وجريدها[٩] . ويبدو أن سوق المدينة استمر حراً لا تؤخذ عليه الضرائب بقية العصر الأموي[١٠].

---

(١) نفس المصدر ، ص ٤٠٠ ، ج ١٨ ، ص ٢٤٠ .
(٢) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .
(٣) القيرواني ، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، ص ٦٧ .
(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ١١٤ .
(٥) عمر بن شبه ، تاريخ المدينة ، قسم المخطوطات ، جامعة الرياض ، رقم ٤٤ ، ج ١ ، لوحة ٨٧ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٥٠ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٧٤٩ .
(٧) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٢ ، ص ٧٤٩ .
(٨) نفس المصدر ، ص ٧٥٢ .
(٩) ابن شبه ، تاريخ المدينة ، لوحة ٨٧ ، السمهودي ، المصدر السابق ، ص ٧٥٣ .
(١٠) صالح العلي ، ادارة الحجاز ، ص ٣٣ .

وقامت الأسواق الدائمة في البلدان الأخرى ، لكن المصادر لا تفصل أمرها يذكر ابن سعد أن إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، كان يأتي كثيراً الى سوق الربذة للتجارة[1] . كما كان هناك سوق في الجُحْفَة[2] . ويشير صاحب الأغاني الى سوق للإبل في تيماء ووادي القرى[3] . أما ضرية ، فكان يوجد بها سوق كبيرة تضم عدداً من الحوانيت الكثيرة[4] . وفي بلدة السوارقية ، كانت هناك سوق لبني سليم ، تأتيها التجار من البلدان المجاورة للبيع والشراء ، كما كان يتموّن من هذه السوق المسافرون على الطريق بين الحجاز ونجد[5] . وقامت الأسواق في ميناء الجار ، الذي كان مركزاً لاستقبال البضائع الأجنبية من خارج الحجاز ، والتي ترسل فيما بعد الى المدينة المنورة . وكانت الحنطة والأسماك تباع في هذه الاسواق[6] ، أما أسواق جدة فكانت عامرة ، وكان يباع فيها جميع أنواع السلع والمواد الغذائية ، كالحنطة والأسماك وغيرها[7] .

وفي منطقة نجد ، قامت الأسواق في حجر أهم مدن اليمامة ، ومقر الولاة ، فكانت تقوم بها في العصر الجاهلي سوق حجر في اليوم العاشر من شهر المحرم الى نهاية الشهر من كل عام[8] . وكان يفد اليها العرب من جميع أنحاء بلادهم للبيع والشراء وقد استمرت هذه السوق حتى نهاية العصر الأموي[9] . وكانت هناك أسواق دائمة في حجر ومدن اليمامة الأخرى ، لكن

---

(١) ابن سعد ، كتاب الطبقات ، ج ٥ ، ص ٣٢٧ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢٢ ، ص ٣١٣ . وقد درست الجحفة ، ولم يبق سوى أطلالها ، ومسجد حديث بني فيها ، وتبعد عن بلدة رابغ بما يقارب ال ١٥ كيلا من الشرق . أنظر: الحربي ، المناسك ، ص ٤١٥ ، هامش ( ٢ )

(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣١٩ ، ٣٢٢ .

(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، ج ٣ ، ص ١٠٩٩ .

(٥) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٣١ -٤٣٢ .

(٦) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ج ١ ، ص ٤٨٧ .

(٧) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٦ . (٨) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٢٦٨ .

(٩) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٩ ، ص ١٠٩ ، أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، ج ٢ ، ص ٢٦١ ، سعيد الأفغاني ، أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ص ٣٥٩ .

المصادر لاتسعفنا في توضيح ما كان يباع فيها . ومن المحتمل أنه كانت تعرض في هذه الأسواق منتجات اليمامة من التمور والحبوب والفواكة التي اشتهرت بها . يقول مسلم بن يسار إنه قدم اليمامة في تجارة فرأى الناس مشغولين « بالبياعات والتجارات »[١] . كما كان يباع الرقيق في أسواق اليمامة ، يذكر المبرد أن الشاعر جرير الخطفي اشترى جارية من اليمامة[٢] . وقد ورد ذكر سوق حجر والبيع والشراء فيه على لسان الشاعر الفرزدق ، عندما ذم جريراً بقوله إن له أماً تبيع وتشتري بسوق حجر[٣] . ويبدو أن اليمامة كانت بها أسواق لبيع الإبل ، لأن اللصوص كانوا يتوجهون بما يسرقون من الإبل إلى اليمامة لبيعها هناك ، فيروي الأصفهاني أن مسعود بن خرشة التميمي سرق هو ورفاق له إبلاً من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسي ، وتوجهوا بها نحو اليمامة ليبيعوها هناك[٤] . أما في الفلج فكانت التجارة قائمة ، والأسواق عامرة نظراً لوقوعها على الطريق الذي يربط اليمن باليمامة ، إذ يصف الأصفهاني سوق الفلج بأنه مدينة عظيمة[٥] ، كما يذكر الهمداني أن في سوق الفلج أربعمائة حانوت[٦] ، الا أنه لا يوضح ما إذا كانت هذه الحوانيت موجودة كلها أو بعضها في العصر الأموي أم أنها أنشأت فقط في العصر العباسي . ويبدو أنه كانت تباع في هذه الحوانيت المواد الغذائية والتمور التي اشتهرت الفلج بإنتاجها وتصديرها[٧] .

كما قامت الأسواق في بلدة النباج ، التي كانت محطة هامة من محطات طريق البصرة الى مكة المكرمة ، والمدينة المنورة . فقد وصفها

---

(١) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٢٩٥ .
(٢) المبرد ، الكامل ، ج ١ ، ص ١٥٥ .
(٣) أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، ج ١ ، ص ٢٦١ .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢١ ، ص ٢٥٠ .
(٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٤ .
(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٦ .
(٧) الحربي ، المناسك ، ص ٦٢٢ .

جرير بن حازم الجهضمي ، بأنها منزل آهل بالسكان ، ومتجر ربّيح للتجار[1] . وهذا يدلنا على أن أسواقها كانت عامرة ، تباع فيها شتى السلع ، كما كان الحجاج يتموّنون من أسواقها حتى يصلوا الى مكة والمدينة .

## ٣ ـ التجارة الخارجية[2] :

إن موقع الحجاز ونجد الجغرافي المتوسط بين بلدان الشرق والغرب ، وعدم وجود التضاريس التي تعوق المواصلات فيها ، وإنتشار الطرق البرية ، ساعد على إزدهار التجارة الخارجية ، إذ أصبحت مقصد التجار من كل مكان . ولا ريب أن موسم الحج كان فرصة كبيرة للنشاط التجاري مع التجار المسلمين من الأقاليم الاسلامية الأخرى الذين يقدمون لأداء فريضة الحج ويجلبون معهم ما تنتجه بلادهم من السلع والمصنوعات . كما كان للحجاز عدد من الموانىء على البحر الأحمر ، تستقبل السفن المحمّلة بالبضائع من الأمصار الاسلامية الأخرى ، ومن الهند والصين ، وتصدر السلع المنتجة أو القادمة براً عن طريق الحجاز . وقبل أن نتكلم عن الموانىء التي كانت التجارة الخارجية تصب فيها ، والسلع التي كانت متبادلة مع الأقاليم الأخرى ، نرى من الأفضل أن نتناول الطرق البرية والبحرية التي كانت تربط الحجاز ونجد بالأقاليم الأخرى .

### الطرق البرية والبحرية :

لقد اهتمت الدولة الأموية بالطرق البرية خاصة بعد اتساع رقعة الدولة الاسلامية ، وانتشار الأمن والاستقرار ، وإزالة الحدود ، التي كانت تعتبر عقبة

---

(١) نفس المصدر ، ص ٦٣٠ . العبودي ، الأسياح ( النباج قديما ) ، ص ٥٣٨ .

(٢) كانت نجد والحجاز إقليمين من أقاليم الخلافة الأموية ،ولذا فإن التجارة بينهما وبين الأقاليم الاسلامية الخاضعة للخلافة الأموية لاتعد من التجارة الخارجية بالمعنى الصحيح ، ولكننا لأغراض البحث فقط سنعالج هذا الموضوع على أنه تجارة خارجية .

في وجه التبادل التجاري ، كما أصبح الحجاز قبلة المسلمين يحج اليه كل عام عشرات الألوف لأداء فريضة الحج ، فكان على الدولة الأموية أن تهتم بالطرق التي يسلكها الحجاج لتوفير الراحة لهم .

وبعد انتقال العاصمة من الحجاز الى دمشق ، أصبح هذا الاقليم مركز المعارضة للأمويين ، فخرجت منه الحركات المعادية لهم ، كحركة أهل المدينة التي أخمدها مسلم بن عقبة المري ، وحركة عبد الله بن الزبير ، التي توسعت حتى كادت أن تقضي على الدولة الأموية ، وحركة الخوارج في اليمامة بنجد تحت قيادة نجدة بن عامر الحنفي[١] . كل هذه الحركات أدّت إلى الاهتمام بالطرق حتى تستطيع القوات العسكرية التحرك بسرعة وبسهولة لإخماد أي فتنة قبل أن تنمو وتمتد . ومهما كانت الدوافع الحقيقية وراء اهتمام الدولة الأموية بالطرق فقد استفادت التجارة الخارجية من ذلك .

لقد ذكرت المصادر عدداً من الطرق التي كانت تربط بين الحجاز ونجد وبين الأمصار الاسلامية الأخرى ، كالعراق والشام والبحرين ومصر وبلاد اليمن . وكانت القوافل التجارية تستخدم هذه الطرق في نقل السلع المنوعة الى أسواق الحجاز ونجد بواسطة الجمال من الأقاليم الاسلامية الأخرى . كما كان الحجاج يسلكونها أيضاً لأداء فريضة الحج ، وأقدم هذه الطرق وأهمها هو الطريق الذي يربط اليمن بدمشق في الشام[٢] ، وتقع عليه الحجاز ، وخاصة مكة المكرمة التي تعتبر محطة تجارية هامة على هذا الطريق . وكان لوقوع مكة على هذا الطريق أثر كبير في جعلها مستودعاً للمتاجر اليمنية والحبشية ، والهندية التي تنقل عبر هذا الطريق حتى تصل الى بلاد الشام . كما كانت البضائع تنقل من الشام الى اليمن عبر هذا الطريق أيضاً ومن ثغور

---

(١) انظر العوامل المؤثرة في التجارة في هذا الكتاب .

(٢) الحربي ، المناسك ، ص ٦٤٣ ، ٦٥٣ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ص ١٣٤ ، ١٥٠ ، ولقد كانت القوافل تسير عبر هذا الطريق ، انظر : الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥، ص ٣٨٥ ، العيني ، عقد الجمان ، ج ١٠ ، قسم ٣ ، ص ٥٠٣ .

اليمن كانت تنقل بحراً إلى الهند والحبشة . وربما كانت أغلب هذه السلع تباع في مكة قبل تصديرها الى الشام أو الى اليمن . كما كانت دمشق أيضاً تتصل بالمدينة المنورة عبر هذا الطريق البري الذي يمر بوادي القرى[1] .

وتفرعت الطرق البرية من مكة لأهميتها الدينية والتجارية ، فكانت تتصل بالبحرين عن طريق بري يمر باليمامة ومنها الى الحجاز . فكانت أغلب المنتجات الهندية تصل من البحرين الى نجد والحجاز عبر هذا الطريق ، كما كان يسلكه الناس لأداء فريضة الحج . ويذكر ابن الفقيه أن بين اليمامة والبحرين مسيرة عشرة أيام[2] . فكان هذا الطريق يبدأ من البحرين ماراً بعدد من المدن والقرى حتى يصل الخضرمة ( الخضارم ) باليمامة[3] ، ومن الخضرمة الى ضرية ، ومنها الى مكة ، بعد أن يمر بعدد من القرى والبلدان[4] . وضرية ملتقى حجاج البصرة والبحرين ، حيث يفترقون إذا انصرفوا من الحج ، فيأخذ حجاج البصرة ناحية الشمال ، وحجاج البحرين ناحية اليمين[5] .

وتتصل مكة بالعراق بطريق بري ، فقد إتصلت الكوفة بمكة والمدينة[6] وكانت التجارة تنشط بين العراق والحجاز ، خاصة في موسم الحج . فكان وادي القرى محطة لإستقبال البضائع العراقية[7] ، ومنها تحمل الى مكة والمدينة وغيرها من البلدان . ويبدو أن الكناسة بالكوفة كانت محطة تجارية للقوافل الصادرة من الحجاز نظراً لوقوعها عند الباب الغربي بالقرب من

---

(١) ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص ١٥٠ .
(٢) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ٣٠ .
(٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .
(٤) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٤٧ ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعة الكتابة ، ص ١٩١ .
(٥) ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ١٨٢ .
(٦) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٩ ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعة الكتابة ، ص ١٨٥ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٠٧ .
(٧) نفس المصدر ، ص ٩٧ .

البادية[1] . وإتصلت البصرة بالحجاز بطريق بري[2] ، وعن هذا الطريق كانت تصل الى الحجاز ونجد البضائع والسلع من الولايات الشرقية للدولة الإسلاميه . وكان هذا الطريق يفترق الى قسمين عند قرية النباج في نجد فقسم يتجه الى مكة المكرمة . والآخر يتجه الى المدينة المنورة . لذلك كثر التجار في قرية النباج ، لكثرة الأرباح التي يحصلون عليها[3] . حيث أن النباج كانت تزود القوافل بالمؤن والماء كما تعرض فيها البضائع للبيع .

أما عمان وحضرموت فقد إتصلت بهما مكة بطريق بري يمر على الساحل حيث تقوم القوافل التجارية المحملة بالسلع المختلفة الى جدة فتسير جنوباً بحذاء الساحل حتى تصل الى حضرموت ثم الى عمان[4] . كما إتصلت الحجاز بمصر بطريق بري[5] يبدأ من الفسطاط ويمر بعدد من المدن والقرى حتى يصل الى أيلة ومدين ومنها يتجه الى وادي القرى ، حيث يلتقي مع الطريق المتجه من دمشق الى الحجاز عند السقيا في وادي القرى[6] ، ومن وادي القرى يتجه الى المدينة ومنها الى مكة .

وهكذا تعددت الطرق البرية في الحجاز ، والتي كانت تسير فيها القوافل المحملة بالبضائع والسلع ، ولكننا نلاحظ أن أكثر هذه الطرق ينتهي الى مكة أو يمر عليها أو يبدأ منها . ولا غرابة في هذا فمكة مركز ديني

---

(١) محمد الزبيدي ، الحالة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ، ص ١٢٧ .

(٢) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٤٦ ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعة الكتابة ، ص ١٩٠ .

(٣) الحربي ، المناسك ، ص ٥٨٧ ، ٦٣٠ .

(٤) الحربي ، المصدر السابق ، ص ٦٤٧ - ٦٤٨ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٤٧ - ١٤٨ ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعة الكتابة ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٤٩ ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعة الكتابة ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٦) الحربي ، المناسك ، ص ٦٥٠ .

وتجاري وهي بالنسبة للقوافل التجارية سوق كبيرة تعرض فيها البضائع التي تجلبها ، وتتزود منها بالماء والمؤن . كما كانت مكة ترتبط بطرق برية بالمدينة والطائف وجدة واليمامة . لذلك كانت مركزاً مهماً يحضر اليه التجار للشراء والبيع ونقل البضائع المعروضة الى المدن والبلدان الأخرى بنجد والحجاز .

أما نجد فكانت تقع على الطريق الذي يربط اليمن بالعراق من الجنوب الى الشمال ، فكانت البصرة تتصل باليمامة براً[1] ، ويستمر هذا الطريق من اليمامة الى اليمن[2] . كما تقع نجد على الطرق التي تربط البصرة والبحرين في الشرق بالحجاز في الغرب[3] . ويبدو أن نجداً قد استفادت من هذا الموقع فنشأت بعض المحطات التجارية على طول هذا الطريق بين اليمن واليمامة . فكانت الفلج تستقبل القوافل المحملة بالبضائع القادمة من اليمن في طريقها الى نجد ثم العراق ، كما تستقبل القوافل العائدة من العراق الى نجد ثم اليمن ، ويبدو أنه كانت تعرض في سوق الفلج بعض هذه السلع ، لأن سوقها كما يذكر الأصفهاني كانت عظيمة[4] . كما يرجح أن القوافل كانت تتزود من سوقها بالماء فيذكر الهمداني أن في جوف سوق الفلج مائتين وستين بئراً[5] . أما المحطة التجارية الثانية فهي مدينة الخضارم التي تقع على هذا الطريق ، ويبدو أن هذه المدينة كانت نقطة التقاء طريق اليمن الى العراق مع طريق البحرين الى الحجاز[6] .

---

(١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٥١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥٣ ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعة الكتابة ، ص ١٩٣ .

(٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٤٦ - ١٤٧ ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعة الكتابة ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٤) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٤ .

(٥) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٥ .

(٦) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٤٧ ، ١٥٣ ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعة الكتابة ، ص ١٩١ ، ١٩٣ .

ويلاحظ أن أغلب المؤلفات الجغرافية التي تحدثت عن الطرق لا تذكر بلداً ولا قرية يمر عليها الطريق البري ، الا وذكرت به عيناً أو بئراً يفيض منها الماء[1] ، لأن الماء كان أهم ما يحتاجه المسافر في صحارى نجد والحجاز ، كما إهتم كثير من الأغنياء بأمر المسافرين وتوفير الماء لهم ، وقد وردت إشارات في المصادر للمياه التي كانت توضع في الطرق للمسافرين ، فيروي الشافعي أن أبا جعفر بن محمد كان يشرب من سقايات كان يضعها الناس بين مكة والمدينة[2] .

تلك هي أهم الطرق البرية التي سلكتها القوافل التجارية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها في طريقها الى الشام ومصر والعراق . فلقد كان الإتصال ميسوراً بين الحجاز ونجد وغيرها من الأقاليم الإسلامية الأخرى ، حيث ربطت تلك الطرق بين أكبر المدن ومحطات التجارة في شبه الجزيرة العربية وخارجها ، فوصلت الى أسواق نجد والحجاز البضائع والسلع من الأمصار الأخرى .

ولم تقتصر التجارة الخارجية على الطرق البرية التي ذكرناها إنما سلكت طرقاً بحرية أيضاً ، فلقد تمتعت الحجاز بموقع جغرافي ممتاز على البحر الأحمر ، إذ كانت تمر بها أهم الطرق التجارية البحرية ، ذلك الطريق الذي يبدأ من الصين ماراً بالهند ، ويمر في المحيط الهندي حتى ساحل عمان ثم ساحل اليمن فالبحر الاحمر[3] . وكانت تصل الى موانىء الحجاز عبر هذا الطريق التجارة الشرقية من الهند والصين محملة في السفن التي كانت تفرغ حمولتها في الموانىء الحجازية على البحر الأحمر وخاصة

---

(١) ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٣ ، قدامة بن جعفر ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ ، الهمدائي ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٥ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٧ .

(٢) الشافعي ، الأم ، ج ٤ ، ص ٥٦ .

(٣) السيد محمد يوسف ، علاقة العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور الى القرن الرابع الهجري ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة : ١٩٥٣ . ص ٤ .

الجار[١] .

لقد كان للحجاز في العصر الأموي ميناءان من أهم الموانىء البحرية على البحر الأحمر ، هما جدة والجار . فكانت جدة الميناء الرئيسي لمكة[٢] وتبعد عن مكة نحو أربعين ميلا[٣] ، وكان أهلها أهل تجارة[٤] . ولقد أسست جدة في العام السادس والعشرين من الهجرة لتخدم تجارة مكة ، والمناطق المحيطة بها[٥] ، وكان الميناء المستخدم قبلها يسمى الشُعَيْبَة[٦] . ثم نمت جدة حتى صارت من أهم الموانىء الحجازية على البحر الأحمر ، فكانت تستقبل السفن المحملة بالبضائع من مصر واليمن وعدن والهند[٧] ، وكانت تنشط في موسم الحج ، حيث تزدحم بآلاف الحجاج من أنحاء العالم الاسلامي فيتبادلون البيع والشراء قبل مغادرتها الى مكة ، ولذلك أصابت جدة أرباحاً عظيمة ، وأصبح أهلها أهل تجارات[٨] . فكانت أسواقها عامرة بالسلع والبضائع التي يصدر بعضها الى مكة[٩] والمناطق القريبة منها . كما

---

( ١ ) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٣٩٨ .

( ٢ ) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٤٤ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٧ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٥٧ ، الحربي ، المناسك ، ص ٥٣٢ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٧٩ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .

( ٣ ) الادريسي ، أنس المهج ، ص ٦٠ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٥٧

( ٤ ) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٧٩ .

( ٥ ) الفاسي ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ص ٧٥ ، البتنوني ، الرحلة الحجازية ، ص ١٣ .

( ٦ ) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٤٢ . ويرى الأستاذ عبد القدوس الأنصاري أن جدة ميناء مكة الوحيد قبل الشعيبة ، ثم طرأت طوارىء أدت إلى تغيير هذا الميناء ، فنقل المرفأ الى موقع الشعيبة بناحية الجنوب ، فهاجر سكان جدة اليها بالتدريج تحت وطأة الظروف الاقتصادية فعمرت الشعيبة ، ولكن بمجرد صدور أمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، سنة ٢٦هـ /٦٤٧ م ، بنقل الميناء الى جدة ، هاجر أهلها منها أفواجا وأهملت الشعيبة ، أنظر: عبد القدوس الأنصاري ، تاريخ مدينة جدة ، ص ٤٦ ـ ٤٧ . أما الشعيبة فهي لا تزال معروفة بهذا الاسم ، وفيها ميناء صغير ، وتبعد عن جدة جنوب خمسة وثمانين كيلا ، أنظر: حمد الجاسر . حول الجار والشعيبة ، ص ١١٧٢ .

(٧) الحميري ، الروض المعطار ، ص ١٥٧ .

(٨) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٧٩ .

(٩) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٦ .

كانت الميناء الذي تنقل عن طريقه تجارة مكة وما حولها الى خارج الحجاز .

أما الجار ، فكانت من أهم الموانىء في الجزيرة العربية ، وكانت الميناء الرئيسي للمدينة المنورة[١] ، على البحر الأحمر ، ولقد وصف عرام ابن الأصبغ السلمي ميناء الجار بقوله : « ... والجار على شاطىء البحر ، ترفأ اليه السفن من أرض الحبشة ومصر ، ومن البحرين والصين ، ... ونصف الجار في جزيرة البحر ، ونصفها على الساحل ...[٢] » . ويقع الجار على بعد ثلاث مراحل من المدينة المنورة[٣] .

وعندما ازدادت العلاقات بين المسلمين في الحجاز وبين أهل الحبشة وأهل مصر بعد ظهور الاسلام ، إهتم الخلفاء بالجار وتعهدوه بالإصلاح والتعمير ، حتى أصبح الميناء الرئيسي للمدينة المنورة ورست به السفن القادمة من مصر ، محملة بالحبوب في عهد عمر بن الخطاب[٤] ، واستمرت شهرة الجار في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، فقصدته السفن القادمة من الصين والهند والحبشة ، وحاز شهرة كبيرة ، حتى أصبح البحر الأحمر يعرف ببحر الجار[٥] . وكانت أسواق الجار عامرة ، يقصدها التجار من الأقاليم الأخرى[٦] كما كان لتجار المدينة وكلاء في ميناء الجار يمدونهم بالبضائع

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٣ ، الحربي ، المناسك ، ص ٤١٣ ، ٥٣٢ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٥٧ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٨٣ ، ياقوت المشترك وضعا ، ص ٩٢ ، الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٢٥ .

(٢) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٣٩٨ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣١ .

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٣ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ، ص ١٧٧ .

(٥) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ٧٨ ، حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ٤٨ .

(٦) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص ٣١٣ ، لقد اتصلت موانىء الحجاز في القرن الثالث الهجري بغرب أوروبا ، فيذكر ابن خرداذبة ( المسالك والممالك ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ ) أن تجار اليهود كانوا يخرجون من مقاطعة بروفانس بفرنسا ، ومعهم الجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمّور والسيوف . ثم يسافرون بحرا الى الفرما ، حيث ينقلون بضائعهم على الدواب إلى القُلزُم ، ثم يتابعون رحلتهم بحرا الى الجار وجدة في الحجاز ثم الى الهند والسند والصين ، ثم يعودون من الصين =

التي يحتاجون اليها[1] .

وفي عهد عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) قامت الدولة الإسلامية بحفر قناة تصل البحر الأحمر بالنيل ، شمالي الفسطاط ، لتسهيل سير السفن بين موانىء الحجاز على البحر الأحمر والنيل[2] . وأفاد هذا الخليج التجارة الشرقية وأعطى الطريق البحري الذي يصل البحر الأحمر أهمية كبيرة ، وسلكه التجار وغيرهم فكانت السفن تسير فيه من مصر الى البحر الأحمر وتمر في البحر الى موانىء الحجاز ثم الى اليمن والهند[3] . كما أقام الأمويون وحدات بحرية في هذا البحر لحماية طريق التجارة الى مكة والمدينة[4] . ولا ريب أن ذلك ساعد على إزدهار التجارة المتجهة الى الحجاز إذ شعر التجار بالأمن والإطمئنان . لكن هذه القناة التي وصلت البحر الأحمر بالنيل ، والتي عرفت باسم خليج أمير المؤمنين ، نسبة الى الخليفة عمر بن الخطاب ، تدهورت وقلّت أهميتها في بداية القرن الثاني الهجري إذ لم يتعهدها الولاة بالصيانة ، حتى غلبت عليها الرمال وتركت في النهاية[5] .

### السلع المتبادلة :

أما عن السلع المتبادلة بين الحجاز ونجد والأقاليم الإسلامية الأخرى فإننا نلاحظ أن الصادرات من نجد والحجاز أقل بكثير من الواردات . لقد سبق أن ذكرنا أن الأموال تدفقت على سكان الحجاز في العصر الأموي[6] .

---

= محملين بالبضائع الشرقية كالمسك والكافور والعود مع نفس الطريق . وانظر : ابراهيم العدوي ، الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(١) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ص ٤٨٧ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٠ ، ياقوت ، المشترك وضعا ، ص ١٥٩ ، المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج ٣ ، ص ٢٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٥ ، الكتاني ، التراتيب الادارية ، ج ٢ ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .

(٤) أرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص ١٢٧ .

(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٠ .

(٦) انظر : العوامل التي ساعدت على نشوء الزراعة .

ولقد ساعد ذلك على إرتفاع القدرة الشرائية عند الناس فازداد الطلب على الحاجات الكمالية والمنسوجات الحريرية ، التي كانت تستورد من الأقطار الأخرى .

لقد كانت صادرات الحجاز ونجد ضئيلة نسبياً بسبب قلة الإنتاج وبداوة الغالبية من السكان ، وقلة الموارد الطبيعية ، فكانت تعتمد بالدرجة الأولى على المنتجات المحلية كاللبن والصوف والدهن[١] ، فتذكر المصادر أن أبا صالح السّمان كان يجلب السمن والزيت من المدينة الى الكوفة[٢] وتعد الحنطة والتمور من أشهر صادرات الحجاز ونجد[٣] ، وكذلك الخيول الأصيلة[٤] والنجائب[٥] ، والمنسوجات ، خاصة البرود التي كانت تصنع في ثرمداء في منطقة نجد[٦] . واشتهرت الحجاز بتصدير الزبيب والجلود اللذين كانا ينتجان في مدينة الطائف[٧] . وكانت للطائف شهرة عظيمة في تجارة الجلود ، لما عرف من جودة أدمها ، فكان يصدر الى الأمصار الاسلامية الأخرى[٨] . أما في مجال الأسلحة ، فكانت نجد والحجاز تصدر الرماح والأسنة التي كانت تصنع في حجر عاصمة اليمامة وكانت مشهورة

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ، ص ٢٢٢ ، العيني ، عقد الجمان ، جـ ١١ ، قسم ٣ ، ص ٤٤٩ . غستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٢ ، ٤٥ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥، ص ٢٢٢ ، البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، ص ٦٤ ، العيني ، عقد الجمان ، ج ١١ قسم ٣ ، ص ٤٤٩ .

(٣) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ ، الحربي ، المناسك ، ص ٦٢٢ ، الهمداني، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٧ .

(٤) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٧ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٤، ص ١٥ .

(٥) الجاحظ ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٦) حميد الهلالي ، الديوان ، ص ٨٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١، ص ٩٢٢، مقبل الذكير ، تاريخ نجد ، لوحة ١٧٠ .

(٧) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٠ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم، ص ٧٩ . الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٢٦ ، يوسف خوري ، جزيرة العرب ص ١١ . وانظر أيضا : الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٧ .

(٨) انظر دباغة الجلود في الفصل الثالث من هذا الباب .

بجودتها[1] ، وكذلك السيوف الحنيفية التي يرجح أنها منسوبة الى قبيلة بني حنيفة التي كانت تقطن اليمامة[2] .

أما السهام اليثربية في الحجاز ، وسهام بَلَاد في اليمامة بنجد فكان لها شهرة خاصة [3] ، وكذلك النبال اليثربية ويدل على جودتها أن الحجاج أمر بتجهيز الجند منها[4] . ويذكر ابن الفقيه أن حب اللبان كان يحمل من المدينة الى جميع البلدان[5] . أما العسل الذي كان يوجد في حِدَاب بني شَبَابَة في جبال السروات في الحجاز[6] ، فكان مضرب المثل في الجودة وكان يصدر الى العراق[7] .

وأشارت المصادر الى تصدير البحرين التمور الى مكة عند ظهور الإسلام[8] ويبدو أن ذلك إستمر خلال العصر الأموي ، فهناك إشارة الى تصدير تمر هجر الى الحجاز[9] في هذا العصر . كما كانت البحرين تمون الحجاز بالميرة ، ولكن تأزم الموقف بين عبد الله بن الزبير ونجدة بن عامر الحنفي أدى الى قطع الميرة الصادرة عن اليمامة والبحرين ، فكتب عبد الله ابن عباس الى نجدة فوافق على إرسالها للحجاز[10] . كما كانت الحجاز

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٢٤٢ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥، ص ١٨٥ ، صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٣) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ١، ص ٢٧١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١، ص ٧٠٧ .

(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ( طبعة اهلورت ) جـ ١١ ، ٢٧٣ .

(٥) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ٢٥ .

(٦) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ج ٩ ، ص ٢٠٥ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(٧) الدينوري ، المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٤ .

(٩) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ ، أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق، ج ١ ص ٣٢ . وعن العلاقات التجارية مع البحرين انظر أيضا : مالك ، المدونة ، ج ٨ ، ص ٤١١ .

(١٠) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٣٥٢ ، النويري ، نهاية الأرب ، ج ١٩ ، ورقة ١٤ ، ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، ص ٣٥٨،ابن منظور ، منهاج المعارج ، ورقة ١٤٦ أ . والميرة : جلب الطعام للبيع،انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٣٩ .

تستورد المنسوجات القطرية من البحرين ، يروي ابن سعد أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يلبس بردين قطريين [١] . وكانت دارين في البحرين تستورد المسك من الهند وتصدره الى الحجاز ، فكان للتجار الداريين جالية كبيرة في المدينة المنورة يقدر عددها بأربعمائة رجل ، وكانوا يشتغلون ببيع العطر[٢] . ولم تقتصر التجارة مع البحرين على الطرق البرية ، بل وصلت السفن من البحرين الى ميناء الجار في الحجاز على البحر الأحمر[٣] . أما نجد فكانت تستورد من البحرين في صدر الإسلام المنسوجات وخاصة المصنوعة في هجر فيذكر ابن سعد أن هوذة بن علي الحنفي كسا سليطاً بن عمرو العامري أثوابا من نسج هجر[٤] ، وربما استمر ذلك خلال العصر الأموي .

أما العراق فكانت نجد والحجاز تستورد منه الوشي والخز والفواكه[٥] كما كانت تستورد الحديد عن طريق البصرة[٦] ، وكان التجار العراقيون ينقلون كميات كبيرة من الحنطة والشعير الى الحجاز لبيعها في موسم الحج ، الا أن أهم ما كانت تستورده من العراق ، المنسوجات العراقية[٧] .

يروي الذهبي أن الإمام مالك كان يقول : « إنما كانت العراق تجيش علينا بالدراهم والثياب ثم صارت تجيش علينا بسفيان الثوري[٨] » . وكان تاجر البز العراقي يقدم الى المدينة من العراق ، فيسمي متاعه للتجار ، فيشترونه

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٢ . صالح العلي ، الأنسجة في القرنين الأول والثاني ، ص ٥٧٦ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف، ج ٤ قسم ٢ ، ص ٤٣ .

(٣) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٣٩٨ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ١٨ .

(٥) ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ٢٥٢ .

(٦) الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٤٩ .

(٧) مالك ، المدونة ، ج ٩ ، ص ٢١٢ . الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج ١ ، ص ١٨٥ ، الخربوطلي ، تاريخ العراق ، ص ٣٧٨ .

(٨) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، حيدر آباد : ١٣٩٧ م ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

منه ، ثم يتبـايعونه فيما بينهم[1] . ويذكر الذهبي أن معمر بن راشد الأزدي ، كان مولى لقوم من أهل البصرة ، فكانوا يبعثونه ببز من بز العراق ليبيعه في سوق المدينة المنورة[2] . كما استوردت الحجاز ونجد من العراق الطيالسة الكردية[3] ، والخُمُر ، فتذكر المصادر[4] أن تاجراً عراقياً من أهل الكوفة ، قدم الى المدينة بأنواع من خُمُر العراق ، فباعها كلها ما عدا السود منها وكان ذلك التاجر صديقاً للشاعر الدارمي فشكا ذلك اليه فقال :

قل للمليحة في الخمار الأسود مـاذا فعلت . . . . . . . . . . .

فشاع الشعر في المدينة ، ولم تبق سيدة إلا واشترت خماراً أسود ، حتى باع التاجر العراقي جميع ما عنده .

أما مصر فكانت الحجاز تستورد منها القمح والحبوب التي كانت تحملها السفن الى موانىء الحجاز[5] . كما كانت تستورد الأدوات المنزلية[6] ، والورق[7] ، والعصفر[8] لصبغ الثياب ، علاوة على المنسوجات المصرية[9] ، فيروي ابن سعد أن علياً بن الحسين كان يصيف في ثوبين من ثياب مصر أشمونيين بدينار[10] . وكانت التجارة بين مصر والحجاز نشيطة خلال العصر

---

(١) مالك ، المدونة ، جـ ٩ ، ص ٢١٢ .
(٢) الذهبي ، المصدر السابق ، ص ١٧١ .
(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٦١ ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١٢١ .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٤٥ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص١٥، الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، جـ ٢ ، ص ٢٦ . والخمار هو الذي تغطي به المرأة رأسها ، وتلفه حول رقبتها. انظر الألبسة في الفصل الثاني من الباب الثاني .
(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٠ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص٣١٣،٣١٧ ، ٣٤٠ . ياقوت ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص ١٥٩ .
(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٣٨٩ .
(٧) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٧ ، ص ١٥٨
(٨) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٣١٩ .
(٩) الابشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، جـ ٢ ، ص ٥٤ .
(١٠) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٦١ .

الأموي ، كما كان التجار من الحجاز يكثرون التردد على مصر لعرض بضائعهم ، وجلب بضائع أخرى[1] .

أما بلاد اليمن فكان يستورد منها الورس[2] والقصة للبناء والعمران[3] ، وكذلك الخفاف فيروي ابن سعد أن علياً بن الحسين كان يلبس خفين يمانيين[4] . أما السيوف اليمانية والدروع السلوقية[5] ، فكانت من أجود الأسلحة التي يرغب فيها العرب في نجد والحجاز ، وكان حديدها يستورد من الهند ويصنع في اليمن ثم تصدر الى الأقاليم المجاورة بعد ذلك . وكان أهم ما تستورده الحجاز من اليمن المنسوجات التي اشتهرت بصناعتها ، فتذكر المصادر أنواع الملابس المستوردة كالبرود المعدنية[6] ، والمعافرية[7] ، والحبرات[8] ، والحلل الموشاة[9] ، والبرود النجرانية[10].

أما الشام ، فكانت العلاقات التجارية بينها وبين الحجاز مستمرة خلال

---

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ٧ ، ص ١٦٤ .

(٢) ابن سعد، الطبقات ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١٣٢ ، الطبري ، تاريخ الطبري ، جـ ٥ ، ص ٣٨٥ ، ابن فهد ، إتحاف الورى ، ، ص ٣٦٦ ، الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٧ . والورس نبت أصفر يكون باليمن يصبغ به . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ١٤١ .

(٣) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٤١ . والقصة الجص ، وقيل الحجارة من الجص ، وقد قصص داره أي جصصها ، ومدينة مقصصة مطلية بالجص . أنظر: ابن منظور ، المصدر السابق جـ ٨ ، ص ٣٤٥ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٦١ .

(٥) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٣٧١ ، جـ ٤ ، ص ٤٥٠ . صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص ٢٤٦ .

(٦) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٩٨ ، الأصفهاني ، الأغاني جـ ١٩ ، ص ١٤٧ ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ ١ ، ص ١٨٨ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات ،جـ ٤ قسم ١ ، ص ١٢٩ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٢١ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ١ ، ص ٣٠٢ .

(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٥ ، ص ١٥٤ .

(٩) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٥٩ .

(١٠) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٣ قسم ١ ، ص ١٨ .

العصر الأموي . فكان التجار يترددون كثيرا على الشام للتجارة[١] . وكان أهم ما تستورده الحجاز من الشام الفواكه والمنسوجات[٢] والمواد الغذائية ، فكان حكم الوادي ، مولى الوليد بن عبد الملك ، يكري جماله لنقل الزيت من الشام الى المدينة[٣] . ويروي اليعقوبي أن علياً بن الحسين كانت له إبل تحمل الفاكهة من الشام الى المدينة[٤] .

وكانت الحجاز تستورد القند والسكر من أذربيجان[٥] ، أما الهند فكانت نجد تستورد منها الحديد والسيوف[٦] وربما التوابل والطيب والعنبر والصندل والفلفل والياقوت والألماس[٧] . كما كانت معظم سلع الأقاليم الشرقية للدولة الاسلامية تصل الحجاز ونجد عن طريق البصرة ، فاستوردت الحجاز ونجد من فارس الحديد والفضة والكبريت والآلات الحديدية كالأقفال والمرايا والأدهان[٨] . لكن أهم ما كانت الحجاز تستورده من فارس المنسوجات التي اشتهرت بها ، كالأردية السابرية[٩] ، والثياب الرازية[١٠]، والمروية[١١]، والملاحف المروية[١٢] ، والأقمصة

(١) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٢٦٠ ، جـ ١٩ ، ص ١٣٣ ، البستي، مشاهير علماء الأمصار ، ص ٦٤ .
(٢) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ .
(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ص ٢٦٠ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ٤ ، ص ٣٢٣ .
(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ .
(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٣٥١ ، البغدادي ، خزانة الأدب ، جـ ١ ، ص ٢٧١ .
(٦) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٤ ، ص ٨٥ .
(٧) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٥١ .
(٨) نفس المصدر ، ص ٢٥٤ .
(٩) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٤٠ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ١ ، ص ١٨٥ .
(١٠) ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، قسم ١ ، ص ١٧ .
(١١) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ١٤٠ .
(١٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٣٩١ .

القوهية[1] ، والأقمصة الهروية[2] .

## ٤ ـ الرقابة على الأسواق :

كانت الأسواق في العصر الأموي تخضع لإشراف موظف يدعى « العامل على السوق »[3] يتمتع ببعض الصلاحيات القضائية والتنفيذية ، ويعين معه بعض الأفراد الذين يساعدونه على القيام بعمله[4] ، لمراقبة الموازين والمكاييل [5] وحل الخلافات التي تنشأ بين الباعة في السوق[6] .

لقد أكد القرآن الكريم على ضرورة ضبط الموازين والمكاييل ، وعدم الغش في الكيل والوزن ، وذلك مراعاة لمصالح الناس ، فقال تعالى ﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ﴾[7] . كما وردت أحاديث نبوية كثيرة تحث على الإيفاء في الوزن وتنهي عن الغش[8] .

---

(١) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ١٥٤ ، البلاذري ، أنساب الاشراف ، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٢٢ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٩٩ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٢٦٠ . وعن تعريف هذه الألبسة : انظر الألبسة في نجد والحجاز في الفصل الثاني من الباب الثاني .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٥ ، ص ١٣٠ ، عبد العزيز الدوري ، نشوء الأصناف والحرف في الإسلام ، ص ١٣٨ .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٧ ، ص ١٠٨ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٧ ، قسم ٢ ، ص ٦٥ . الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ٢٤١ .

(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٢٧٧ ، صالح العلي ، ادارة الحجاز ص ٣٠ .

(٧) سورة المطففين ، آية ١ ـ ٤ ، ولقد وردت آيات كثيرة تحث على الوفاء في الكيل فقال تعالى :﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾ الإسراء ، آية ٣٥ ، كما قال : ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ الأنعام، آية ١٥٢ ، وقال : ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ هود ، آية ٨٤ . كما وردت آيات كثيرة تحث على الوفاء في الوزن كقوله تعالى : ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألّا تطغوا في الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ سورة الرحمن ، آية ٧ ـ ٩ ، وقال : ﴿فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ الأعراف ، آية ٨٥ ، وقال : ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ ، الإسراء ، آية ٣٥ .

(٨) أبو داود ، السنن ، جـ ٢ ، ص ٢٢٠ ، ٢٤٤ . مسلم ، صحيح مسلم ، جـ ١ ، ص ٩٩ ، ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، جـ ٢ ، ص ٧٤٩ .

وفي عصر الراشدين ، كان الخلفاء يباشرون بأنفسهم مراقبة الأسواق ، لإحساسهم بالمسؤولية الكبيرة التي تحملوها ، فقد روي أن الخليفة عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) مارس بنفسه الرقابة على الأسواق[١] فقد رؤي مرة يراقب الأسعار في سوق المدينة[٢] . وكان عمر أول من عين عاملا على الأسواق لمراقبتها فيذكر أبو عبيد أن عمر بن الخطاب عين ابن السائب بن يزيد عاملا على سوق المدينة[٣] . وكان الخليفة علي بن أبي طالب ، يمشي في الأسواق ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع ، والوفاء في الكيل والوزن . وعدم غش اللحم بنفخه[٤] .

ويبدو أن المكاييل والموازين كانت مختلفة في أقاليم الدولة الإسلامية ، مما دعا عمر بن عبد العزيز الى أن يوحد المكيال والميزان[٥] ، لأن اختلافها يؤدي الى الاخلال بمصالح الناس ، ومعاملاتهم في البيع والشراء فيقول عمر : « ثم إن المكيال والميزان نرى فيهما أمورا علم من يأتيها أنها ظلم . إنه ليس في المكيال زيغ إلا من تطفيف ، ولا في الميزان فضل إلا من بخس ، فنرى أن تمام مكيال الأرض وميزانها أن يكون واحدا في جميع الأرض كلها »[٦] .

لقد ذكر الأزرقي أن سعيداً بن ميناء كان عاملا على السوق في مكة لعبد الله بن الزبير[٧] ، أما في المدينة فكان العامل على السوق في ولاية عمر

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٣ قسم ١ ، ص ٢٠٢ ، السمهودي ، وفاء ، جـ ٢ ، ص ٧٥٧ .
Miles , Earliest Arab Gold Coinage , p . 221 .

(٢) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ٢ ، ص ٧٥٧ .

(٣) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٤٠ ، الدوري ، نشوء الأصناف والحرف في الاسلام، ص ١٣٨ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٣ ، قسم ١ ، ص ١٨ .

(٥) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٩٨ .
Gibb , The Fiscal Rescript Of ʿUmar II, p. 6.

(٦) ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٧) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٤٩ .

ابن عبد العزيز على المدينة، سليمان بن يسار[١] . وقد ذكر صاحب الأغاني أن بردان كان عاملا على سوق المدينة في العصر الأموي ، ولكنه لم يذكر زمن تعيينه[٢] . ويبدو أن عامل السوق كانت له اختصاصات قضائية ، خاصة في المعاملات أو الخلافات التي تنشأ بين الباعة في السوق[٣] ، فيذكر الأصفهاني أن بردان هذا « قدم اليه رجل خصماً يدعي عليه حقا فوجب الحكم عليه فأمر به الى الحبس »[٤] . كما يبدو أن من مهام عامل السوق مراقبة أصحاب الحرف والصناعات كي لا يهربوا بأموال الناس أو حاجاتهم[٥] . وفي المدينة المنورة كان صاحب السوق يجلس في فناء دار معمر بن عبد الله العدوي[٦] ، في سوق المدينة .

وكان العامل على السوق يعين من قبل الوالي[٧] ، ويعتبر أحد موظفي الدولة الذين يتقاضون مرتباً من بيت المال[٨] .

## ٥ ـ الأسعار والعوامل المؤثرة فيها :

لقد ذكرنا أن وحدة الدولة الأموية ، ساعدت على تقدم التجارة وتنقل الأشخاص والسلع بين مختلف أقاليم الدولة الاسلامية ، كما أن الدولة الأموية لم تحتكر أية بضاعة أو تحل دون مبادلتها ، ما دام تداولها لا يتعارض مع مبادىء الشريعة الإسلامية . وهذه السياسة تنشط التجارة ، لكنها تفسح

---

(١) ابن سعد ، الطبقات جـ ٥ ، ص ١٣٠ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٢٧٧ .
(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٢٧٧ .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٨ ، ص ٢٧٧ .
(٥) مالك ،المدونة ، جـ ١١ ، ص٣٨٨ ـ ٣٨٩ .
(٦) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ ، ص ٧٥٠ .
(٧) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٣٠ .
(٨) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٠ ، ابن الأخوة ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص ٥٦ .

المجال للاحتكارات وما تجره من تلاعب في أسعار السلع المعروضة في الأسواق ، وخاصة معاش السواد الأعظم من الناس[1] ، مثل أسعار المواد الغذائية التي تجلب من خارج نجد والحجاز كالحنطة والسكر والزيت وغيرها ، لكن الرعيل الأول من المسلمين كانوا ينفرون من هذه الاحتكارات بسبب نهي الرسول (ﷺ) عنها[2] .

إن المصادر التي بين أيدينا لا تعطينا معلومات دقيقة ومفصلة عن الأسعار التي كانت سائدة في العصر الأموي ، لكنها تشير أحياناً الى أسعار بعض السلع . وأحياناً أخرى تذكر أسعار السلع التي ارتفعت نتيجة الحروب أو الفتن الداخلية . فقد تعرضت نجد والحجاز لعدد من الفتن التي أدت الى ارتفاع الأسعار ، ارتفاعاً فاحشا ، نتيجة لقلة العرض وازدياد الطلب على المواد والسلع ، فازدادت أحوال الناس سوءاً ، حتى وقعت المجاعة ، وأكلت لحوم البراذين[3] والكلاب[4] .

ففي المدينة المنورة ، ارتفعت الأسعار بعد موقعة الحرة ، حتى فكر بعض سكانها في الجلاء عنها[5] . وأثناء الحصار الذي ضربه الحجاج على مكة خلال حركة عبد الله بن الزبير ، ارتفعت الأسعار في مكة ارتفاعاً فاحشا ، حتى أصاب الناس مجاعة شديدة ، فيروي الواقدي أن الدجاجة بيعت بعشرة دراهم ، ومد الذرة بعشرين درهما[6] . ويقول ابن عون : أن

---

(١) صالح العلي ، ادارة الحجاز ، ص ٣١ .

(٢) روى ابو داود أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحتكر الا خاطىء » . سنن أبي داود ، ج٢ ، ص ٢٤٣ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ٣٦١ ، الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٦ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ٢٣ ، الفاسي ، العقد الثمين ، جـ ٥ ، ص ١٤٧ .

(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ٣٦٢ .

(٥) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ١ ، ص ٣٩ .

(٦) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ٣٦١ ، الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٦ ، ابن فهد ، إتحاف الورى ، ص ٣٦٠ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ٢٣ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، ورقة ٣٧ ، الفاسي ، تحفة الكرام ، ورقة ١١٣ب . والمد يساوي ربع الصاع ، انظر : أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٢٩ ، الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٢٩٥ . كما يساوي المد ٨١٢,٥ غم (قمح ) . هنتس ، المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٧٤ .

تاجراً قدم من جدة الى مكة « بأحمرة تحمل قمحاً فرأيته يبيع الصاع بما احتكم ورأيت صياداً قدم بحيتان قشر فباع كل حوت بدرهم »[١] . وأحيانا ينعدم المعروض في الأسواق ، فلا يوجد ما يشترى على الرغم من وجود النقود، فيقول طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، الذي اشترك مع ابن الزبير ضد الحجاج بأنه كان « معنا نفقة لا نجد ما نبتاع . . . »[٢] .

وخلال هذه الفتنة ، أصابت الناس في المدينة المنورة مجاعة شديدة ، فكانوا لا يتناولون من ليل الى ليل الا حسى من حنطة مطبوخة وعدس[٣] . وارتفعت الأسعار حتى بلغ مد الحنطة درهمين[٤] ، وهذا السعر مرتفع جدا ، إذا عرفنا أن يزيد بن معاوية وعد أهل الحجاز ، قبل موقعة الحرة ، بوضع سعر الحنطة عندهم سبعة أصواع بدرهم ، كما هو معمول به في الشام[٥] .

ومما لا ريب فيه أن حالات الغلاء هذه كانت مؤقتة ، ولا تمثل الأسعار التي كانت سائدة في الحجاز ، وإنما ارتفعت نتيجة الحروب واضطراب حبل الأمن ، ولقد زالت بزوال الفتن ، بعد أن عاد الحجاز الى حظيرة الدولة الاسلامية فتحسنت الأحوال واعتدلت الأسعار ، في الربع الأخير من القرن الأول الهجري ، ولم تعد المصادر تذكر تغيرات كبيرة في الأسعار ، تتطلب تدخل الدولة ، الا في عهد عمر بن عبد العزيز . فيروي أبو يوسف أن الأسعار كانت مرتفعة في عهده فلما طلب منه أن يضع تسعيرة إجبارية رفض هذا الطلب[٦] . ولا ريب أن ذلك اقتداء بالرسول ، صلى الله عليه وسلم ،

---

( ١ ) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٦ .

( ٢ ) نفس المصدر ، ص ٢٦ .

( ٣ ) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ ، ص ٥٩ ، جـ ٥ ، ص ١٨٩ .

( ٤ ) نفس المصدر ، ص ٣٥٥ .

( ٥ ) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، جـ١ ، ص١٧٧ . والصاع يعادل خمسة أرطال وثلث . أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٢٣ ، ويتألف من أربعة أمداد ، ويعادل ٣,٢٤٥ كغم قمح . انظر : هنتس ، المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٦٣ وانظر : عن المكاييل والأوزان المستخدمة في الحجاز ونجد في العصر الأموي ، ما كتبناه في نهاية هذا الفصل .

(٦) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٤٢ .

الذي رفض فرض تسعيرة إجبارية في فترة إرتفعت فيها الأسعار في المدينة المنورة[١] .

وقد يكون إرتفاع الأسعار ، عن معدلاتها الطبيعية عائداً إلى الجفاف الذي ينتاب البلاد ، مما يكون له تأثير على الزراعة ، التي تعتمد على الأمطار فيقل الانتاج وبالتالي يقل المعروض في الأسواق ، في الوقت الذي يزداد الطلب مما يؤدي الى ارتفاع السعر . وقد مرت الحجاز بفترة الجفاف وقلة الأمطار في عهد هشام بن عبد الملك ، لعدة سنوات كانت تعرف « بسنيات خالد » نسبة إلى والي المدينة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص حتى « جلا الناس من بادية الحجاز الى بادية الشام »[٢] . وقد يكون ارتفاع الأسعار نتيجة لتعرض المنتجات الزراعية لبعض الآفات كالجراد ، كما حدث في المدينة في العصر الأموي[٣] ، فيقل العرض ويزداد الطلب فيرتفع السعر .

وفي موسم الحج ترتفع الأسعار في الحجاز ، حيث يصلها عشرات الألوف من الحجاج لأداء الفريضة ، ولا ريب أن ذلك يؤثر في إرتفاع الأسعار فكان ارتفاع الأسعار في موسم الحج يعم كل شيء حتى الماء ، فيذكر الفاكهي أن ندرة الماء في مكة في موسم الحج جعلت الراوية تبلغ العشرين درهماً أو اكثر ، أما في الأيام العادية فكان ثمنها ستة دراهم أو أربعة دراهم[٤] .

من الواضح أن الدولة الأموية لم تضع تسعيرة إجبارية ، لكنها قامت

---

(١) روى أبو داود قال : قال الناس : يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا ، فقال رسول الله ﷺ « إنما الله هو المسعر القابض الباسط الرازق ، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال » . أبو داود ، السنن ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٢) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٢٣ .

(٤) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٣٣ .

ببعض التدابير التي أثرت في تحديد الأسعار بطريقة غير مباشرة ، فكان العطاء الذي تدفعه الدولة للسكان ، يحدد القدرة الشرائية لهم ، كما كانت توزع عليهم القمح مجانا[١] ، وربما بعض المواد الغذائية الضرورية الأخرى[٢] مما ضيق مجال التلاعب في أسعار المواد الغذائية الضرورية للمعيشة ، لذلك ندرت الاشارة الى أسعارها الا في حالات الشدة والفتن والحروب .

ولكن من الممكن أن نعطي صورة تقريبية لأسعار القمح في نجد والحجاز مقارنة بالسعر في الشام . فلقد وعد يزيد أهل الحجاز قبيل موقعة الحرة بجعل سعر الحنطة في الحجاز مساوياً لسعرها في الشام ، أي سبعة أصواع بدرهم[٣] ، وهذا يدل على أن سعرها في الحجاز كان اكثر من سعرها في الشام ، وقد تكون الزيادة ليست كبيرة لأننا نعلم أن الحجاز ونجد مناطق خصبة صالحة للزراعة ، كما أن الدولة اعتادت توزيع الرزق على المواطنين ، مما يؤدي الى كثرة المعروض في الأسواق ورخص سعره .

أما أسعار الحيوانات فلا شك أنها تختلف باختلاف أعمارها وتدريبها وتكوينها وتتضمن المصادر أحيانا بعض الاشارات التي تدلنا على سعرها فيروي أبو نعيم أن صفوان بن سليم اشترى بدنة بسبعة دنانير[٤] ، كما اشترى حمزة بن عبد الله بن الزبير جملاً بخمسين دينارا[٥] . وباع كثير عزة جملاً بمائتي درهم ، وقوم جملا بخمسة وعشرين دينارا[٦] . كما قومت شاة بخمسة دراهم[٧] . أما الخيل فقد اشترى عبيد الله بن القاسم بن ضبية فرسه بمائة

(١) انظر العطاء والرزق في الفصل الرابع من هذا الباب .
(٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣١٤ ، العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص ١٧٤ .
(٣) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، جـ ١ ، ص ١٧٧ .
(٤) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ٢٣٩ .
(٥) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٤٩ .
(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ ، جـ ٩ ، ص ٣١ .
(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٩٠ .

دينار[١] . كما كانت فرس الأبجر بمئة دينار[٢] .

أما الألبسة فكانت أسعارها تختلف باختلاف المواد المصنوعة منها ، والمهارة الفنية في صنعها ، فكانت الثياب العادية من الخمسة الى العشرين درهما[٤] . وكان ثوب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب بدرهمين[٣] ، وثوب عطاء بن أبي رباح يساوي خمسة دراهم[٥] . واشترى الحسن بن علي بن أبي طالب ثوباً بأربعة عشر درهما[٦] كما اشترى أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ثوباً بدينار الا درهما[٧] . واشترى أشعب قطيفة بدينار[٨] ، وكان الثوبان من ثياب مصر من الأشمونيين بدينار[٩] . أما الطيلسان المستعمل فكانت قيمته مائة درهم[١٠] وهذه الألبسة كلها مصنوعة من مواد أولية رخيصة .

أما الألبسة الغالية فهي المصنوعة من الخز والحرير وغير ذلك فعمر بن عبد العزيز عندما كان والياً على المدينة كان يلبس كساء خز قيمته مئة دينار[١١]. ويذكر المسعودي أنه كان يلبس الحلة بألف دينار[١٢]، ويلبس الثوب بأربعمائة درهم[١٣]. أما علي بن الحسين فكان يشتري كساء الخز

---

(١) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ٢٦٠ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٣٤٥ .
(٣) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ١ ، ص ٣٠٢ .
(٤) ابن الجوزي ، صفة الصفوة جـ ٢ ، ص ٥١ ، المنتظم ، ص ٤٧١ ، ابن بدران ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، جـ ٦ ، ص ٥٠ ، ابن عبد البر القرطبي ، بهجة المجالس ، جـ ٢ ، ص ٧٨ .
(٥) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ٣١١ .
(٦) الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ، جـ١ ، ص ٢٩١ .
(٧) مالك ، المدونة ، جـ ٨ ، ص ٤٠٧ .
(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢٢ ، ص ١٤٠ .
(٩) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٦١ .
(١٠) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١٢١ .
(١١) البلاذري ، أنساب الأشراف جـ ٧ ، ص ١٣٠ ، مجهول المؤلف ، العيون والحدائق ، ص ٤٠ .
(١٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، ابن العمراني ، الانباء في تاريخ الخلفاء ، ص ٥١ .
(١٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٤٦ .

بخمسين دينار[١] ، وكان عبد الله بن عباس يلبس الحلة بألف درهم[٢] ، كما اشترى ثوباً بألف درهم [٣] . أما عبد الله بن عمر فكان يلبس مطرف الخز ثمنه خمسمائة درهم [٤] وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم [٥] . كما كان محمد بن عمرو بن حزم يشتري مطرف الخز بسبعمائة درهم [٦] . وكان مروان بن أبان بن عثمان يلبس رداء عدنياً قيمته ألفا درهم[٧] وتباع الحلة أحيانا بمائتي درهم[٨] ، وكانت حلة الأبجر بمئة دينار[٩] . أما ذو الرمة الشاعر ، فكان يلبس البرد قيمته مائتا دينار[١٠].

وتختلف أسعار الرقيق باختلاف أصلهم وجنسهم وسنهم ومهاراتهم ومدى الاقبال عليهم . ولا ريب أن تطور المجتمع في الحجاز ، وارتفاع مستوى المعيشة وتدفق الأموال ، زاد الطلب على الرقيق لاستخدامهم للخدمة في البيوت أو في الحياة الاقتصادية ، كالزراعة والصناعة والتجارة . وقد ذكر الأصفهاني نصاً يبين اختلاف أسعار الرقيق باختلاف مهاراتهم ومواهبهم ، فقد روي أن الشاعر نصيباً أدخل على عبد العزيز بن مروان ، فطلب من المقومين أن يقوموا سعره قائلا : قوموا غلاماً أسود ليس به عيب ، قالوا : مئة دينار ، قال : إنه راع للابل قالوا : مائتا دينار . قال : إنه يبري القسي ويرمي النبل قالوا : أربعمائة دينار قال : إنه راوية للشعر ، فقالوا ستمائة دينار ، قال : إنه

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٦١ ، العيني ، عقد الجمان ، جـ ١١ ، قسم ٣ ، ص ٣٩٧ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٣٠٦ .
(٣) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ١ ، ص ٣٢١ .
(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١٢٧ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ١٧٨ .
(٥) الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، جـ ٢ ، ص ٢٦ .
(٦) ابن سعد ، الطبقات جـ ٥ ، ص ٥٠ .
(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٩ ، ص ١٤٧ .
(٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٢٣ .
(٩) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٣٤٥ .
(١٠) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٨ ، ص ٣٥ .

شاعر ، قالوا : ألف دينار[1] .

وقد ذكرت المصادر بعض أسعار الرقيق في نجد والحجاز في العصر الأموي ، فقد اشترى عبد الله بن جعفر جارية من مكة بأربعين الف درهم[2] وأخرى من المدينة بعشرة آلاف درهم[3] ، وسام عبداً لعلي بن الحسين بن أبي طالب بعشرة آلاف درهم[4] ، كما سام نافع مولى عبد الله بن عمر باثني عشر ألف درهم[5] . ويروي وكيع أن جارية ابراهيم بن قتيلة بيعت بخمسمائة دينار في سوق الرقيق في المدينة[6] . واشترى عبد الله بن عمر غلاماً بأربعين ألف درهم[7] . ويذكر الأصفهاني أن كثير عزة اشترى وصيفة بثلاثمائة درهم ، وبعد أن علمها الغناء باعها بألف دينار[8] . كما اشترى نجدة بن عامر الحنفي بنت عمرو بن عثمان بن عفان عندما وقعت في أيدي الخوارج ، وباعوها على أنها رقيق بمئة الف درهم[9] ، لكن هذه حالة خاصة لا تعبر عن سعر الرقيق في نجد . وبيع عكرمة مولى عبد الله بن جعفر بعشرة آلاف درهم[10]، واشترى المغني دحمان جارية بمائتي دينار[11]، واشترى ثابت بن

---

(١) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ، الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ ٥ ، ص ٤٧٢ .

(٢) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٧ ، ص ١٧٥ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ١ ، ص ٢٩٧ ، ابن حجة ، ثمرات الأوراق ، جـ ١ ، ص ١٢٩ .

(٣) الأبشيهي ، المستطرف ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ .

(٤) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ٦٧ .

(٥) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٦١ .

(٦) وكيع ، أخبار القضاة ، جـ ١ ، ص ١٩٥ .

(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٤ .

(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ٢٦٠ .

(٩) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٧٢ .

(١٠) ابن سعد، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢١٢ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٥٥ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ٥٨ . الكتبي ، عيون التواريخ ، ج ٥ ، ص ٤٥٥ ، الطبري ، المنتخب من كتاب ذيل المذيل ، ص ١٢١ ، ويذكر ياقوت أنه بيع بأربعة آلاف دينار ، معجم الأدباء ، جـ ١٢ ، ص ١٨٤ .

(١١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٦ ، ص ٢٥ .

عبد الله بن الزبير جارية بربرية بأربعين الف درهم [١] كما اشترى يزيد بن عبد الملك حبابة بأربعة آلاف دينار [٢] ، وسلامة بعشرين ألف دينار [٣] أما الوليد بن يزيد فقد اشترى جارية من دحمان في أواخر العصر الأموي بعشرة آلاف دينار [٤] .

وكان الرقيق أحياناً يشترى بالمقايضة فيذكر الزبير بن بكار أن ثابت بن عبد الله بن الزبير اشترى جارية بمئة ناقة [٥] .

أما أسعار المساكن والأراضي فتشير المصادر اليها إشارات عابرة فقد باع حويطب بن عبد العزى داراً له في المدينة لمعاوية بن أبي سفيان بأربعين ألف دينار [٦] ، كما اشترى من متعب بن أبي لهب داراً بمئة ألف درهم [٧] ، واشترى دار الندوة بمئة ألف درهم [٨] . وقومت دار الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بثمانية آلاف دينار [٩] . كما باع عبد الله بن عتبة بن مسعود داراً له بثمانين ألف درهم [١٠]، واشترى عامر بن عبد الله بن الزبير داراً بألف دينار

---

(١) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٩٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٣ ، الأصفهاني ، الأغاني جـ ١٥ ، ص ١٢٥ ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٠٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٣٢ .

(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٣٤٣ ، ويذكر البلاذري أنه اشتراها بأربعة آلاف دينار ( أنساب الأشراف جـ ٧ ، ص ١٨٦ ) .

(٤) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٢٦ .

(٥) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ١١٥ - ١١٦ .

(٦) الزبيري ، نسب قريش ، ص ٤٢٦ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٣١١ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ ١ ، ص ٣٩٩ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٣٦٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٧٠ .

(٧) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٥٧ .

(٨) الزبير بن بكار ، المصدر السابق ، ص ٣٥٤ .

(٩) ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٦٨ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ ، ص ٥١٤ .

(١٠) أسامة بن منقذ ، المنازل والديار ، ص ٢٩٠ .

على أن يدفعها بعد ثلاث سنوات[١] ، وهذا يدلنا على أن البيع بالمؤجل كان موجودا ، أما المقايضة في بيع العقار ، فكانت موجودة أيضا ، يذكر أبو نعيم أن عبد الله بن عمر باع أرضاً بمائتي ناقة[٢] . أما أسعار الأقواس العربية فكانت تتراوح ما بين دينار[٣] وعشرة دنانير[٤] ، حسب المهارة الفنية في صنعها ، والمواد المصنوعة منها .

## ٦ ـ أسلوب التعامل في الأسواق :

يعتبر النظام النقدي ( كالتعامل بالدينار والدرهم ) ، أبرز وسائل التعامل التجاري التي سادت الأسواق . ولدراسة النظام النقدي لا بد من دراسة جميع أنواع العملة ، لأهمية ذلك في معرفة الأسعار وضبط الإيرادات والمصروفات .

كان العرب قبل الاسلام يتعاملون بالنقود الرومية والفارسية ، وبقليل من نقود اليمن الحميرية ، وكانت النقود الغالبة على التعامل ، هي الدنانير الذهب الرومية ، والدراهم الفضة الفارسية[٥] . وكان تعاملهم بهذه النقود بالوزن وليس بالعدد ، فكانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهما وتزن الذهب بوزن تسميه مثقالاً[٦] ، فكان وزن العشرة دراهم من الفضة يساوي سبعة مثاقيل[٧] .

---

(١) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ .

(٢) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ١ ، ص ٢٩٦ .

(٣) القيرواني ، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، ص ٦٧ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٦١ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦٥٢ ، المقريزي ، إغاثة الأمة بكشف الغمة . ص ٤٨ ـ ٤٩ ، شذور العقود ، ص ٣ ، عبد الواحد طه ، صور من سياسة الحجاج المالية في العراق ، ص ٢٥ .

(٦) الدينار كوحدة وزن يساوي نظرياً مثقالاً واحدا . أنظر: فالتر هنتس ، المكاييل والأوزان الاسلامية ص ٢٩ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦٥٢ ، المقريزي ، شذوذ العقود ، ص ٤ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٣ .

وعندما جاء الاسلام أقر الرسول ، ﷺ ، التعامل بهذه النقود والأوزان على ما كانت عليه[1] ، وكذلك فعل أبو بكر الصديق[2] . ولما تولى عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) رأى أن الدراهم المستعملة مختلفة الوزن ، فمنها ما كان يسمى البغلي[3] ، وهو ثمانية دوانق ، والطبري وهو أربعة دوانق[4] ، والمغربي وهو ثمانية دوانق ، واليمني وهو ستة دوانق[5] ، ولكن غالبية الدراهم التي كانت سائدة هي الدراهم البغلية والطبرية ، فرأى عمر أن يجمع بينهما وأن يأخذ متوسطهما فكان ستة دوانق فجعل الدرهم الاسلامي في ستة دوانق[6] .

ويذكر المقريزي أن الخليفة عمر بن الخطاب ، أمر في سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م بضرب نقود جديدة على طراز النقود الساسانية ، وأنه زاد في بعضها ( الحمد لله ) وفي بعضها ( محمد رسول الله ) وفي بعضها ( لا إله إلا الله وحده )[7] وعندما تولى عثمان بن عفان ( رضي الله عنه ) ، ضرب دراهم منقوشاً عليها ( الله أكبر )[8] . كما ضرب معاوية بن أبي سفيان ، أثناء خلافته ، دنانير عليها صورته متقلداً سيفا ، ودراهم يزن الواحد منها ستة

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦٥٢ ، المقريزي ، إغاثة الامة ، ص ٥١ شذور العقود ، ص ٦ .

(٢) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٦٥٣ ، المقريزي ، شذور العقود ، ص ٧ ، وإغاثة الأمة ، ص ٥١ ،
Lavoix , Catalogue des monnaies Musulmanes , p . 12 .

(٣) الدرهم البغلي ، منسوب الى ضراب يهودي ، ضرب تلك الدراهم كان يسمى بغل أو رأس البغل . انظر: الكرملي ، النقود العربية وعلم النميات ، ص ٢٢ ، وعن الدانق أنظر: وحدات الكيل والوزن في نهاية هذا الفصل .

(٤) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ . المقريزي ، كتاب النقود القديمة الاسلامية ، ص ٢٧ ، والدراهم الطبرية هي المضروبة في طبرستان، الكرملي ، النقود العربية ، ص ٢٤

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٣٣ . ويذكر الماوردي أن المغربي ثلاثة دوانق واليمني دانقاً واحدا ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ .

(٦) ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٤أ ، ٤٥ب ، ابن خلدون ، المقدمة، ص ٢٣٣ .

(٧) المقريزي ، إغاثة الأمة، ص ٥١ ، شذور العقود ، ص ٧ ـ ٨ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٨ .

دوانق[1] . لكن هذه النقود لم يصل الينا منها شيء ، ويرجّح عبد الرحمن فهمي عدم وصولها الينا ، الى احتمال صهرها عند اصلاح العملة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان[2] .

وعندما أعلن عبد الله بن الزبير الخلافة في مكة ، ضرب دراهم مدورة ، فكان أول من ضرب الدراهم المستديرة ، ونقش بأحد الوجهين « محمد رسول الله » وبالآخر « أمر الله بالوفاء والعدل »[3] ، وضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم بالعراق[4] ، وأعطاها الناس في العطاء ، وظل التعامل بها جارياً حتى أُبطل من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي[5] ، بعد هزيمة عبد الله بن الزبير ومقتله .

وعندما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة استمر في ضرب النقود على الطرازين الساساني[6] والبيزنطي[7] ، لكن ذلك كان لفترة مؤقتة ، فقد قرر أن يقوم بعملية شاملة لإصلاح وتعريب النقود ، وسك عملة جديدة ، فضية وذهبية ، خالية من الشارات المسيحية والصور الآدمية[8] . ويختلف المؤرخون في التأريخ الذي بدأ فيه عبد الملك بن مروان هذا الاصلاح النقدي فبينما تذكر بعض الروايات أن عبد الملك ضرب شيئا من الدنانير سنة

---

(١) المقريزي ، اغاثة الأمة ، ص ٥٢ ، الخضري ، محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢١٩ .

(٢) عبد الرحمن فهمي ، مجموعة النقود العربية ، ص ٣٧ .

(٣) المقريزي ، اغاثة الأمة ، ص ٥٣ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٥٣ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، ص ٦٣ ، ابن كثير، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ورقة ١٤ ، الخضري ، تاريخ الأمم الاسلامية ،جـ ٢ ، ص ٢١٩ .

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٥٣-٦٥٤ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، ورقة ٦٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ١٥ ، الريس، الخراج ، ص ٢٢٥ .

(٦) النقشبندي ، الدرهم الاسلامي المضروب على الطراز الساساني ، جـ ١ ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ٥٧ - ٥٨ ، طه، صور من سياسة الحجاج المالية في العراق ، ص ٢٧ .

(٧) Walker , A Catalogue of the Arab - Byzantine and Post - reform Umayyad Coins , pp . 32ff .

(٨) Lavoix , Catalogues des Monnaies Musulmanes , p . 52 .

٧٤هـ/ ٦٩٣م[١] ، نجد المدائني يذكر أنها ضربت سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م[٢] بينما تؤكد روايات أخرى أن بداية الضرب للعملة الجديدة كان سنة ٧٦هـ/ ٦٩٥م[٣] . والذي يبدو أن بداية الضرب للعملة الجديدة كان سنة ٧٤هـ/ ٦٩٣م ، حيث أنشأ عبد الملك دار الضرب بدمشق ، وبدأ بإصدار الدينار العربي الذهبي ، كما أصدر أمره إلى الحجاج بإنشاء دار الضرب في الكوفة . وبدأ الحجاج بإصدار الدرهم العربي الاسلامي ، ويؤيد هذا الاحتمال وجود دينار في المتحف الأهلي الباكستاني يعود ضربه الى سنة ٧٤هـ/ ٦٩٣م[٤] . أما الروايات الأخرى فربما تحمل على أن المراد بها هو تعميمها في أقاليم الدولة الاسلامية ، وليس البدء في ضربها[٥] .

وتعلل بعض المصادر الأسباب التي جعلت عبد الملك بن مروان يقدم على هذا الاصلاح بروايات غير مقنعة ، وهي في مجملها تدور حول العلاقة بين الدولة البيزنطية والدولة الاسلامية ، فتذكر أن الخليفة عبد الملك بن مروان أمر بكتابة ( قل هو الله أحد ) على القراطيس التي تحمل من مصر الى بلاد الروم ، فاستاء منها ملك الروم ، وأرسل يهدد عبد الملك بن مروان ، بأن يزيل هذه الآية من على القراطيس ، والا فانهم سيكتبون على النقود التي تأتي من الدولة البيزنطية ، ما يسيء الى الرسول الكريم ( صلى الله عليه

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦٥٥ ، ٦٥٧ ، ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ، ٤٥أ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ص ١٥ ، ابن خلدون ، المقدمة ص ٢٣٢ . الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ .

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ . ابن خلدون ، المقدمة، ص ٢٣٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ١٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٢٥٦ ، الدينوري ، الأخبار الطوال، ص ٣١٦ ، المقريزي ، إغاثة الأمة ، ص ٥٤ ، النويري ، نهاية الأرب جـ ١٩ ، ورقة ٦٢ .

(٤) Miles , Earliest Arab Gold Coinage p . 212 .

(٥) لقد عثرت مديرية الآثار العراقية سنة ١٩٧٥م على درهمين مهمين للخليفة عبد الملك بن مروان ، الأول مضروب سنة ٧٩هـ/ ٦٩٨م في مدينة سابور ، والثاني مضروب سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م في مدينة الفرات . انظر : عيسى سلمان ، درهمان مهمان للخليفة عبد الملك بن مروان ، مجلة المسكوكات ، العدد ٦ ، بغداد : ١٩٧٥م ، ص ٦ - ٧ .

وسلم ) ، فاستشار عبد الملك خالد بن يزيد بن معاوية ، فنصحه بتحريم دنانيرهم ، وسك عملة جديدة ، فضرب الدنانير والدراهم[١] .

والواقع أن الاصلاح النقدي الذي قام به عبد الملك بن مروان ، كان ضرورة ، لاستقرار الدولة الاقتصادي[٢] ، فقد توسعت الدولة الاسلامية ، وتغلبت على العقبات والمشكلات الخارجية ، فأصبح من غير المعقول أن تبقى مثل هذه الدولة الواسعة معتمدة في تعاملها التجاري والاقتصادي على نقود أجنبية ، محدودة الكمية ، باقية من أيام الجاهلية ، أو تورد من بلاد العدو ، بوسيلة تجارية ضئيلة ، تهددها الحرب بين آونة وأخرى مع الدولة البيزنطية[٣] . أما من ناحية أخرى فإن اتساع دائرة النشاط التجاري للدولة الاسلامية ، أدى الى عدم استقرار قيمة الدينار البيزنطي ، وما تلا ذلك من تلاعب في الأسعار[٤] . أما الدراهم ، فإن كثيرا من العملة الفضية الفارسية كان مغشوشا[٥] وأدى ذلك الى نتائج خطيرة كان من أهمها الغبن الذي يقع على الدولة في استيفاء حقوقها من الضرائب ، فيؤدي ذلك الى نقص كمية الخراج[٦] ، علاوة على أن النقود في الدولة الأموية والمستوردة من الخارج ، كانت أوزانها متباينة ، نظراً الى أن أصولها تعود الى جهات متعددة[٧] .

لقد تشدد عبد الملك في هذا الاصلاح النقدي ، فجاءت هذه العملة الجديدة نقية خالصة من الشوائب ، بعيدة عن الغش والتزييف ، كما أصبح ضربها من حق الدولة ومقصوراً على دور الضرب الحكومية المعتمدة .

---

( ١ ) المقريزي ، اغاثة الأمة ، ص ٥٣ ، شذور العقود ، ص ١١ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ . وانظر : عبد الواحد طه ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

( ٢ ) فهمي ، مجموعة النقود العربية ، ص ٥٣ .

( ٣ ) الريس ، الخراج ، ص ٢٢٤ .

( ٤ ) العدوي ، الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ١٢٣ .

( ٥ ) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٤ ، الريس ، الخراج والنظم المالية ، ص ٢٢٤ .

(٦) الريس ، عبد الملك بن مروان ، ص ٢٢١ .

(٧) الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص ٣١ .

وشددت الدولة عقوبة من يمس العملة بغش ، أو يحاول سكها[1] ، فعاقب ابان بن عثمان، وكان والياً على المدينة رجلا حاول أن يسك النقود ويغشها بأن ضربه ثلاثين سوطا ، وطاف به[2] ، كما اعتبر سعيد بن المسيب غش النقود وتزييفها من الفساد في الأرض[3] . وعندما كثرت العملة في الأسواق أمر عبد الملك بمنع التعامل بالنقود الأجنبية ، وجمعت من الأسواق ، وأعيد سكها كعملة جديدة ، فبطل منذ ذلك الوقت التعامل بالنقود الفارسية والبيزنطية ، وصارت العملة موحدة في جميع أقاليم الدولة الاسلامية[4] .

ولقد وصلت العملة الجديدة التي ضربها عبد الملك بن مروان الى الحجاز ، وفي المدينة بقية من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فلم ينكروها ، وكان سعيد بن المسيب يبيع بها ويشتري[5] .

لقد ثبت أن أوزان دراهم ودنانير الخليفة عبد الملك بن مروان ، كانت مطابقة للأوزان الشرعية ، أي أنه جعل وزن الدينار مثقالا ، وهو ما سنه النبي ـ ﷺ ـ في فريضة الزكاة ، لهذا استقر الاجماع على أنها هي النقود الشرعية التي تؤخذ بها الزكاة وتؤدى بها كل الحقوق والواجبات الشرعية[6] . وكانت العلاقة بين الدينار والدرهم في الوزن لافي القيمة ٧ : ١٠ فكان وزن الدرهم يساوي ستة دوانق ، ووزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل[7] بيد أن قيمة الدرهم من الدينار لم يقف عند حد معين في كل الأزمنة لأنه خضع لعدة تغييرات ، فكانت قيمة الدينار تختلف من عشرة دراهم الى ثلاثة عشر درهما

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦٥٨ ، الريس ، الخراج ، ص ٢٢٥ .

(٢) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٦٥٨ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٦٥٨ .

(٤) الريس ، الخراج والنظم المالية ، ص ٢٢٦ .

(٥) المقريزي ، اغاثة الامة بكشف الغمة ، ص ٥٤ .

(٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦٥٦ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ ، المقريزي ، اغاثة الأمة ، ص ٥٦ ـ ٥٧ .

(٧) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٣٠ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٥٣ المقريزي ، شذور العقود ، ص ١٣ ـ ١٤ .

الى خمسة عشر درهما ، حسب نقاء الذهب من الغش (١)، وسعر الصرف السائد في السوق الذي تحدده الأحوال التجارية(٢) .

لقد بقي دينار الخليفة عبد الملك بن مروان على وضعه السابق ، حتى عهد الوليد بن عبد الملك ،ففي سنة ٩٢هـ / ٧١٠ م، حدثتطور جديد في العملة وهو ظهور قطعة نقدية ذات فئة نصف دينار ، كما أن الكتابة أو النقش إعتراه بعض التحوير ، وأضيفت اليه البسملة(٣) .

ولما تولى العراق عمر بن هبيرة في عهد يزيد بن عبد الملك ، ضرب دراهم أجود مما كانت عليه ، وشدد في وزنها حتى تكون بعيدة عن الغش والتزييف ، فنسبت اليه الدراهم الهبيرية ، وكان الدرهم الهبيري يزن ستة دوانق(٤) . ثم تولى بعده خالد بن عبد الله القسري لهشام بن عبد الملك ، فاشتد في تخليص الفضة من الشوائب اكثر من شدة ابن هبيرة ، فنسبت اليه الدراهم الخالدية ، وكان وزن الدرهم الخالدي سبعة دوانق(٥) وفي سنة ١٢٠هـ / ٧٣٩م تولى ولاية العراق يوسف بن عمر الثقفي ، فأفرط في الشدة ودقة العيار ، وصغر حجمها على وزن ستة دوانق ، فنسبت اليه الدراهم اليوسفية(٦) ، وكانت الدراهم الهبيرية والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية ، ولم يكن الخليفة أبو جعفر المنصور يقبل في الخراج غيرها(٧) .

---

(١) حورية سلام ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط ، ص ١١٦ .

(٢) الريس ، الخراج ، ص ٣٨٣ .

(٣) Stanley Lane - Poole , Catalogue of Arabic Coins in the khedival Library at Cairo , London , 1897 , P . 6 .
ويوجد في المتحف التاريخي في بيرن Berne ( ٧٥ ) قطعة نقدية تعود الى العصر الأموي ومنها درهم ضرب في سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م في عهد الوليد بن عبد الملك . أنظر :
Miles Some Islamic Coins in the Berne Historical Museum , pp . 131 , 132 .

(٤) المقريزي ، كتاب النقود القديمة الاسلامية ، ص ٤٤ . (٥) نفس المصدر ، ص ٤٤ .

(٦) المقريزي ، كتاب النقود الاسلامية ، ص ٤٤ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦٥٦ - ٦٥٧ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ٥٤ . المقريزي ، اغاثة الأمة ، ص ٥٨ - ٥٩ ، شذور العقود ، ص١٦ ، ابن تغري بردي ، النجوم=

لقد كانت درجات العملة السائدة في عصر بني أمية ، الدينار ، والدرهم ، والدانق ، والقيراط[1] ، وتختلف مقاييس التبادل والصرف لهذه العملة باختلاف الوزن ونقاء المعدن من الغش وسعر الصرف السائد في السوق . ولقد كانت هذه النقود هي السائدة في أسواق نجد والحجاز في العصر الأموي ، ويتم بموجبها تبادل البيع والشراء في الأسواق[2] ، كما كانت الدولة تدفع بها مرتبات الموظفين والعطاء .

ولم تقتصر المعاملات المالية في أسواق نجد والحجاز على البيع والشراء بالدرهم والدينار ، وإنما كانت المقايضة موجودة أيضا في هذا العصر وخاصة في تجارة الألبسة والمواد الغذائية والرقيق ، يروي الإمام مالك أن عبد الله بن عمر بن الخطاب « إشترى راحلة بأربعة أبعرة »[3] ، واشترى ثابت بن عبد الله بن الزبير جارية من سكينة بنت الحسين بمئة ناقة[4] . كما كان البيع بالمؤجل متبعاً أيضاً في الأسواق ، فكان الناس يشترون من التجار ، ويؤجلون دفع الثمن حتى يخرج عطاؤهم[5] ، ولكن المصادر لا تروي لنا الا أمثلة قليلة ، فكان عبد الله بن عمر « يبتاع البيع ويشترط على صاحبه أن يعطيه إذا خرجت غلته أو الى عطائه »[6] وكان إبنه سالم بن عبد الله يشتري من الجزار كل يوم لحماً بدينار والثمن الى العطاء[7] .

---

= الزاهرة ، جـ١ ، ص ١٧٧ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ٣ ، ص ٤٤ ـ ٤٥ ، الحكيم ، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، ص ١٠٩ .

(١) كان القيراط في مكة في العصر الأموي يساوي ـ من حيث الوزن ـ $\frac{1}{24}$ من المثقال ( الدينار ) أو $\frac{1}{16}$ من الدرهم ، ولكن وزن القيراط كوزن بضاعة غير ثابت بالنسبة للقيراط كوزن عملة. انظر : فالتر هنتس ، المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٤٤ .

(٢) انظر الأسعار السائدة في نجد والحجاز في هذا الفصل .

(٣) مالك ، المدونة ، جـ٩ ، ص ٣ .

(٤) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ١ ، ص ١١٥ ـ ١١٦ .

(٥) مالك ، المدونة ، جـ٩ ، ص ٢٩٢ .

(٦) نفس المصدر ، ص ١٥٩ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٢٩٣ .

ومن وسائل التعامل التجاري التي استخدمت لدفع الأموال في العصر الأموي ، الصكوك ، فقد استخدم الصك في التعامل كوسيلة من وسائل التجارة ، كما استخدم في حالات أخرى لدفع العطاء أو الرزق . وهو أمر خطي يدفع بواسطته مقدار من النقود أو الرزق الى الشخص الوارد إسمه فيه[١] .

وقد وردت روايات تبين أن الصك استخدم في التعامل منذ صدر الاسلام ، فعندما أراد عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) أن يوزع الأرزاق ، بعد وصولها من مصر أمر زيد بن ثابت أن يكتب للناس صكاكاً من قراطيس ، ثم قام بختمها ، فكان أول من صك وختم أسفل الصكاك[٢] ، ويروي البلاذري أن سعيداً بن العاص كانت عليه ديون تقدر بتسعين الف دينار مسجلة عليه عند غرمائه بالصكوك ، فحول إبنه عمرو تلك الصكوك على نفسه وقضاها[٣] . ويبدو أن الصكوك لم يكن لها موعد محدد لدفعها ، فتذكر المصادر أن سعيداً بن العاص لما لم يجد ما يعطيه كتب صكاً على نفسه ، حتى تتوفر لديه النقود فيأتي صاحب الصك فيقبضه[٤] ، ويروى أنه كتب صكاً على نفسه لشخص أكرمه بعشرين الف درهم ، بشهادته على نفسه ، وشهادة مولى له[٥] . ويدلنا هذا الخبر على أن الصك من الضروري أن يوقعه شاهدان حتى تكون له قيمة فعلية . ويذكر الأصفهاني أن خالداً القسري كتب

---

( ١ ) يقول ابن منظور ، ( لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ٣٤٤ ) الصك الكتاب فارسي معرب وهو الذي يكتب للعهدة ، ويجمع صكاكا وصكوك ، وكانت الأرزاق تسمى صكاكا ، لأنها كانت تخرج مكتوبة . وكان الناس يتسلمون أرزاقهم وأعطياتهم بموجب هذه الصكوك .

( ٢ ) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٣ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ، ص ١٧٧ .

( ٣ ) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

( ٤ ) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٣٣ ، العيني ، عقد الجمان ، جـ ١٠ قسم ٣ ص ٣٦٨ ، ابن بدران ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، جـ ٦ ، ص ١٤٢ .

( ٥ ) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص٣٢ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ ٢ ص ٦٢٣ - ٦٢٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٨٧ ، النويري، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، لوحة ٢٩ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ١٠٥٧ .

صكاً بثلاثين الف درهم ووقعه لأحد ضيوفه ، فدفعه الى الخازن فاستلمها منه[1] .

وكان الصك في الحجاز يستعمل بمثابة سند على المدين للدائن فيروي الأصفهاني أن والي المدينة في العصر الأموي ، كان إذا جاء مال الصدقة أدان من أراد من قريش من هذا المال ، وكتب بذلك صكاً عليه[2] . كما كان والي المدينة مروان بن الحكم يستعمل الصكوك لصرف الأرزاق من طعام الجار[3] ، ولما كان كثير من أهل المدينة زراعاً ، فانهم كانوا يتمونون من منتجات مزارعهم ، ولا يحتاجون طعام الرزق للاستهلاك ، لذلك كانوا يبيعون الصكوك المخصصة لهم[4] ، وبذلك كثرت المتاجرة في هذه الصكوك بين المواطنين ، فيذكر ابن عبد الحكم أن مروان بن الحكم كتب صكوكاً لأهل المدينة من طعام الجار ، فتبايع الناس تلك الصكوك بينهم قبل أن يستوفوها فلما علم مروان بذلك بعث الحرس ينتزعونها من أيدي المشترين ويردونها الى أصحابها البائعين لأن بيع الطعام قبل أن يستوفى لا يجوز[5] .

ولم يقتصر وسائل التعامل التجاري لدفع الأموال المستحقة على النقود والصكوك بل استخدمت السفاتج[6] ( الحوالات ) كوسيلة من الوسائل المالية في التعامل التجاري . ولقد خففت هذه الوسيلة من الصعوبات التي تنتج عن

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٢ ، ص ٢٣ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ١٥ ، ص ٥ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٤ . وعن طعام الجار انظر : الرزق في الفصل الرابع من هذا الباب .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٢٤ ، العلي ، العطاء في الحجاز ، ص ٨٣ .

(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٤ ، ابن حنبل ، المسند ، ج ١٦ ، شرح احمد شاكر . دار المعارف ، القاهرة : ١٣٩٤/ ١٩٧٤م ، صفحة ٨٣٤٩ و ٨٥٧٥ .

(٦) السرخسي ، كتاب المبسوط ، جـ ١٤ ، ص ٣٧ .والسفتجة كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالا قرضا يأمن به من خطر الطريق انظر : الثعالبي ، ثمار القلوب ص ٥٤٥ . وقيل هو أن يعطي أحدا مالا وللآخذ مال في بلد المعطي فيوفيه اياه هناك فيستفيد أمن الطريق . انظر حسن يوسف موسى وزميله ، الافصاح في اللغة ، جـ ٢ ، ص ١٢٠٨ .

نقل النقود ، بين الأقاليم الاسلامية المتباعدة ، وما تتعرض له من خطر السرقة والنهب ، فهي مأمونة من الضياع خفيفة الحمل ، قليلة التكاليف ، بعيدة عن متناول اللصوص[١] . ولقد قام الوكلاء للتجار في الأقاليم الاسلامية المتباعدة بتحويل هذه السفاتج الى نقود لأصحابها ، بقيمة المبالغ التي أخذت منهم .

وقد وردت إشارات تبين أن استخدام السفاتج أو الحوالات ، ظهر مبكراً في الدولة الاسلامية ، فيذكر السرخسي أن ابن الزبير كان يأخذ بمكة الورق من التجار المسلمين ويحولهم الى البصرة أو الكوفة بكتاب من عنده فيستلمون أجود من ورقهم[٢] . كما روى أيضاً أن عبد الله بن عباس ، كان يأخذ الورق من التجار في مكة ، ويحولهم الى الكوفة بكتاب من عنده فيستلمونها من هناك ويعلق على ذلك بقوله : « والسفاتج التي تتعامله الناس على هذا »[٣] .

وقد استخدمت السفاتج في البيع والشراء ، ويبدو أنها لا تكون سارية المفعول حتى توقّع أو تختم من قِبل من يكتبها ، فيذكر الأصفهاني أن عبد الرحمن بن عمرو ، المغني ، والملقب بدحمان باع جارية على الوليد بن يزيد في الشام بعشرة آلاف دينار ، فكتب له حوالة بها الى الحجاز وختمها ، بعد أن كتب فيها « إدفع الى حامل كتابي هذا حين تقرؤه عشرة آلاف دينار »[٤] وعندما مدح الشاعر ابراهيم بن هرمة ، عبد الله بن حسن ، وهو في منزله بالسيالة بالقرب من المدينة ، كتب له حوالة الى المدينة ليتسلم بها عدداً من الدنانير[٥] . ولم يقتصر استعمال السفاتج على النقود فقط ، بل استخدمت في الأشياء الأخرى ، كالإبل وغيرها ، فيذكر الأصفهاني أن الشاعر

---

( ١ ) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٥٤٥ ، وانظر : متز ، الحضارة الاسلامية جـ ٢ ، ص ٣٧٩ :

( ٢ ) السرخسي ، كتاب المبسوط ، جـ ١٤ ، ص ٣٧ .

( ٣ ) نفس المصدر ، ص ٣٧ .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٦ ، ص ٢٦ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٣٧٢ .

نصيباً لما مدح عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ، والي المدينة ليزيد بن عبد الملك ، أمر له بعشر من الإبل ، وكتب بذلك حوالة مختومة الى رجلين من الأنصار لكي يستلمها ، فذهب بالكتاب واستلمها منهم[١] .

ومن الوسائل التي ساعدت على نمو التعامل التجاري ، وجود الصيارفة في أسواق الحجاز في العصر الأموي[٢] ، لتبديل العملات الفضية والذهبية للتجار وغيرهم من السكان ولقد أطلق على هذه العملية إسم الصيرفة . فكان هؤلاء الصيارفة يملكون أنواع العملات فوظفوا أموالهم ونقودهم في الأعمال المالية والصيرفة ، كما أنهم كانوا يشتغلون بالاضافة الى أموالهم ، بأموال الآخرين التي يأخذونها كودائع عندهم . وكان الصيرفي يفلس أحياناً عندما يسحب الناس ودائعهم التي عنده ، فتروي المصادر أن أحد الصيارفة في المدينة المنورة ، في العصر الأموي ، أفلس بسبب إلحاح الناس في أخذ أموالهم التي كانت عنده وتعذر أمواله التي عند الناس[٣] . ويدلنا هذا الخبر على أن الصيارفة بالاضافة الى أعمالهم المصرفية ، كانوا يشتغلون بالتجارة في الودائع التي عندهم . ولم تقتصر الصيرفة على المدينة المنورة وحدها ، بل كانت موجودة في مكة أيضاً ، فيذكر الأصفهاني ، أن البعيث المجاشعي أتى مكة وسأل الناس في دين كان عليه ، وكان سؤولاً ملحاً شديد الطمع « وكان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمله عنه ، فيقول لا أقبله الا أن تجيء معي الى الصراف حتى ينقده ويزنه »[٤] . والظاهر أن الصيارفة كانوا موجودين في أغلب مدن الحجاز ونجد ، لكن المصادر لا توضح لنا ذلك .

وكان العمل الأساسي للصيارفة هو تحويل الدنانير الى دراهم وبالعكس

---

(١) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ١١ ، ص ١٩٣ ، جـ ١٦ ، ص ٣٠٣ ، مالك ، المدونة ، جـ ٨ ، ص ٤٣٠ ، المبرد ، الكامل ، جـ ١ ، ص ٣٥٥ ، الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٥٥ .
(٣) المبرد ، الكامل ، جـ ١ ، ص ٣٥٥ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١١ ، ص ١٩٣ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١٦ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

فكان الرجل يدفع الدينار الى الصراف ، فيزنه ثم يعطيه بدله دراهم[1] . لكن بعض التجار لم يقتصر على التعامل بالصيرفة ، بل كان يبيع الذهب[2] والبعض الآخر يتاجر في سلع أخرى اضافة الى إقراض النقود . ولما كان الربا محرّماً في الاسلام ، فقد اضطر الأتقياء من الصيارفة الى مزج أعمال الصيرفة بالتجارة ، فيبيعون المقترض بضاعة بسعر أعلى من سعر السوق ، على أن يكون الدفع مؤجلا[3] ، يروي الأصفهاني أن عمرو بن عثمان بن عفان ، عندما أتاه الشاعر عبد الله بن الزبير الأسدي ، وكان لابساً ثياباً رثة دعا وكيله وقال : « إقترض لنا مالا ، فقال هيهات !ما يعطينا التجار شيئاً . قال فأربحهم ما شاؤوا، فاقترض له ثمانية آلاف درهم ، ( ثم ) عشرة آلاف ، فوجه بها اليه مع تخت ثياب »[4] . ويروي المصعب الزبيري أن أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام احتاج الى مال فأرسل ابنه عبد الله الى السوق ليأخذ له بضاعة فأتى عبد الله الى السوق فاشترى البضاعة لأبيه ثم باعها . وذهب الى والده بثمنها[5] .

أما التعامل بين الناس بالاقتراض فكان شائعا في الحجاز في العصر الأموي ، وكان بدون فائدة أيضا ، وكان المقترض يعيد النقود الى صاحبها الذي اقترضها منه بعد قضاء حاجته وتوفر النقود معه ، فيذكر ابن سعد أن عبد الله بن عمر اقترض ألفي درهم من مولى ابن سباع ، وبعد قضاء حاجته وتوفر النقود معه أعادها الى صاحبها[6] . واقترض محمد بن المنكدر خمسمائة دينار من عامر بن عبد الله بن الزبير[7] كما اقترض مولى ابن وابصة المخزومي ألف

---

(١) مالك ، المدونة ، جـ٨ ، ص ٣٩٦ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٤٣٠ .
(٣) صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية، ص ٢٩٠ .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٣ ، ص ٢٢٣ .
(٥) الزبيري ، نسب قريش ، ص ٣٠٤ .
(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٤ ، قسم ٢ ، ص ١٢٢ .
(٧) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ١ ، ص ٢٢٦ .

دينار من حمزة بن عبد الله بن الزبير[١] ، ويذكر الأصفهاني أنه أقرض ابن قطن ألف دينار[٢].

وكان أغلب الناس يفضّلون خزن ثرواتهم وتجميدها ، أو إيداعها لدى شخص أمين ، بدلا من إيداعها لدى الصيارفة الذين يتعاملون فيها . ولا ريب أن ذلك ليس في صالح العمل التجاري ، لأنه يجمّد كميات كبيرة من النقود من التداول ، فيروي أبو نعيم أن عروة بن الزبير استودع طلحة بن عبيد الله ابن أبي بكر مالاً عندما خرج الى الشام ، فلما رجع الى المدينة طلب المال من طلحة ، فوجده قد هدم عليه بيتاً ، فقام بحفره وأخرجه من تحت الأنقاض وأعطاه إياه[٣] . لذلك كان المال يتعرض للتلف في بعض الأحيان ، فيذكر ابن سعد أن عروة بن الزبير استودع أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، مالاً من مال بني مصعب بن الزبير فتلف كله أو بعضه[٤] .

واستكمالاً لدراسة التعامل في أسواق الحجاز ونجد ، لا بد من معرفة وحدات الكيل والوزن والقياس المستعملة في تلك الأسواق ، وكان الصاع أبرز وحدات الكيل التي تكال بها الحبوب والتمور . فيذكر ابن سعد أنّ مروان ابن الحكم لما تولى ولاية المدينة في خلافة معاوية « جمع الصيعان فعاير بينها حتى أخذ أعدلها فأمر أن يكال به »[٥] .

وكان الصاع يعادل خمسة أرطال وثلثا فيقول أبو عبيد « وأما أهل الحجاز فلا إختلاف بينهم فيما أعلمه . إن الصاع عندهم خمسة أرطال وثلث يعرفه عالمهم وجاهلهم ، ويباع في أسواقهم ، ويحمل علمه قرن عن قرن »[٦] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٤٨ - ٤٩ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٣٦٤ .
(٣) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٢ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .
(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٥٤ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٣٠ .
(٦) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٢٣ ، وكان الصاع في العراق يعادل ثمانية أرطال فلما رجع أبو يوسف ، وجادل الامام مالك بن أنس ، تأكد لديه صواب حجة الامام مالك وأهل المدينة ، فاعتنق رأيهم في=

كما استخدم المد في الكيل ، وكان يعادل ربع الصاع ، فكان الصاع أربعة أمداد[1] . واستخدم الفرق في الكيل وهو يعادل ثلاثة صيعان[2] ، أما الوسق فكان يعادل ستين صاعا[3] ، وهو ثلاثمائة وعشرين رطلا . كما استخدم المكوك في الكيل وهو يعادل صاعاً ونصفا[4] .

أما الأوزان المستخدمة فهي الدينار والدرهم والدانق[5] والقيراط ، وكانت النقود توزن وزناً ولا تعد[6] ، فكان وزن الدرهم ستة دوانق ، وكل عشرة دراهم تساوي سبعة مثاقيل[7] ، والدانق يساوي قيراطين ونصفا[8] . واستخدم الرطل في وزن المعادن والحديد والنحاس والرصاص[9] ، وكذلك الأوقية التي كانت تساوي أربعين درهما[10] . أما القياس فيبدو أن الذراع كان أهم وحدات قياس الأطوال المستعملة في الأسواق[11] .

---

= تقدير الصاع خمسة أرطال وثلث خاصة بعد أن أحضر جلساء مالك الأصواع التي كان أجدادهم يؤدون بها الصدقات الى الرسول (ﷺ) ، انظر : المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٩٨ ، فيصل السامر ، ملاحظات في الأوزان والمكاييل الاسلامية وأهميتها ، ص ٦٩٤ ـ ٦٩٥ ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد العدد ١٤ ، لسنة ١٩٧١م .

(١) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣٢٩ ، الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٢٩٥ .

(٢) أبو عبيد ، المصدر السابق ، ص ٦٢٥ ـ ٦٢٦ . والفرق مكيال معروف في المدينة وهو ستة عشر رطلا . انظر الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٣٥٩ ، وانظر : هنتس ، المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٦٤ .

(٣) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٢٧ ، الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٣٦٦ .

(٤) الريس ، الخراج ، ص ٣٤١ .

(٥) الدانق : من الفارسية ويعني سدسا ، وهو كوحدة وزن ونقد = $\frac{1}{6}$ درهم، انظر : هنتس ، المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٢٩ .

(٦) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٤٩، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ ، قسم ١ ص ١٢٢ .

(٧) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٣٠ . الدينار كوحدة وزن يساوي نظرياً مثقالا واحدا ، وكوزن سبيكة ذهبية يساوي ٤,٣٣٣ غم . انظر فالتر هنتس ، المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٨) المقريزي ، اغاثة الأمة ، ص ٥٤ .

(٩) لقد استخدم الرطل للوزن في صدر الاسلام ، فكان يساوي في مكة ١٢ أوقية، كل أوقية تساوي ٤٠ درهما ، أي يساوي ١,٥ كغم . انظر : فالتر هنتس ، المكاييل والأوزان الاسلامية ص ٣٠ .

(١٠) الكرملي ، النقود العربية ، ص ٣٨ ، هنتس ، المرجع السابق ، ص ١٩ .

(١١) عن الأذرع المستخدمة في الدولة الاسلامية انظر : هنتس ، المرجع السابق ص ٨٣ ـ ٩٣ .

# الفصل الثالث

# الصناعات والحرف

## ١ ـ الصناعات :

- ـ صناعة التعدين
- ـ الحدادة
- ـ الصباغة
- ـ دباغة الجلود
- ـ صناعة النسيج وصباغة الملابس
- ـ التجارة
- ـ صناعة الورق
- ـ صناعات أخرى

## ٢ ـ الحرف :

- ـ الخياطة
- ـ الغسالون
- ـ الخبازون
- ـ الحلاقون

## ٣ ـ العمال والحرفيون :

# الفصل الثالث

## الصناعاتُ والحِرَف

شهدت الحجاز ونجد في العصر الأموي وجود بعض الصناعات والحرف المحدودة التي كانت لا تفي بمتطلبات المجتمع خاصة بعد تدفق الأموال على الحجاز ، وارتفاع القدرة الشرائية لدى السكان ، وازدياد الطلب على الحاجات الكمالية . لذلك عمد السكان الى استيراد المصنوعات التي كانت تلزمهم من الأقاليم الأخرى .

ومن أهم الصناعات التي كانت موجودة في نجد والحجاز في العصر الأموي صناعة التعدين ، فقد وجدت في هذه البلاد معادن للفضة والذهب كانت صالحة للاستثمار . ومن أهم المعادن التي كانت موجودة معدن بني سليم[١] الذي كان له شأن عظيم في العصر الأموي ، فكان يستخرج منه الذهب بكثرة[٢] . وقد أطلق عليه هذا الاسم نسبة الى القبيلة التي يقع في بلادها ، ومن أسمائه أيضاً معدن فَـرَّان ، ولعل هذه التسمية ناشئة عن إسم القبيلة التي كانت تستثمره ، وتشتغل بصناعة التعدين فيه وهم بنو فَرَّان بن بلي

(١) الحربي ، المناسك ، ص ٣٣٣ ، الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٤٠٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، ص ٣٤٨ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٩٩ ، البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ١ ، ص ٢٨ .

(٢) الحربي ، المناسك ، ص ٣٣٥ .

ابن سليم[1]. ويبدو أن هذا المنجم كانت له قيمة كبيرة بسبب ما كان يستخرج منه من الذهب، بدليل تعيين عامل خاص له في العصر الأموي، فكان عامله في سنة ١٢٨ هـ/ ٧٤٦م كثير بن عبد الله[2].

ومن المعادن المشهورة أيضاً معادن القَبَلِيَّة، وهي أرض ومعادن أقطعها رسول الله (ﷺ) لبلال بن الحارث المزني[3]. وكان هذا المعدن كثير الانتاج، ويبدو أن هذه المنطقة كانت منطقة معادن إذ يروي البلاذري أن بني بلال باعوا عمر بن عبد العزيز قطعة أرض منها، فوجد فيها معدناً، فلما علم بنو بلال أتوه وقالوا: إنما بعناك الأرض، ولم نبعك المعدن، فقال عمر لقيمه: «انظر ما استخرجت منها وما أنفقت عليها، فقاضهم بالنفقة، ورد عليهم الفضل»[4] ويبدو من هذا النص أن استثمار المعادن في العصر الأموي كان وقفاً على أهلها، الذين عليهم أن يدفعوا زكاة ما يخرج منها بواقع ربع العشر[5].

---

(١) الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٤٠٣، حاشية ١، البكري، معجم ما أستعجم جـ ١، ص ٢٨، ويسمى معدن بني سليم الآن مهد الذهب، انظر: ابن بليهد، صحيح الأخبار، جـ ٣، ص ١٨٦، ولقد سار العمل في استغلال هذا المعدن في العصر الحديث، لكنه تّبين أخيراً أن انتاجه ضئيل من الذهب بدرجة صارت لا تفي بما يصرف في سبيل استثماره من نفقات، ولهذا توقف العمل فيه منذ بضع سنوات، وتكونت عليه بلدة عرفت باسم المهد. انظر حمد الجاسر، المعادن القديمة في بلاد العرب، ص ٩٢٦.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ص ٣٤٨، الأصفهاني، الأغاني، جـ ٢٣، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٣) مالك، المدونة، جـ ٢، ص ٢٨٩، أبو عبيد، الأموال، ص ٤٢٣، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢، البكري، معجم ما استعجم، جـ ٣، ص ١٠٤٧، ١٠٥١، السمهودي، وفاء الوفاء جـ ٤ ص ١٢٨٦. والقبلية، هي السلسلة الجبلية الممتدة من منتصف الطريق بين المُسَيْجِيد وبين المدينة المنورة من الجنوب الى طرف جبل بُواط من الشمال، وهذه الناحية كانت تعرف باسم القبلية لإقبال كثير من اوديتها الى جهة القبلة حتى تجتمع بأودية المدينة ولا تزال آثار التعدين في هذه المنطقة بارزة للعيان الى الآن. انظر: حمد الجاسر، المعادن القديمة في بلاد العرب، ص ٩٧٩.

(٤) أبو عبيد، الأموال، ص ٥٢٣ - ٥٢٤، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢.

(٥) أبو عبيد، المصدر السابق، ص ٤٢٣، مالك، المدونة، جـ ٢، ص ٢٨٩، محمد كرد علي، الادارة الاسلامية في عز العرب، ص ١٠١.

ومن معادن الذهب المشهورة أيضاً معدن حِلّيت ، ويقع في حمى ضرية ، وكان يسمى النجادي ، لأنه كان لرجل يدعى نجاد بن موسى بن سعد ابن أبي وقاص ، وكان كثير الذهب[1] . فيروي البكري أنه « لم يعلم في الأرض معدن أكثر منه نيلا ، لقد أثاروه والذهب غال بالآفاق كلها ، فأرخصوا الذهب بالعراق وبالحجاز . . . »[2] . ويعتبر معدن بُحران من المعادن المشهورة أيضاً ويقع بناحية الفرع على الطريق من مكة الى المدينة[3] .

وتذكر المصادر عدداً آخر من المعادن التي كانت موجودة في نجد والحجاز ولكن لا ندري هل كانت هذه المعادن تستغل في العصر الأموي ، أم أنها استغلت فيما بعد . من هذه المعادن التي كانت غزيرة الانتاج من الذهب معدن الأَحْسَن[4] ، ومعدن الحُفير ، ومعدن الضبيب ، ومعدن الثَنِية[5] ، أما الفضة فيذكر الهمداني أنها كانت تستخرج من معدن شمام في اليمامة[6] ، ويذكر البكري معدن أَبْرق خُتْرُب ، الذي كان غزير الانتاج من الفضة إذ يقول « وكان بأبرق خترب معدن فضة ، رغيب واسع النيل[7] . « كما تذكر المصادر أن حجر المِسَنّ ، الذي كان يستعمل في سن السكاكين ، كان يقطع من جبل رضوى ويحمل الى البلدان الأخرى[8] . أما

---

(١) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٣ ، ص ٨٧٥ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ص ١١٠٥ . وحليت جبل أسود ، بعيد ما بين الطرفين ، كثير معادن التبر ، البكري ، المصدر السابق ، ص ٨٧٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٨٧٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٠٢١ .

(٤) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ١٥٩ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٩٩ . والأحسن قرية لبني كلاب في اليمامة . انظر الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(٥) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٢٩٩ . وتقع كل هذه المعادن في اليمامة. انظر : نفس المصدر ، والصفحة .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٩٩ .

(٧) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٣ ، ص ٨٦٤ . ويقع أبرق خترب بالقرب من حمى ضرية .أنظر: : نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٧٩٠ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٣ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢١٨ .

ملح الطعام فكان يستخرج ويجفف في الحَاجِر في منطقة نجد ، وكان من أجود أنواع الملح[١] .

ومن الصناعات التي كانت موجودة في نجد والحجاز ، صناعة الحدادة[٢] ، وتشمل صناعة بعض الأواني المنزلية الحديدية ، كما تشمل صناعة الأسلحة ، التي كان لها أهمية كبرى في حياة العرب منذ العصر الجاهلي ، وازدادت قيمتها بعد قيام الدولة الاسلامية ، وحاجة المسلمين الى مد فتوحاتهم ، وتأمين ما فتحوه. ونظراً لقلة مناجم الحديد في الجزيرة العربية ، فقد اضطر العرب في نجد والحجاز الى استيراد الحديد من الهند وفارس عن طريق البصرة[٣] . ويروي الكتاني أن أصل صناعة الحديد في الجزيرة العربية ، راجعة الى أن الرسول ( ﷺ ) ، لما فتح خيبر سبى فيما سبى ثلاثين قيناً وكانوا صناعاً وحدادين ، فقال عليه الصلاة والسلام ، « اتركوهم بين المسلمين ينتفعون بصناعتهم ويتقوون بها على جهاد عدوهم فتركوا لذلك فمن تعلم عليهم الصناعة سُمّي صانعاً أو معلماً ومن كان من أصلهم سمي قيناً فصاروا من يومئذ يلتجئون وينضوون الى أكابر الناس »[٤] .

لقد كانت مدينة حجر في اقليم اليمامة بنجد مشهورة بمصنوعاتها الحديدية الجيدة ، مثل أسنة الرماح[٥] ، ويروي ابن منظور نقلاً عن أبي حنيفة قوله « وحدائد حجر مقدمة في الجودة »[٦] ، وتذكر بعض المصادر

---

(١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٩٣ ، ٣٠١ .

(٢) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٧٦ ، ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٣٧٢ ، الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٠ .

(٣) الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٤٩ ، العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، ص ٢٤٧ .

(٤) الكتاني ، التراتيب الادارية ، جـ٢ ، ص ٧٥ . ولقد رجعت الى كتب الصحاح ، فلم أعثر على هذا الحديث .

(٥) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٢٤٢ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٤٢ .

السيوف الحنفية[1] والتي يرجح أنها منسوبة الى قبيلة بني حنيفة التي كانت تقطن اليمامة في نجد . كما تذكر صناعة السيوف في جِلْدَان بالحجاز[2] . وقد وجد الحدادون في مكة المكرمة[3] ، وفي المدينة المنورة[4] .

أما الصياغة فكانت من الصناعات التي خلفها اليهود ، بعد إجلائهم عن الحجاز فيروي الطبري أن رسول الله ( ﷺ ) بعد إجلاء يهود بني قينقاع عن المدينة أخذ آلة صياغتهم[5] . ويذكر ابن زبالة أنه كان في قرية زُهْرة ـ احدى قرى المدينة ـ ثلاثمائة صائغ[6] . وقد كثر الصائغون في المدينة في العصر الأموي وكانوا يعملون في حوانيتهم[7] . ويذكر ابن سعد أن وردان كان صائغاً في مكة[8] .

ويبدو أن أهم الصناعات التي كان يزاولها الصاغة هي صناعة الحلي من الذهب والفضة كالأساور والدمالج والخلاخيل والخواتم والأقرطة . فكانت النساء يتزين بهذه الحلي[9] ، خاصة بعد تدفق الأموال على الحجاز ، وارتفاع مستوى المعيشة وازدياد الطلب على الحاجات الكمالية . كما كان الصاغة يقومون بتحلية السيوف بالذهب[10] .

ومن الصناعات الأخرى ، والتي كان لها أهمية في هذه المنطقة دباغة

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٦ ، ص ١٨٥ .
(٢) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٠ .
(٣) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٣٧٢ ، الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٧٦ .
(٤) الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٤٩ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٢ ، ص ٤٨١ .
(٦) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٣٠ ، العصامي ، سمط النجوم العوالي ، جـ ٣ ، ص ٩٢ .
(٧) مالك ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٣٩١ ، ٤٩١ .
(٨) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٦٠ .
(٩) مالك ، الموطأ ، ص ١١٦ ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٣٩٢ ، ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٨٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥ ، ص ٤٥٢ ، ٤٦٣ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٧ ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٨ ، لوحة ١١٨ .
(١٠) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ٦١ .

الجلود ، وقد اشتهرت بها مدينة الطائف في الحجاز ، يقول الهمداني : « هي بلد الدباغ يـدبغ بها الأهب الطائفية المعروكة »[1] . ولقد ساعد على قيام هذه الصناعة في هذه المدينة ، حسن الجو وملائمته للدباغة ، وحسن موقعها الجغرافي ، الذي جعل التجار يصلون اليها بسهولة ، وتوافر الحيوانات التي تؤخذ منها الجلود في الحجاز[2] ، كالإبل والبقر والغنم ، بـالإضـافـة الى الغزلان وبقر الوحش التي كانت تعيش في جبال السروات ، لذلك اشتهرت دباغة الجلود في الطائف وانتشرت حتى شملت الأمكنة المجاورة لها[3] .

ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار هذه الصناعة ، وجود المواد التي تستخدم للدباغة كورق شجر القرظ في أراضي نجد والحجاز[4] . فكانت هذه المواد توجد في إقليم اليمامة بنجد[5] . كما كانت تنبت أيضاً في وادي العقيق بالقرب من المدينة المنورة ، وفي ضواحي مكة المكرمة[6] . أما الالآت التي كان الدباغون يستعملونها في الدباغة ، فلا تفصل المصادر ذكرها ، الا أن ابن سيدة يذكر أهمها كالمحط الذي كان يستعمل لصقل الأديم وتنميقه ، وكان مصنوعاً من الخشب وأحياناً من الحديد . أما المجلاة فكان تستخدم لتنظيف الوسخ الذي يبقى عالقاً في الجلد[7] .

لقد تطورت صناعة الأديم بالطائف حتى بلغت شأواً بعيداً ، وأصبحت

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٦٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٦٠ ، الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ٤٨٦ ، الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ١١ ، الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ ٥ ، ص ٣٣ ، ابن فهد ، اتحاف الورى ، ص ٣٣٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٣٤٥ .

(٣) ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٦٦ ، احمد فاروق ، دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهل الاسلام ، ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ١٢٣ ، ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٣٢ .

(٥) ياقوت ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٦) ابن المجاور ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٧) لقد أورد ابن سيدة عددا من الآلات التي كانت تستخدم في أغراض شتى للدباغة كالمنحاز والمبقر والمسرد والمقراض والمخصف . انظر المخصص ، الجلود ، جـ ٤ ، ص ١٠٠ ـ ١١٥ . كذلك انظر : احمد فاروق ، دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهل الاسلام ، ص ٥٤٥ .

تصدره الى الأمصار الاسلامية الأخرى . ويبدو أن هذه الشهرة التي حازتها مدينة الطائف في دباغة الجلود ، وصناعة الأديم ، استمرت في العهود الاسلامية المتأخرة ، فيذكر الادريسي أن بالطائف تجاراً « جل بضايعهم صنع الأديم ، وأديمها عالي الجودة ، رفيع القيمة ، وبالنعل الطائفي يضرب المثل ، وهذا مشهور »[1] . كما يذكر ابن المجاور أن أهل الطائف يشتغلون بدباغة الجلود فيقول « وجميع عملهم دباغ الأدم ويدبغ بها الأديم المليح الثقيل المعروف بها وهو الذي يصلح لخوارزم »[2] .

ولم تقتصر دباغة الجلود على مدينة الطائف وحدها ، بل كانت موجودة في مكة أيضاً في صدر الاسلام[3] . ويبدو أنها استمرت خلال العصر الأموي يذكر ابن سعد أن بعض سكان الطائف ، الذين سكنوا مكة استمروا في دباغة الجلود[4] . كما يذكر ابن المجاور أن دباغة الجلود كانت منتشرة في مكة وما جاورها من القرى[5] ويبدو أن شجر القرظ الذي كان ينبت في مكة لم يكن كافياً لدباغة الجلود ، لذلك جلبوه الى مكة من وادي العقيق بالقرب من المدينة المنورة[6] . ويذكر الأزرقي أن في مكة حوانيت لأصحاب الأدم ، وكانت تجارة الأدم تنشط في موسم الحج[7] .

لقد كانت الجلود ذات فائدة كبيرة للخرازين ، الذين كانوا يكثرون في مدينة الطائف ومكة[8] ، والمدينة[9] . فكانوا يشترونها من أصحاب الأدم ،

---

(١) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٢٦ .
(٢) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٢٥ .
(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٨ ، ص ٧٣ ، ٢٠٦ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ٣٦٦ .
(٥) ابن المجاور ، المصدر السابق ، ص ١٣ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٢٥ .
(٧) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٧٤ .
(٨) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٦٦ .
الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٣٤٦ .
(٩) المصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص ١٧٨ .
ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٣٠ .
ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٣٦٥ .

ويصنعون منها النعال والخفاف[١] ، والسرج والخيام والحياض ، والأواني الجلدية التي كانت بادية نجد والحجاز تستعملها لحفظ الماء والزيت والعسل والسمن واللبن[٢] ، لملائمتها لحياتهم البدوية التي تقوم على التنقل والترحال ، لأن الشمس الحارة في تلك البلاد لا يقاومها من الأوعية التي كانت تستعمل في البيوت غير الجلود ، كما كانوا يستعملونها لحفظ التمر ، فكانوا يضعون التمر في جوارب من الأديم[٣] ، كما كانوا يدبغونها جيدا ويعملون منها البسط الجلدية[٤] . ويبدو أن بعض الرقيق الذين يعملون في خدمة بيوت سادتهم كانوا يجيدون الخرازة ، فكانوا يقومون بهذا العمل عندما يطلب منهم أسيادهم ذلك[٥] .

ومن الصناعات الأخرى التي وجدت في نجد والحجاز ، في هذا العصر ، صناعة المنسوجات ، ففي منطقة الوشم بنجد كانت تنسج البرود ، وكانت ذات شهرة كبيرة ، حتى أنها كانت تصدر الى البلدان الأخرى . واشتهرت ثرمداء وهي من قرى الوشم بهذه الصناعة[٦] . وقد نسب الشاعر حميد بن ثور الهلالي نسيج البرود الى ثرمداء ، فكان ابنه يراه يذهب الى الأمراء ويعود مكسوا ، فأخذ بعيراً لأبيه ، وقصد مروان بن الحكم ، لكنه لم يعطه شيئا ، وعندما عاد قال أبوه :

---

(١) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .
(٢) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٣٧٠ .
ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، جـ ١ ، ص ٤٤٠ ،
الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .
ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٣٧٨ ، احمد فاروق ، دباغة الجلود ، ص ٥٥٤
(٣) ابن بكار ، المصدر السابق ، ص ٣٧٠ .
(٤) مالك ، المدونة ، جـ ١ ، ص ٧٥ .
(٥) البغدادي ، خزانة الأدب ، جـ ١ ، ص ١٠٦ .
(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٩٢٢ ،
مقبل الذكير ، تاريخ نجد ، ورقة ١٧٠ .

ما بال برديك لم تمسس حواشيه    من ثرمداء ولا صنعاء تحبير[١]

ويعلق مقبل الذكير على نسبة البرود الى ثرمداء فيقول : « أما ما وصف الهلالي من نسبة البرود الى ثرمداء فهذا مما لا شك فيه فقد كان يعمل فيها ذلك الى مدة ليست بعيدة وقد كان الوشم مشهوراً بالنسيج من الخامات والصوف الى مدة لا تبعد اكثر من مائتي سنة وقد أخذ يضعف هذا العمل حتى تلاشى قبل مائة سنة حتى فقد تماما »[٢] . ويستشف من رواية ابن سعد أن الفقيه عبدالله بن أسود ، الذي عاش في اليمامة في العصر الأموي كان يزاول نسج البرود[٣] .

واشتهرت بلدة مر الظهران بالحجاز بهذه الصناعة حتى كانت الثياب تنسب اليها ، فيقال ثوب ظهراني نسبة الى مر الظهران[٤] . وتشير المصادر الى بعض المنسوجات المنزلية ، التي كانت بدائية الصنع ليس فيها شيء من المهارة الفنية وكان أغلبها يصنع في بادية نجد والحجاز[٥] . ويستشف من رواية الامام مالك أن الولائد في العصر الأموي ، كن يزاولن صناعة النسيج وكانت منسوجاتهن من الريط التي تعرض في الأسواق للبيع[٦] . ويبدو أن

---

(١) حميد بن ثور ، الديوان ، ص ٨٢ ،
ياقوت، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٩٢٢ .
مقبل الذكير ، المصدر السابق ، ورقة ١٧٠ أ .

(٢) نفس المصدر ، ورقة ١٧٠ ب .    (٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٤٠٤ .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٥٨١ ، ابن بليهد ، صحيح الاخبار، جـ ٢ ، ص ١٣٩ . ومر الظهران يعرف الآن باسم وادي فاطمة ، وهو اكبر وديان مكة سعة ، وأوفرها ماء ، واكثرها قرى وسكانا . انظر : مهدي الصحاف ، موضع مدينة مكة المكرمة وبيئتها الجغرافية ، مجلة كلية الاداب جامعة بغداد ، العدد ١٤ ، المجلد الثاني ، بغداد ١٩٧٠ ، ص ٩٠٤ .

(٥) مالك ، المدونة ، جـ ٥ ، ص ٣٨٠ .
ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، جـ ١ ، ص ٤٣٩ .
الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٨ ، ص ١١ .
ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٣٧٨ .

(٦) مالك ، المدونه ، جـ ٩ ، ص ٢٤ ، ١٣١ . عن الريط انظر : الألبسة في الفصل الثاني من الباب الثاني .

هؤلاء الإماء كن يزاولن هذه الصناعة بناء على رغبة سادتهن الذين كانوا يوفرون المواد الأولية اللازمة للصناعة .

ولا تشير المصادر الى مصانع النسيج هذه ، من ناحية تكوينها ، أو ما يتعلق بها من مشكلات مالية أو اقتصادية أو اجتماعية ، كتوفير رأس المال مثلا ، أو المواد الأولية التي تستخدم في هذه الصناعة ، أو العمل وإدارته ، الا أن الأصفهاني يذكر أن من الأدوات التي كانت تستخدم في حياكة المنسوجات المنوال والمنسج الذي يدعى الحَفْ[١] ، أما الخامات والمواد الأولية للنسيج فيبدو أنها كانت من الصوف[٢] ، والقز[٣] ، والقطن[٤] .

ويبدو أن معظم الذين كانوا يزاولون صناعة المنسوجات من الرقيق والموالي، فيذكر الأصفهاني أن لعمر بن أبي ربيعة سبعين عبداً كانوا يزاولون هذه الصناعة في مكة[٥] . كما يبدو أيضاً أن عمر بن أبي ربيعة قد استفاد من رقيق والده ، الذين كانوا يزاولون جميع المهن[٦] . كما يروي ابن سعد أن معن بن عيسى ، مولى الأشجع ، كان يمارس صناعة المنسوجات في المدينة المنورة ، وكان له بعض الرقيق ، الذين كانت لهم خبرة بهذه الصناعة ، فكان يشتري القز ويعطيهم إياه لنسجه[٧] . وكان لرجل من بني مخزوم غلام في مكة ، ينسج بعض المنسوجات في بيته ، وكان يستعمل آلة الحف في صناعة النسيج[٨] . كما يبدو أن بعض العرب زاول هذه الصناعة إذ يستفاد من شعر

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٥ ، ص ١١٤ . الحف المنسج ، والحفة المنوال ، وهو الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب . وقيل هي التي يضرب بها الحائك . انظر عن الحف : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٠ ، ص ٣٩٦ .

(٢) مقبل الذكير ، تاريخ نجد ، ورقة ١٧٠ ب .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٢٤ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ١١٤ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٧٨ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٦٥ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٢٤ .

(٨) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١١٤

عبيد بن شرية ، الذي أورده في مقام الافتخار بأبناء قحطان أمام معاوية بن أبي سفيان ( رضي الله عنه ) ، أن بعض الأفراد من قبيلة بني نمير ، والتي كانت تقطن نجدا ، قد زاولت حياكة البرود[١] .

وقد استلزمت صناعة النسيج نشاط صناعة صباغة الملابس ، وكان الصباغون يقومون بهذا العمل في حوانيتهم لقاء أجور معينة ، يدفعها صاحب الملابس وقد استخدم الصباغون الأصباغ المستخرجة من النباتات لصباغة الملابس والأقمشة فكانوا يستخدمون العصفر لصبغ الأقمشة التي يرغب أصحابها أن تكون صفراء،فيروي ابن سعد أن عروة بن الزبير كان يعصفر الملحفة عند الصباغين بدينار[٢] .

كما استخدم الصباغون الزعفران لصباغة الملابس ، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر يلبس رداء سابرياً مصبوغاً بشيء من الزعفران[٣] ، وكان الحسين بن علي بن أبي طالب يلبس إزاراً مصبوغاً بزعفران[٤] ، وكان عبدالله بن عمر يلبس المصبوغ بالمشق والمصبوغ بالزعفران[٥] ، وكانت زوجة سالم بن عبدالله ، أم كلثوم ، تلبس ثياباً معصفرة[٦] ، كما كانوا يصبغون الملابس باللون الأحمر[٧] ومن الألوان الأخرى التي كان الصباغون

---

(١) عبيد بن شرية ، أخبار عبيد بن شرية ، ص ٧٥ . يقول عبيد بن شرية :

فمنهم رعاء لأموالنا عليهم خراج لنا مغتصب
نميرا جعلت لحوك البرود وحد النعال وصنع اليلب
خزيمة كان عليها الدباغ وقد السيور ونقل السلب

نقلاً عن : أحمد فاروق ، دباغة الجلود ، ص ٥٤٦ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، ، جـ ٥ ، ص ١٣٤ . عن تعريف الملحفة والرداء والإزارأنظر: الألبسة في نجد والحجاز في الفصل الثاني من الباب الثاني .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٤٠ .

(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ٢٢ .

(٥) ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ ٤ قسم ١ ، ص ١٢٧ .

(٦) نفس المصدر ، جـ ٨ ص ٣٦٤ .

(٧) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ١٦١ ، أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، جـ ٢ ، ص ٥٢٦ .

يستعملونها ، اللون الأخضر والأسود[1] . كما زاول بعض السكان صباغة ملابسهم وملابس أولادهم في بيوتهم دون الحاجة الى اعطائها للصباغين ، وكانوا يستخدمون في ذلك العصفر أيضا[2] .

أما النجارة فهي من الصناعات التي كانت لها مكانة طيبة ، فكان النجارون يصنعون الأثاث المنزلي كالمناضد والكراسي والأبواب والأطباق والأقداح وغيرها . وكان للنجارين مكان خاص في مكة[3] ، وتذكر المصادر وجود النجارين في المدينة المنورة[4] . وكان هؤلاء النجارون يزاولون صناعاتهم في حوانيتهم ، ويبيعون إنتاجهم ، كما كانوا يزاولون هذه الصناعة في بيوتهم ، فيروي أبو نعيم أن أحد الموالي من الفرس كان يصنع الأقداح في منزله في المدينة المنورة[5] . وكان النجارون أحياناً يستأجرون للعمل في بيوت الأثرياء ، الذين يشترون لهم الخشب من السوق ، ويأمرونهم بعمل ما يريدون[6] .

وكانت تصنع أدوات القتال ، كالرماح والسهام والنبال والأقواس[7] ، من الأخشاب والأشجار التي كانت تنبت في نجد والحجاز ، فيروي الهجري ، أن الأقواس كانت تعمل عند قبيلة مزينة وبلحارث من شجر التألب[8] ، كما

---

(١) مالك ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٣٩٢ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، جـ ١ ، ص ١٨٨ .

(٢) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٧ ، ص ٣١٩ .

(٣) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٥٥ .
الجاحظ ، المحاسن والأضداد ، ص ١١٩ .

(٤) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٦ ، ص ١٤٩ ، جـ ١٩ ، ص ١٦٥ .
أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ١٥٢ .
ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٤٣٣ .
القيرواني ، جمع الجواهر في الملح والنوادر ، ص ٦٧ .

(٥) أبو نعيم ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٦ ، ص ١٤٩ .

(٧) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٨) أبو علي الهجري ، التعليقات والنوادر ، النسخة الهندية ، ص ٤٧٩ . والتألب شجر تتخذ منه القسي =

تعمل الأقواس أيضا من شجر الشوحط والنشم[1] . وكان لسهام بَلاد في اليمامة وسهام يثرب في الحجاز شهرة خاصة في الجاهلية[2] ، ويبدو أن صناعة أدوات القتال تلك استمرت في العصر الأموي ، بدليل ذكر النبال اليثربية التي اشتهرت في هذا العصر مما جعل الحجاج بن يوسف يأمر بتجهيز الجند منها[3] . وكانت السهام تصنع من شجر الرمان فيذكر الأصفهاني أن الشاعر العرجي كان يبري الأسهم الكثيرة من شجر الرمان في حائطه بالعرج في الطائف[4] ، كما كان الشاعر نصيب يجيد بري الأقواس وتثقيفها[5] . ويذكر صاحب ترتيب المدارك أن أنس بن مالك كان يصنع النبال[6] ، أما كثير عزة فكان يجيد بري السهام[7] .

ولما كانت بعض أقاليم نجد والحجاز زراعية ، لذلك ربما قامت بعض الصناعات المعتمدة على الانتاج الزراعي ، الا أن المصادر لا توضح ذلك . ولكن يبدو أنه كانت تعمل الأقفاص من جريد النخل ، وكذلك الحصر والقفاف والمكاتل والأطباق من الخوص[8] . كما كانت تصنع الخيام من

---

العربية . وقال الأصمعي من أشجار الجبال الشوحط والتألب . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٢١٩ .

(١) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٨ . الشوحط شجر له قضبان كثيرة تسمو من أصل واحد ، وينبت هذا الشجر في جبال السروات . وتتخذ منه القسي ، وله ثمر يشبه العنب يؤكل .أنظر: ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ ، أما النشم فهو شجر جبلي تتخذ منه القسي انظر : ابن منظور ، المصدر السابق ، جـ ١٦ ، ص ٥٤ .

(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ١ ، ص ٢٧١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٧٠٧ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ( طبعة اهلورت ) ، ص ٢٧٣ .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٤٠٣ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٣٣ .

(٦) عياض ، ترتيب المدارك ، ، جـ ١ ، ص ١٠٨ .

(٧) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٢٩ .

(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٩ ، ص ١٥٠ . لقد كان أهل المدينة يعملون القفف والمكاتل من الخوص في صدر الاسلام . انظر : الخزاعي ، الدلالات السمعية ، ص ٦٦٩ ، أحمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص ٣٥٧ .

الجريد والخوص[١] ، واستفاد السكان من الأخشاب والجريد في عمل أسقف المساجد والمنازل ، وكذلك الأبواب والنوافذ[٢] .

وتعتبر صناعة الورق من الصناعات التي كانت موجودة في الحجاز في العصر الأموي ، فكان يصنع من الأبريسم والقطن والقنب ، فيذكر الشهاب المرجاني « شيوع صنعة الكاغد وتوفيرها واتخاذها من الأبريسم والقطن والقنب ، اخترع يوسف بن عمرو المكي إتخاذ الكاغد من القطن في حدود ثمانية وثمانين من الهجرة بالحجاز »[٣] . ويبدو أن هذه الصناعة لم تكن على مستوى جيد ، بدليل استيراد القراطيس من مصر للكتابات التي تتطلبها أعمال الدولة في الحجاز في عهد عمر بن عبد العزيز[٤] .

ومن الصناعات الأخرى صناعة الغالية ، وهي نوع من الطيب يركب من المسك والعنبر والعود والدهن . وأول من عملها في الحجاز عبدالله بن جعفر ، فلما طيب معاوية بن أبي سفيان منها سماها الغالية ، بعد أن سأله عنها وعن صناعتها[٥] .

أما نقش الحجارة للاستفادة منه في صناعة البناء ، فكان موجوداً في مكة والمدينة ، فيذكر السمهودي أنه كان لبني حرام في المدينة غلام رومي ينقل الحجارة وينقشها[٦] . كما ذكر الأصفهاني أن سعيداً الهذلي كان ينقش الحجارة التي يقطعها من جبل أبي قبيس في مكة ، كما كان يعمل البرم من حجارة الجبل[٧] .

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٧٤ .
(٢) ابن شبة ، تاريخ المدينة ، لوحة ٨٧ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ ، ص ٢٠٤ ، ٧٥٣ .
(٣) الشهاب المرجاني ، وفيات الأسلاف ، ص ٣٣٧ . نقلا عن : الكتاني ، التراتيب الادارية ، جـ ٢ ، ص ٢٤٢ .
(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٧ ، ص ١٥٨ .
(٥) ابن رستة ، الاعلاق النفيسة، ص ١٩٨ .
(٦) السمهودي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .
(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٥ ، ص ٦٥ . والبرم نوع من الصخور الهشة اللينة ، تصنع منه البرم - جمع= .

ومن الحرف التي كثر محترفوها في هذا العصر ، خياطة الثياب ، والجلابيب والقمصان والعباءات والسراويل ، وغير ذلك من الألبسة ، بما يتيح للانسان استعمال المنسوجات بما يتناسب مع ذوقه ومكانته الاجتماعية ، وكان الخياطون يشتغلون في حوانيتهم في السوق ، ويدفع اليهم القماش لتفصيله مقابل أجرة معينة[١] ، كما كانوا أحياناً أخرى يستأجرون للعمل وتفصيل الثياب في بيوت الأثرياء[٢] . وتذكر المصادر أن عبد الملك الغريض ، كان خياطاً قبل أن يتعلم الغناء[٣] . ويقول الامام مالك إن الخياطة من عمل الموالي[٤] ، أي من حرف الأعاجم ، وهو يشير بذلك الى المدينة في القرن الثاني الهجري ، ولاشك أن سيطرة الأعاجم على الخياطة جلب معه الأذواق والأساليب الأعجمية أيضا[٥] .

أما الغسالون الذين يتولون تنظيف الملابس، فقد كانوا موجودين في مكة[٦] ، والمدينة[٧] . وكانوا يقومون بهذا العمل في حوانيتهم مقابل أجرة معينة يدفعها صاحب الملابس، فيروي الأصفهاني أن عمر بن عبد العزيز عندما كان في المدينة ، كان يغسل ملابسه عند الغسالين ، وكان الناس يدفعون أجرة أكثر للغسال ، لكي يغسل ملابسهم في نفس الوعاء الذي يغسل

---

= برمة - وهي أواني الطبخ كالقدور . وكانت هذه الأواني الى عهد قريب ، يستغنى بها عن الاواني المصنوعة من الحديد في بعض جهات الجزيرة العربية، انظر : حمد الجاسر ، المعادن القديمة في بلاد العرب ، ص ٩٩٨ .

(١) مالك ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٤٩١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٩٢ .

(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٦٠ .
النويري ، نهاية الأرب ، جـ ٤ ، ص ٢٨٤ .

(٤) مالك ، المدونة ، جـ ١٦ ، ،ص ٢٣١ .

(٥) صالح العلي ، الألبسة العربية ، ص ٤٣ .

(٦) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٦٦ .

(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ٢٦٢ ، مالك ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٤٩١ ،
Barthold, caliph · Umar II and the Conflicting Reports on his Personality, p. 74.

فيه ملابس عمر ، نظراً لكثرة الطيب فيها[١] . أما الخبازون الذين يخبزون للناس بالأجر في الفرن أو التنور ، فتذكر المصادر وجودهم في المدينة[٢] ، ومنهم أبو الغيث الذي كان يخبز الخبز في المدينة[٣] كما كان بعض الرقيق يقومون بهذه الحرفة في بيوت سادتهم[٤] . أما الحلاقة فهي من الحرف التي احترفت في هذا العصر ، وكان الحلاقون موجودين في مكة ، وخاصة أيام موسم الحج[٥] ،ومن الحرف التي عرفت في هذا العصر أيضا حفر الآبار[٦] ، وصيد الطيور وبيعها[٧] ، وكتابة المصاحف وبيعها[٨] .

أما عن العمال الذين زاولوا أنواع المهن والحرف في نجد والحجاز مثل النجارين والنساجين والخياطين والصباغين ومن جرى مجراهم ، فان المصادر التي بين أيدينا لا تعطينا صورة كاملة عن أحوالهم المعيشية ، ومشكلاتهم ، ومستوى أجورهم ولكن من النزر اليسير الذي ذكرته يمكننا تقسيم هؤلاء العمال الى قسمين ، القسم الأول هم العمال المأجورون ، الذين كانوا يقومون بعملهم مقابل أجرة معينة يتفق عليها مع مستخدميهم[٩] ، والعادة أن تكون إما بالأجر اليومي أو حسب القطعة ، فيروي ابن سعد أن عروة بن الزبير

---

(١) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .

(٢) مالك ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٣٨٩ ، الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٤٥٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٥٨ ، القيرواني ، جمع الجواهر في الملح والنوادر ص ٦٨ .

(٤) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ١٩ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١١٤ .

(٦) الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ ٥ ، ص ١٧٧ .

(٧) مالك ، المدونة ، جـ ٦ ، ص ١٧ .

(٨) مالك ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٤١٨ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٩٣ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٧٠ ، ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٢١٦ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ٣١١ ، ويذكر أبو نعيم أن مجاهداً أعطى رجلا خمسمائة درهم على مصحف يكتب له .

(٩) مالك ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٣٤ ، صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص ٣٠٠ .

كان يعصفر الثوب والملحفة عند الصباغين في المدينة كل قطعة بدينار[1] . وكان أغلب هؤلاء العمال من الرقيق المأذونين بالعمل[2] أو الموالي الذين يشتغلون في حوانيتهم الخاصة[3] ، أو في بيوتهم[4] ، أو في بيوت مستخدميهم[5] ، الذين يمدونهم أحياناً بالمواد الأولية التي تحتاجها صناعتهم[6] .

أما القسم الثاني من العمال ، فهم الرقيق الذين كانوا يشتغلون لحساب سادتهم أرباب العمل[7] ، الذين كانوا يملكون رأس المال ، ويستخدمون أدوات العمل الخاصة بهم ، ويوفرون المواد الأولية اللازمة للصناعات التي تعرض في الأسواق للبيع ، وتكون الأرباح لهم والخسارة عليهم وكان مركز عمل هؤلاء الرقيق في مصانع أسيادهم أو حوانيتهم .

وكان هؤلاء العمال وأصحاب الحرف خاضعين لرقابة العامل على السوق ، الذي يحاسبهم على أعمالهم ، ليكفل سلامة البيع والشراء ، وعدم هروب العمال بأموال الناس وحاجاتهم ، لأن الدولة كانت تضمن الصناع وأصحاب الحرف[8] ، ولا تتدخل في شؤونهم وتحل ما ينشب بينهم من خلافات[9] . ولقد كان بعض الولاة يفرض ضريبة المكس على المبيعات

---

(١) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

(٢) عن الرقيق المأذونين ، انظر : الرقيق في الفصل الأول من الباب الثاني .

(٣) مالك ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ،
الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ٢٦٢ ،
ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٩ ، ص ٤٣٣ ،
Barthold, Caliph Umar II, p. 74.

(٤) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١١٤ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء جـ ٣ ، ص ١٥٢ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٦ ، ص ١٤٩ .

(٦) نفس المصدر ، ص ١٤٩ .

(٧) انظر : ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٢٤ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٦٥ ، ٧٨ .

(٨) مالك ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٣٨٩ .

(٩) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٢٧٧ ، الدوري ، نشوء الأصناف والحرف في الاسلام ، ص ١٤١ .

الداخلية في السوق ، بيد أن عمر بن عبد العزيز ألغاها لكثرة التذمر منها واعتبرها غير شرعية[1] ، فيروي الإمام مالك « أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عامل المدينة أن يضع المكس فانه ليس بالمكس ولكنه البخس قال الله تعالى ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾[2] ومن أتاك بصدقة فاقبلها ومن لم يأتك بها فالله حسيبه »[3] .

لقد كان العمال أحراراً في ممارسة ما يشاؤون من المهن أو الحرف ، وكان لهم الحق في فتح حوانيتهم حيثما أرادوا في أي مكان في المدينة ، فيذكر المصعب الزبيري ، أن أحد الخرازين كان يشتغل في محله أمام دار سعيد بن العاص في المدينة[4] . ولكن يبدو أن مصلحة أصحاب الحرف حملتهم على التجمع في مكان واحد من السوق ، كما كان الحال في سوق المدينة المنورة[5] . كما كان بامكان هؤلاء العمال أن يجمعوا بين عدد من المهن أو الحرف المختلفة في وقت واحد ، فيروي ابن قتيبة أن عيسى بن أبي عيسى الخياط كان يقول : « أنا خياط وحناط وخباط كلاً قد عالجت »[6] . وكان سعيد الهذلي ينقش الحجارة ويعمل البرم[7] ، كما كان التاجر سيار يبيع البر والعطر في المدينة المنورة[8] .

لقد تدفق الرقيق على الحجاز في العصر الأموي ، ورغم كثرة ما

---

(١) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٩٩ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٣٣ .
Gibb, The Fiscal Rescript of ʿUmar II, p. 7, Becker, op. cit., pp. 156- 157.

(٢) سورة الأعراف ، آية ٨٥ ، سورة هود ، آية ٨٥ ، سورة الشعراء ، آية ١٨٣ .

(٣) مالك ، المدونة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

(٤) الزبيري ، نسب قريش ، ص ٢٧٨ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٣٦٥ .

(٥) مالك ، المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٣٩١ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٢ ، ص ١٣٩ .

(٦) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٨٥ . والخباط هو الذي يقوم بخبط الشجر حتى يتساقط منه الورق ليعلف للحيوانات . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٩ ، ص ١٥١ .

(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٥ ، ص ٦٥ .

(٨) نفس المصدر ، جـ ٢٢ ، ص ٣٨ ، الفيروزأبادي ، المغانم المطابة في أخبار طابة ، ص ٤٨ .

استخدم من الرقيق في الأعمال الاقتصادية ، فان ذلك لم يؤثر على مركز العمال الأحرار ، نظراً لتطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وازدياد الطلب على العمال للقيام بأعمال البناء، وشق الطرق ، وحفر القنوات واستصلاح الأراضي . وقد استفادت الدولة من هؤلاء العمال في الأعمال التي تعتبر مسؤولة عنها كبناء المساجد ، وبناء السدود ، وحفر القنوات وتعبيد الطرق ، وكانت تسند هذه الأعمال الى بعض الأشخاص الذين يكونون مسؤولين عن جمع العمال اللازمين ، والاشراف على عملهم كما حدث في المدينة المنورة سنة ٨٨هـ / ٧٠٧م ، عندما كلف عمر بن عبد العزيز صالح بن كيسان بالاشراف على إعادة عمارة مسجد رسول الله (ﷺ) في المدينة وتوسعته، فقام بجمع العمال اللازمين من المدينة وبدأ في تنفيذ العمل[١] .

ومن الأمور التي أصبحت مألوفة لدى أصحاب المهن والصنائع ، انتشار الانتساب الى المهنة الى جانب الانتساب الى المدينة أو القبيلة ، ومن أمثلة ذلك بين المشهورين الزيات والسمان ، كأبي صالح السمّان ، الذي كان يجلب السمن والزيت من المدينة الى الكوفة[٢] ، وكعيسى بن أبي عيسى الخياط[٣] ، ومروان بن جبر البزاز[٤] ، وعقرب الحناط[٥] ، وحجاج

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص١٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٦ ، ص ٤٣٥ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ٢ ، ص٥٢٢ ، يقول الواقدي إن العمل في المسجد بدأ سنة ٨٨ هـ/٧٠٧ م ، وإنتهى سنة ٩٠ هـ/٧٠٩ م ( اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٢٨٤ ) وعندما بدأ العمل احتج خبيب بن عبد الله بن الزبير على هدم حجر زوجات رسول الله (ﷺ) ، مما جعل عمر بن عبد العزيز يأمر بضربه مئة سوط أدت الى وفاته ( مجهول المؤلف ، العيون والحدائق ، ص ٤ ) . ولكن الواقدي في رواية أخرى يقول إن خبيب بن عبد الله بن الزبير توفي سنة ٩٣ هـ/٧١٢ م . الطبري ، المصدر السابق ، ص٤٨٢ ، وهذا التناقض في رواية الواقدي يجعلنا نعتقد أن ضرب خبيب ليس له علاقة بتوسعة المسجد ، وإنما نتيجة لتهجمه على الأمويين كما ذكر ذلك ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٥ ، ص٢٢٢ ، البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، ص ٧٥ ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ص٧٨ ، العيني ، عقد الجمان ، جـ١١ ، قسم ٣ ، ص ٤٤٩ .

(٣) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٨٥ .

(٤) ابن سعد ، المصدر السابق ،ص ١٤٧ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٦ ، ص ١٨٥ .

الصواف[1] ووردان الصائغ[2] ، ومحمد بن جعفر بن وردان البناء[3] .

أما عن المشكلات التي كانت تواجه الحرفيين والعمال ، فلا تفصل المصادر الحديث فيها ، ولكن يبدو أن بساطة الحياة في نجد والحجاز ، قللت من مشاكلهم[4] .

ليست لدينا معلومات عن الدخل السنوي للعمال في نجد والحجاز في العصر الأموي ولكن يمكننا أن نكون فكرة تقريبية عن ذلك من دراسة بعض الأجور التي كان يأخذها بعض أصحاب الحرف ، فيروي ابن سعد أن الصباغ في المدينة ، كان يعصفر ثوب عروة بن الزبير بدينار[5] . فاذا افترضنا أنه يستطيع أن يصبغ مائتي ثوب في السنة ، أمكننا القول بأنه يأخذ مائتي دينار في السنة ، يذهب نصفها ثمناً للمواد الأولية التي استخدمت في الصباغة ، فيكون دخله الحقيقي تقريباً مئة دينار في السنة . وهذا المبلغ يوازي ما كان يعطيه عمر بن عبد العزيز سنوياً ، لمن تفرغ لنشر العلم والفقه والقرآن[6] . ولكننا يجب أن نعرف أن أجور العمال تتفاوت تبعاً لمهارتهم وخبرتهم والأعمال التي يستطيعون القيام بها .

---

(١) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٦٠ .

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٤٣٥ .

(٤) يبدو أن أهم المشكلات التي كانت تواجه العمال هي الفتن الداخلية التي تؤدي الى كساد حرفهم ويروح ضحيتها عدد منهم ، يروي البلاذري عن موقعة الحرة ، « وأخرج جميع أهل المدينة حتى أربع مائة رجل من أهل البحرين من أهل دارين كانوا عطارين فقالوا ما لنا وهذا إنما نحن تجار فأبوا الا إخراجهم وعقدوا لهم لواء فكانوا أول من انهزم بالناس . . » . ( أنساب الأشراف ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ٤٣ ) . ويروي الأصفهاني عن الفتنة التي وقعت بين والي اليمامة في نجد للوليد بن يزيد ، علي ابن المهاجر بن عبد الله الكلابي وبين أهل اليمامة فيقول « . . . وجاء سهم عائر فوقع في كبد صانع من أهل اليمامة . . » ( الأغاني ، جـ ٢٤ ، ص ٨٦ ) ويذكر البلاذري ( أنساب الأشراف ، جـ ٨ ، ص ٣٨٠ ) عن طرد الخوارج من المدينة في نهاية العصر الأموي ويقول : « فقاتلهم العبيد وأهل السوق . . » .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٣٤ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٢٠٧ .

# الفصل الرابع
# النّظمُ الماليّة

## ١ - المَوَارِدُ الماليّة

- الزكاة
- عشور التجارة
- الغنائم
- واردات أخرى

## ٢ - المصروفات على:

- العطاء
- شرف العطاء
- الرزق
- رواتب الموظفين
- المنشئات والمرافق العامة
- الرعاية الاجتماعية
- إعداد الحملات العسكرية
- حصة بيت المال في دمشق

# الفصل الرابع
## النظم المالية

تعمل السياسة المالية لكل دولة على تحقيق التوازن بين الإيرادات والمصروفات ، وقد سارت الدولة الاسلامية على هذه السياسة منذ قيامها[١] فأنشأت بيتاً للمال يكون مركزياً في عاصمة الدولة الاسلامية ، كما أنشأت فروعاً لهذا المركز في الأمصار الاسلامية الأخرى . وفي العصر الأموي كان لبيت المال المركزي في دمشق ، فرع في المدينة بالحجاز ، ويذكر الدكتور صالح العلي أن ولاة هذا الديوان كانوا من العرب حتى ولي هشام بن عبد الملك فولاه الموالي[٢] . الا أنه يبدو أن هذا الكلام غير دقيق فلقد ولي الموالي ديوان المدينة في عهد يزيد بن عبد الملك ، فتذكر المصادر أن عبد الرحمن بن هرمز كان على ديوان المدينة في عهد يزيد بن عبد الملك[٣] وفي عهد هشام بن عبد الملك تولى الديوان ابن أبي عطاء[٤] .

لقد كان هذا الموظف يدعى صاحب بيت المال يتولى استلام الأموال

---

(١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، جـ ١ ، ص ٤٩٩ ، والنظم الاسلامية ، ص ٢٦٥ .
(٢) صالح العلي ، ادارة الحجاز ، ص ٣٩ .
(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ( طبعة بيروت)، ص ١٩٨ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٨ ، ص ٣٤٨ .
الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، ص ١٣ .
(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ١٠٤٦ .

الواردة من حاضرة الخلافة ، أو من الصدقات[1] ، أو من ضرائب عشور التجارة أو غيرها ، وكان عليه أن ينفذ أوامر الخليفة الذي له حق التصرف في أموال بيت المال . ويبدو أن نجداً من الناحية المالية ، ترتبط أحياناً بالحجاز ، فيروي الأصفهاني أن مروان بن الحكم إذا ولي المدينة وجه مروان ابن أبي حفصة الى اليمامة في نجد ليجمع ما فيها من المال ويحمله اليه[2] . ويذكر مصعب الزبيري أن عكرمة بن عبد الرحمن المخزومي سعى على صدقات سعد والرباب « أيام كانت اليمامة تضم الى المدينة »[3] . وفي عهد عبدالله بن الزبير كان بيت المال المركزي في مكة ، وكانت الأموال تحول اليه من الأقاليم التابعة لابن الزبير ، وبعد مقتل عبدالله بن الزبير استولى عليه عبد الملك بن مروان[4] .

## ( ١ ) الموارد المالية

لقد إعتبر المسلمون أراضي نجد والحجاز عشرية لا خراج عليها، ولم يكن سكانهما يدفعون الجزية لأنهم جميعاً مسلمون ، ولأن الجزية فرضت على أهل الذمة نظير قيام المسلمين بالدفاع عنهم وحمايتهم في الأقاليم الاسلامية التي يقيمون فيها. لذلك كان على المسلمين أن يؤدوا الزكاة التي تعتبر فريضة دينية على جميع المسلمين إستجابة لقوله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾[5] .

فتؤخذ الزكاة من الإنتاج الزراعي ، كالحنطة والشعير والتمور والعنب[6] أما غير هذه المنتجات فقد اختلف فيها ، ونصاب الزكاة أن تبلغ كمية الانتاج

---

(١) الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص ٥٧٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٥٥ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٠ ، ص ٧١ .
(٣) مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص ٣٠٥ .
(٤) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٦٤ .
(٥) سورة التوبة ، آية : ١٠٣ .
(٦) يحيى بن آدم ، الخراج ، ص ١١٠ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٦٧ ، ٥٦٨ .

خمسة أوسق[1] ويختلف مقدار الزكاة وفق طرق السقي ، فإن كان الإنتاج الزراعي يسقى سيحا بواسطة العيون أو الأمطار ، كان على صاحبه دفع العشر إذا بلغ كيله خمسة أوسق ، وإذا كان الإنتاج الزراعي يسقى على النواضح والسواقي كان على صاحبه أن يدفع نصف العشر[2] . ومع أننا لا نعلم مقدار هذه العشور التي تجبى من المزروعات في نجد والحجاز ، الا انها لا بد وأن تكون كبيرة ، نظراً لتطور الزراعة وتوسعها ، ورغبة الأهالي في استصلاح الأراضي[3] .

أما زكاة الأموال النقدية من الذهب والفضة ، فكان على المسلمين أن يؤدوا زكاة أموالهم بواقع ربع العشر[4] ، واعتبر الدينار مساوياً لعشرة دراهم فاذا بلغ الذهب عشرين ديناراً ، كان على مالكها أن يؤدي نصف دينار ، واذا بلغت الفضة مائتي درهم ففيها خمسة دراهم[5] . وكان يطلق على الأموال النقدية من الذهب والفضة الأموال الباطنة لأن أصحابها يستطيعون إخفائها عن الزكاة[6] . وتدخل ضمن الأموال النقدية ، عروض التجارة بشرط أن تبلغ النصاب من الذهب والفضة ، فتضم الى سائر المال من النقد ، ويدفع عنه التاجر ربع العشر[7] . ويشترط في زكاة الأموال من النقد والذهب وعروض التجارة أن يحول عليها الحول[8] .

لقد وجد في نجد والحجاز عدد من المعادن للفضة والذهب ، والتي يبدو أن إنتاجها كان غزيراً ، كمعدن بني سليم ، ومعادن القبلية ، ومعدن

---

(١) نفس المصدر ، ص ٥٧٤ ، يحيى بن آدم ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٢) مالك ، المدونة ، جـ٢ ، ص ٣٣٩ ، ابن آدم ، الخراج ، ص ١١٢ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٧٦ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ١١٨ .

(٣) انظر : الفصل الأول عن الزراعة في نجد والحجاز وتطورها في العصر الأموي .

(٤) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١١٩ .

(٥) مالك ، المدونة ، جـ٢ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٠٠ ، الماوردي ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(٦) نفس المصدر ، ص ١١٣ ، ١١٩ .

(٧) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٢١ - ٥٢٥ .

(٨) مالك ، المدونة ، جـ٢ ، ص ٢٤٤ ، الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١١٩ .

حليت ، ومعدن بحران ، ومعدن أبرق خترب[١] . ولما كانت هذه المعادن موجودة في أرض المسلمين ، لذلك كان على أصحابها دفع الزكاة بواقع ربع العشر ( ٢,٥٪ ) فيروي الإمام مالك أن معادن القبلية ، التي أقطعها رسول الله(ﷺ) لبلال بن الحارث المزني ، في ناحية الفرع « لا يؤخذ منها الا الزكاة الى اليوم »[٢] . وكان عمر بن عبد العزيز يطلب أن يؤخذ من المعادن الزكاة فقط ، فيروي أبو عبيد أنه كتب « أن خذ من المعادن الصدقة ولا تأخذ منها الخمس »[٣] . كما يروي الإمام مالك « أن عمر بن عبد العزيز كان يأخذ من المعادن ربع العشر »[٤] .

أما زكاة الماشية وهي الإبل والبقر والغنم ، فيشترط في زكاتها شرطان : أولهما أن تكون سائمة ترعى الكلأ والعشب فتقل مؤنتها ويتوفر درها ونسلها[٥] ، فإن كانت عاملة فتجب فيها الزكاة ، فيروي أبو عبيد أن الإبل التي كانت تؤجر للحجاج بين مكة والمدينة ، تدفع زكاتها بالمدينة في العصر الأموي[٦] ، كما يروي أن عمر بن عبد العزيز أمر أن تؤخذ الصدقة من الإبل التي تعمل في الريف[٧] . أما إذا كانت هذه الإبل معدة للتجارة فتؤخذ الزكاة منها كأموال التجارة حسب تقويم أثمانها في أول الحول[٨] . أما الشرط الثاني فيجب أن يحول الحول على هذه الماشية ، لقوله ﷺ « لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول »[٩] ويوضح الجدول الآتي مقدار الزكاة الواجبة على الماشية بعد أن تبلغ النصاب ، لأن قيمة زكاتها تؤخذ عينا حسب أعدادها وسنها : -

(١) أنظر: عن هذه المعادن صناعة التعدين في الفصل الثالث من هذا الباب .
(٢) مالك ، المدونة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٤٢٣ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٤٢٤ .
(٤) مالك ، المدونة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩ .
(٥) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١١٥ - ١١٦ .
(٦) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٤٦٦ .
(٧) نفس المصدر ، ص ٤٦٦ .
(٨) نفس المصدر ، ص ٤٧٢ .
(٩) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١١٦ .

| النوع | العدد | مقدار الزكاة | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| أ) الإبل | ٥ | شاة | وهكذا في كل خمس شاة حتى تبلغ ٢٥ |
| | ٢٥ | بنت مخاض | وهي التي أكملت السنة ودخلت في الثانية |
| | ٣٦ | بنتا لبون | وهي التي أكملت سنتين ودخلت في الثالثة |
| | ٤٦ | حقة | وهي التي أكملت ثلاث سنوات ودخلت في الرابعة |
| | ٦١ | جذعة | وهي التي أكملت اربع سنوات ودخلت في الخامسة |
| | ٧٦ | بنتا لبون | |
| | ٩١ - ١٢٠ | حقتان | ومازاد على ١٢٠ فقد اختلف فيه الفقهاء[1] |
| ب) البقر | ٣٠ - ٣٩ | تبيع أو تبيعة | وهو ما استكمل ستة أشهر وقدر على اتباع أمه |
| | ٤٠ - ٦٩ | مسنة | وهي التي أكملت سنة |
| | ٧٠ - ٧٩ | مسنة وتبيع | |
| | ٨٠ | بقرتان مسنتان | ثم على هذا النحو ، فاذا زاد عدد البقر فيدفع عن كل ثلاثين بقرة تبيعا ، وعن كل أربعين بقرة مسنة[2] |
| ج) الغنم | ٤٠ | شاة | |
| | ١٢١ | شاتان | |
| | ٢٠١ | ثلاث شياه | |
| | ٤٠٠ | اربع شياه | وما زاد عن ٤٠٠ ففي كل مئة شاة[3] |

لقد اهتمت الدولة بجباية الزكاة ، ولما كانت القبائل البدوية التي تمتلك الماشية ، مضطرة الى السير وراء الكلأ والعشب في فصل الربيع ، ثم التجمع عند أماكن المياه الغزيرة ، فقد روعي أن تجبى الزكاة في

(١) انظر : مالك ، المدونة ، جـ٢ ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١١٤ - ١١٥ .

(٢) مالك ، المصدر السابق ، ص ٣١١ ، الماوردي ، المصدر السابق، ص ١١٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١١٥ ، مالك ، المصدر السابق ، ص ٣١٣ - ٣١٤ ، أبو عبيد، الأموال ، ص ٤٧٧ .

الأماكن التي يجتمعون فيها ، ولا يجبرون على المجيء الى أماكن لا تتلاءم مع ظروفهم وماشيتهم[١] ، فيروي أبو عبيد أن عمر بن عبد العزيز كتب : « أن صدقوا الناس على مياههم وبأفنيتهم»[٢] . ويقول الإمام مالك سنة السعاة أن يبعثوا قبل الصيف ، حين يسير الناس بمواشيهم الى مياههم « وعلى ذلك العمل عندنا ، لأن ذلك رفق بالناس في اجتماعهم على الماء وعلى السعاة لاجتماع الناس »[٣] .

ويبدو أن غالبية السعاة كانوا من أبناء العشائر[٤] ، وممن له منزلة حسنة لدى القبائل وكان السعاة يبدأون عملهم في بداية الصيف ، ولقد ذكرت المصادر عدداً ممن تولوا جباية الصدقات في نجد والحجاز في العصر الأموي ، ففي عهد معاوية ابن أبي سفيان ، تولى النعمان بن بشير صدقات بني عذرة[٥] وتولى همام بن مطرف العقيلي صدقات بني عامر[٦] . وفي عهد مروان بن الحكم تولى عمر بن عبد الرحمن بن عوف صدقات بني كعب وقشير وجعدة والحريش[٧] . وفي عهد الوليد بن عبد الملك كان يلي صدقات المدينة نوفل بن مساحق[٨] ، وتولى ابن زرارة صدقات اليمامة في عهد عمر بن عبد العزيز[٩] . ويروي الأصفهاني أن قمير ابن سعد كان متولياً صدقات بكر بن وائل[١٠] . أما عامل الأعشار والصدقات في المدينة في عهد مروان بن محمد فكان أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن

---

(١) صالح أحمد العلي ، تنظيم جباية الصدقات في القرن الأول الهجري ، مجلة العرب ، جـ ١٠ ، الرياض : ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، ص ٨٧٠ .
(٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٤٩٧ .
(٣) مالك ، المدونة ، جـ ٢ ، ص ٣٣٨ .
(٤) المصعب الزبيري ، كتاب نسب قريش ، ص ٤٢٧ . ابن قتيبة ، الشعر والشعراء جـ ٢ ، ص ٦٢٥ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ١٦ ، ١٧ .
(٥) ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص ٦٢٥ .
(٦) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٢١٠ ـ ١١ ،
(٧) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ١٦ .
(٨) المصعب الزبيري ، كتاب نسب قريش ، ص ٤٢٧ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ص ١٧ .
(٩) مالك ، المدونة ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦ .
(١٠) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٦٦ .

عفان ، وكان المسؤول عن صدقات أسد وطيء[1] .

ويبدو أن بعض ولاة الصدقات ، كانوا يتشددون في جمع الأموال وخاصة في عهد عبد الملك بن مروان حتى صارت ترتفع الشكوى ضدهم ، مطالبة بالعدل في استيفاء الصدقات ، فكان عمرو بن أحمر الباهلي يشكو ولاة الصدقات الى يحيى بن الحكم والي المدينة لعبد الملك بن مروان سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م، ويُنوه بعنف هؤلاء الولاة الذين يرهقونهم ويفرضون عليهم ما لا يطيقون[2] . أما في بادية نجد ، فكان الراعي النميري يشكو الى عبد الملك بن مروان المشرفين على صدقات بني نمير ، ويصف له ظلمهم وعسفهم[3] . مما جعل عبد الملك يأمر بأن يرفق بهم ، وترد عليهم صدقاتهم[4] . ولم تجد بعض القبائل بداً من الخروج على السعاة ، عندما لم تجد من يسمع لشكواهم ، خاصة في أواخر العصر الأموي . فيذكر البلاذري أن بعض قبائل طيء رفضت دفع الزكاة لعمال مروان بن محمد[5] .

لقد حدد الله الأصناف التي تدفع اليهم الصدقات في الآية الكريمة ، ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾[6] . والأصل في السنة أن كل بلد أحق بزكاته ما دام فيه فقراء ، ولقد أكد بعض الفقهاء على هذه الناحية ، فكان الامام مالك يرى الا يدفع من الزكاة الى بيت المال شيء ، وإنما تفرق في البلد الذي أخذت منه ، فان لم

---

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ١٢٤ ، جـ ٨ ، ص ٣٥٥ .

(٢) أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، ص ٣٠٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٣٣ .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٤ ، ص ٢١٥ .

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٨ ، ص ٣٥٥ .

(٦) سورة التوبة آية ٦٠ . والمقصود بالفقير هو الذي لا شيء له ، أما المسكين فهو الذي له شيء لا يكفيه ، انظر:عن هؤلاء الأصناف الثمانية ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

يوجد فيه فقراء فأقرب البلاد اليه[١] .

ولقد وردت بعض الروايات التي تعطي انطباعاً على أن الصدقة يجب أن تبقى محلية ، فتؤخذ من الأغنياء وتوزع على الفقراء ، فيروي ابن الجوزي أن هشاماً بن عبد الملك ، أمر أن توزع صدقات أهل الحجاز وأهل نجد فيهم ولا تنقل عنهم[٢] . كما يروي الامام مالك أن عمر بن عبد العزيز عندما بعث ابن زرارة ليأخذ صدقات أهل اليمامة أمره في السنة الأولى أن يقسم نصفها، ثم أمره في السنة الثانية أن يقسمها كلها ولا يحبس منها شيئاً[٣] . ويمكن أن نستنتج من خطاب عمر بن عبد العزيز الى ابن زرارة أن بعض الخلفاء الأمويين قبل عمر بن عبد العزيز كانوا لا يلتزمون بتوزيع أموال الصدقات في مواضعها التي أخذت منها ، فيبدو أن قسماً منها كان يذهب الى بيت المال ، إذ يروي الزبير بن بكار أن مروان بن الحكم ، على عهد معاوية بن أبي سفيان ، حاول أن يكمل عطاء أهل المدينة من مال الصدقة ، فرفضوا قائلين إنما عطاؤنا من مال الخراج فبلغ ذلك معاوية فأمر لهم من مال الخراج[٤] . كما تذكر المصادر أن عبد الملك بن مروان عندما حج وأمر للناس بالعطاء خرجت ( بدرة مكتوب عليها « من الصدقة » فأبى أهل المدينة قبولها وقالوا : إنما كان عطاؤنا من الفيء )[٥] . ويذكر الأصفهاني أن سليمان ابن عبد الملك أمر لجعفر بن الزبير بكثير من طعام الجار . وأن يدان من الصدقة بألفي دينار[٦] . وكان والي المدينة في العصر الأموي ، إذا جاء مال الصدقة أدان منه من أراد من قريش وكتب بذلك صكاً عليه[٧] .

---

(١) مالك ، المدونة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٢٤٢ .

(٣) مالك ، المدونة ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٤) الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص ٣٩٠ ، أبو عبيد ، الأموال، ص ٣٣٠ .

(٥) الزبير بن بكار ، المصدر السابق ، ص ٥٧٣ ، المسعودي ، مروج الذهب جـ ٣ ، ص ١١٥ .

(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٥ ، ص ٥ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٥ .

ويبدو أن هذا التصرف في أموال الصدقات ، بارسال قسم منها الى بيت المال ، استمر أيضا في بداية العصر العباسي ، إذ كانت تصرف كرواتب لبعض الولاة والموظفين، فيذكر الزبير بن بكار ، أن عبد الله بن مصعب الزبيري اشترط على الخليفة الرشيد عندما أراد أن يوليه المدينة ، ألا تصرف رواتبه ورواتب موظفيه من مال الصدقة[1] .

ومن الموارد المالية الأخرى عشور التجارة ، وهي الرسوم التي تؤخذ على أموال وعروض التجارة المارة على ثغور المسلمين . ويرجع هذا النظام الى زمن الخليفة عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) ، فيذكر أبو يوسف أن أبا موسى الأشعري كتب الى عمر يقول : أن تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر ـ فكتب اليه عمر : خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين[2] . ثم قدر الخليفة عمر الضريبة المفروضة على التجار فجعلها تختلف باختلاف دياناتهم ، فأمر أن يؤخذ من تجار المسلمين ٢,٥٪ ، ومن أهل الذمة ٥٪ ومن أهل الحرب ١٠٪[3] .

ولا تذكر المصادر مقدار ما تجبيه الادارة المالية في نجد والحجاز من هذه الضريبة في العصر الأموي ، ولكن يبدو أن هذا المورد كان طيبا ، ويكوّن نسبة لا بأس بها من واردات بيت المال في الحجاز ، نظراً لموقع الحجاز ونجد الجغرافي الممتاز من ناحية ونشاط الحركة التجارية ، البرية والبحرية ، من ناحية أخرى[4] ، لأن الحجاز في العصر الأموي كانت سوقاً رائجة ، تتدفق عليها الأموال مما يغري التجار بالقدوم اليها لعرض بضائعهم .

وخلال حركة عبد الله بن الزبير ، التي امتدت لتشمل العراق

---

(١) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ١ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .
(٢) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ، يحيى بن آدم ، الخراج ، ص ١٦٩ .
(٣) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٤٠ ،
يحيى بن آدم ، الخراج ، ص ١٦٩ ،
أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
(٤) انظر : التجارة في الفصل الثاني من هذا الباب .

والحجاز ، ومصر ، صارت فضول الأموال من الخراج ، التي كانت تحول الى بيت المال المركزي في دمشق ، تحول الى الحجاز ، فيروي البلاذري أن عبد الله بن الزبير كان يستولي على فضل خراج العراق ويأمر عماله بمواصلة الجهاد ، كما كان يطلب منهم تحويل فضول الأموال الى الحجاز[١] ، ليقوى بها ضد أعدائه . فقد كتب الى واليه على الموصل محمد ابن الأشعث يحثه على مواصلة الجهاد ويقول : « فأنت تأكل منها الكثير وتبعث اليّ بالقليل »[٢] ، وكان عبد الله بن الزبير لا يأخذ من هذه الأموال الا القليل ، مخافة أن يفنى ما عنده . وبعد هزيمته ومقتله من قبل الحجاج ، استولى الأمويون على كل ما كان في بيت المال من الأموال[٣] ، وغيرها من الطعام ، فكانت بيوت ابن الزبير مملؤة « قمحاً وشعيراً وذرة وتمراً »[٤] . أما الأموال فتقدرها بعض الروايات بعشرة ملايين درهم[٥] وقيل بل عشرة ملايين دينار[٦] . ولا شك أن الاستيلاء على أموال الثائرين على الدولة من أبواب الدخل لبيت المال ، لكن المصادر لا توضح لنا مقادير الأموال المصادرة من الثوار الآخرين .

ومن الإيرادات الأخرى ضريبة المكس ، التي ألغاها عمر بن عبد العزيز[٧] ، وكانت تجبى على المبيعات الداخلية ، الا أنه ليست لدينا معلومات عن مقدار ما كان يجبى من هذه الضريبة قبل تولية عمر بن عبد العزيز ، كما كانت الدولة الأموية ترسل الأموال من بيت المال المركزي في

---

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ٢٢٩ ، الخربوطلي ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، ص ٤٢١ .

(٢) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .

(٣) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٦٤ ، البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٦١ ، وانظر أيضا : الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٦ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، لوحة ٣٧ ، ابن فهد ، اتحاف الورى ، ص ٣٦٠ .

(٥) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .

(٦) الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢٠٨ .

(٧) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٩٩ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٣٣

دمشق ، في حالة احتياج الادارة المالية في الحجاز ، لتنفيذ بعض المشروعات التي تعتبر الدولة مسؤولة عن تنفيذها[١] .

## ( ٢ ) المصروفات :

لقد ذكرنا أهم الواردات التي كانت تصل الى بيت المال ، أما أهم المصروفات فكان العطاء ، وهو مقدار معين من المال يصرف سنوياً لمعظم السكان ، ويعتبر المصدر الأساسي للناس في معاشها[٢] ، وأول من نظم توزيع العطاء في الاسلام عمر بن الخطاب . ففي عهده كثر عدد المقاتلة ، مما أدى الى إنشاء الديوان سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م[٣] ، ومن ثم فرض العطاء[٤] . وكان النظام الذي وضعه عمر لتوزيع العطاء في المدينة ، هو جعل عطاء الناس يختلف حسب أسبقيتهم في الإسلام[٥] .

وسار الخليفة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب على سيرة عمر بن الخطاب في توزيع العطاء . وفي عهد معاوية بن أبي سفيان ، كان ديوان

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٣٩٦ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢، ص ٥١٣ .

(٢) صالح العلي ، العطاء في الحجاز ، ص ٣٧ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٣ ، قسم ١ ، ص ٢١٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٤ ، ص ١١٢ . وانظر :

Watt, Islamic Surveys, p.46.

(٤) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٤٩ ، ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٧٥ .

(٥) أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٤٦ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٣ قسم ١ ، ص ٢١٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٣ ، ص ٦١٣ ، وما بعدها ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ابن طباطبا ، المصدر السابق ، ص ٧٥ - ٧٦ . يروي أبو يوسف ان عمراً قال « لا أجعل من قاتل رسول الله ( ص ) كمن قاتل معه ففرض لأهل السوابق والقدم من المهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً خمسة آلاف خمسة آلاف ، ولمن لم يشهد بدراً أربعة آلاف أربعة آلاف ، وفرض لمن كان له إسلام كإسلام أهل بدر دون ذلك ، أنزلهم على قدر منازلهم من السوابق » . انظر أبو يوسف ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .

العطاء يضم أسماء أهل المدينة الذين يستحقون العطاء ، مرتبة حسب قبائلهم ، وفيها مقدار عطاء كل شخص منهم ، وكان لكل قبيلة عريف ، يعد سجلاً بأسماء أفراد قبيلته ، ومقدار العطاء الذي يستحقه كل شخص منهم ، فكانوا يتسلمون الأعطيات من الدولة لقبائلهم « فلا يغيبون غائبا ، ولا يميتون ميتا ، ويصدقون أهلها ، فيعطونهم بعضاً ويأخذون بعضا »[١] . لكن ذلك لم يرض معاوية بن أبي سفيان ، الذي أراد أن يصحح هذا الخطأ في الديوان فأرسل عاصم بن عتبة الى المدينة ، وأمره أن يدفع العطاء لأهل المدينة ، للحاضر دون الغائب، وللحي دون الميت، ولا يعطي أحدا الا في يده[٢]. فغضب أهل المدينة من هذا التصرف ، ولما كان معاوية يريد إرضاء أهل المدينة ، لذلك تراجع عن موقفه . فيروي ابن قتيبة أن معاوية عندما حج أعطى الناس أعطياتهم وأجزل لهم العطاء ، وأخرج الى كل قبيلة أعطياتها المخصصة لها[٣] .

وقد استخدم معاوية بن أبي سفيان قطع العطاء كجزء من العقاب فيروي الطبري أن معاوية غضب على عبد الرحمن بن أم الحكم عندما هجا زياد بن أبي سفيان « وحرمه عطاءه حتى أضرّ به »[٤] .

وفي عهد عبد الله بن الزبير ، يروي البلاذري أنه لما بلغه مقتل أخيه مصعب ، كتب الى عامله على المدينة ليفرض لألفي رجل من أهل المدينة وما والاها ليكونوا عوناً له ضد الأمويين ، ففرض[٥] . وهذا يدلنا على أن بعض السكان في هذا العهد لم يكونوا يأخذون العطاء ، ولا ريب أن هذا الإجراء قد حدث بعد عهد الخلفاء الراشدين الذين شمل العطاء في عهدهم

---

(١) الزبيري ، نسب قريش ، ص ١٥٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥٤ .

(٣) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، جـ ١ ، ص ١٦٤ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٥ ، ص ٣٢٠ ، وانظر :

Tritton, Notes on the Muslim System of Pension, p.170.

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ٣٥٧ .

جميع السكان في المدينة[1] .

ونظراً للظروف السياسية التي مر بها الحجاز ، وظهور بعض الحركات المعادية للأمويين ، كحركة أهل المدينة ضد يزيد بن معاوية ، وحركة عبد الله بن الزبير ضد بني أمية الأمر الذي أدى الى حرمان كثيرين من أهل الحجاز من العطاء ، لأن الخلفاء إذا عصاهم أحد قطعوا عطاءه ، يروي الأصفهاني أن وفداً من هذيل قدم على ابن الزبير لأخذ عطائه وإعلان ولائه ، فلما نظر اليهم عبد الله ابن الزبير وجد الشاعر أبا صخر الهذلي معهم ، وكان عارفاً بهواه لبني أمية فمنعه عطاءه ، مما جعله يشتد عليه في القول ، لذلك أمر ابن الزبير بحبسه وأقسم الا يعطيه مع المسلمين عطاءً أبداً[2] .

وفي عهد عبد الملك بن مروان فرضت فرائض جديدة ، فيروي الأصفهاني أن عبد الملك فرض لاسماعيل بن يسار[3] ، وأمر لأبي صخر الهذلي بما فاته من العطاء[4] . ووفد محمد بن الحنفية على عبد الملك بن مروان ، وطلب منه أن يفرض لولده ومواليه ففرض لهم[5] ، وهذه الرواية تدل على أن بعض الموالي في الحجاز كان يتسلم العطاء مع العرب . ويذكر المسعودي أن عبد الملك حج في احدى السنوات ، وأمر للناس بالعطاء لكنه لا يحدد هذه السنة[6] . وحرم عبد الملك الشاعر أبا قيس الرقيات مدى الحياة من العطاء ، لانه كان موالياً لمصعب بن الزبير ، وكان عطاؤه ألفي

---

(١) انظر : أبو يوسف ، الخراج ، ص٤٧ - ٤٨ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٤ ، ص ٣٥٥ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ص ٣١ ، ٣٦ ، ٧٥ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٤ ، ص ١١١ - ١١٣ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٤٢٢ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٢٤ ، ص ١١٦ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٨٣ .

(٦) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١١٥ .
الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص ٥٧٣ .

درهم[1] . والوليد بن عبد الملك عندما حج ، وهو ولي عهد ، أمر لأناس من أهل المدينة بزيادات في دواوينهم[2] .

وعلى الرغم من أن العطاء يؤمن لمن يأخذه دخلا طيبا ، الا أننا نجد أن بعض المعارضين لسياسة الدولة الأموية في الحجاز في هذا العصر كانوا يرفضون أخذ العطاء تعبيراً عن معارضتهم للدولة الأموية ، فيروي ابن سعد أنه « كان لسعيد بن المسيب في بيت المال بضعة وثلاثون الفاً عطاءه فكان يدعى اليها فيأبى ويقول لا حاجة لي فيها حتى يحكم الله بيني وبين بني مروان »[3] .

وفي عهد سليمان بن عبد الملك شمل العطاء أناساً آخرين من أهل المدينة ، فتذكر المصادر أن سليمان بن عبد الملك عندما حج سنة **٩٧هـ / ٧١٥م** ، فرض لقريش أربعة آلاف فريضة ، كما فرض لحلفائهم ومواليهم أربعة آلاف فريضة أخرى[4] . ويروي الأصفهاني أن سليمان بن عبد الملك فرض للناس في خلافته ، فكان والي المدينة أبو بكر بن حزم يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم حتى يفرض لهم[5] . كما ذكر ابن سعد أن سليمان بن عبد الملك فرض ليوسف بن الماجشون عندما ولد في عطاء المقاتلة ، ولكن عمر بن عبد العزيز ألغى هذا الفرض[6] ، لأن عطاء المقاتلة لمن بلغ خمس عشرة سنة .

ويقول ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله ، بأنه في عهد عمر بن عبد العزيز جرى على يديه لقومه ثلاثة أعطية[7] . ويؤيد هذه الرواية ما رواه الواقدي من أن عمر بن عبد العزيز أخرج ثلاثة أعطية في سنتين وخمسة

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٥ ، ص ٧٩ ـ ٨٠ ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، جـ ١ ، ص ٥٤٠ .
(٢) الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .
(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٩٥ ، وانظر أيضا : العلي ، العطاء في الحجاز ، ص ٧٨ .
(٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨ ، مجهول المؤلف ، العيون والحدائق ، ص ٢٤ .
(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٥ ، ص ٤ .
(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٠٧ .
(٧) نفس المصدر ، ص ٢٥٥ .

أشهر[١] ، ويروي اليعقوبي أن عمر كتب الى عماله بتعجيل العطاء لمن أراد أن يحج[٢] . كما كتب الى ابن حزم واليه على المدينة يقول « من كان غائبا قريب الغيبة فاعط أهل ديوانه ومن كان منقطع الغيبة فأعزل عطاءه الى أن يقدم أو يأتي نعيه أو يوكل عندك بوكالة بيّنة على حياته فادفعه الى وكيله »[٣] . كما كان عمر يعطي العطاء لورثة الميت ، إذا كان قد استحقه ولم يستلمه لموته[٤] . ولم يقتصر عمر على توزيع الأعطية فقط ، بل فرض العطاء لأناس جدد من أهل المدينة . يروي صاحب الأغاني أن عمر بن عبد العزيز فرض العطاء ليزيد بن عيسى بن مورق مولى علي بن أبي طالب[٥] ، كما فرض للقاسم ابن مخيمرة[٦] ، وبنات الشاعر نصيب[٧] .

وكان من سياسة عمر بن عبد العزيز عدم الفرض للتجار ، فيروي ابن سعد أن عمر كتب الى والي المدينة ، أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، بأن يفرض للناس الا التاجر[٨] . ولا ريب أن إجراء عمر في عدم ادخال التجار في العطاء إجراء عملي ، لأن العطاء كان يدفع للناس على أن يشاركوا في القتال عندما تدعوهم الدولة الى ذلك ، وهذا لا يوافق هوى التجار ، لأن التجارة تستغرق وقتهم وتؤمن لهم دخلاً طيباً يغنيهم عن العطاء[٩] . وقد أيد

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٥٥ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٥٧ .

(٤) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣٣٢ ، الخزاعي ، الدلالات السمعية ، ص ٢٢٤ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ٢٦٤ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٥٧ ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ص ١٠٩ .

(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ . يروي الأصفهاني أن الشاعر نصيب قال لعمر إن لي بنات كسدن « أرغب بهن عن السودان ويرغب عنهن البيضان . قال : فتريد ماذا ؟ قال تفرض لهن ، ففعل » .

(٨) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٥٤ . وانظر :

Tritton, op. cit., p.170.

(٩) العلي ، العطاء في الحجاز ، ص ٧٩ .

تصرف عمر بعض سكان الحجاز ، فيقول سليمان بن يسار : « أصاب عمر التاجر مشغول بتجارته عما يصلح المسلمين »[1] .

ولم يقتصر عمر على فرض العطاء للجدد ، بل أمر برده لمن قطع عنهم ، وخاصة من اشتركوا في الحركات المناهضة للأمويين ، فيروي الواقدي أن عمر بن عبد العزيز أعاد عطاء عبد الله بن العلاء بن زبر ، الذي حرم منه بسبب اشتراكه مع العصاة ، وأمر أن يخرج له ما فاته من العطاء[2] . الا أنه يبدو أن عمر لم يستطع رد العطاء لكافة من حرم منه ، فيروي الواقدي أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أبي بكر بن حزم أن يعطي خارجة بن زيد ما فاته من العطاء ، لكن خارجة اشترط أن يعطي جميع نظرائه ممن حرموا من العطاء ، فاعتذر عمر قائلا : « لا يسع المال ذلك ولو وسعه لفعلت »[3] وهذا يدل على أن عمر بن عبد العزيز كان « مقيداً بإمكانياته المالية المحدودة لا بأحقيتهم في رد العطاء لهم »[4] .

وفي عهد هشام بن عبد الملك ، يذكر الأصفهاني أنه كتب الى والي المدينة ، عبد الواحد النصري ليفرض لقوم نصيب الشاعر ، بني ضمرة وقد فعل النصري لكنه رفض أن يفرض لأربعة منهم ، اعتقد أنهم ما زالوا صغاراً ولم يوافق على الفرض لهم الا بعد أن اقتنع بأنهم قد بلغوا الحلم[5] . ولم يقتصر العطاء في عهد هشام على المؤيدين للدولة ، بل كان يفرض العطاء أحياناً للفقراء والمسنين من ذوي الحاجة ، فيذكر الأصفهاني أن أحد الأنصار من بني حارثة ، طلب من هشام أن يفرض له ، وأن يسجل في الديوان لفقره وكبر سنه ، فقال هشام : لن أفرض لك حتى مثل هذه الليلة من السنة

---

(١) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٥٦ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٤) العلي ، العطاء في الحجاز ، ص ٦١ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ١٩٣ - ١٩٤ ، عبد المجيد الكبيسي ، عصر هشام بن عبد الملك ، ص ٣٤٤ .

المقبلة ، وكان هشام غاضباً لأنه خسر السباق للخيل الذي أجراه في المدينة[1] .

وكان الخليفة هشام يمنع العطاء أحيانا ، عمن يؤيد الحركات المعادية للدولة الأموية حتى ولو كان المؤيدون بلداً برمتها ، أو إقليماً بذاته ، فيروي الأصفهاني أن هشاماً منع أهل المدينة وأهل مكة أعطياتهم سنة لتأييدهم ثورة زيد بن علي[2] ، لكنه لم يلبث أن مات فأعادها الوليد بـن يزيد الى ما كانت عليه[3] . وعندما هاجم أبو حمزة الخارجي الحجاز سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٦م ، ضرب عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك البعث على أهل المدينة وأمر بالاستعداد للدفاع عن المدينة وزادهم في العطاء ، « عشرة عشرة »[4] .

ولم يقتصر العطاء على العرب فقط ، بل شمل الموالي أيضا ، فيذكر ابن عبد ربه أن معاوية بن أبي سفيان فرض لكل واحد من الموالي خمسة عشر درهما . أما عبد الملك فقد جعل عطاءهم عشرين ، ثم جعله هشام ثلاثين درهما[5] . ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ساوى بين الموالي والعرب « في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء »[6] .

وقد شمل العطاء في العصر الأموي الأطفال ، فيذكر أبو عبيد أن معاوية ابن أبي سفيان فرض عطاء الوليد بعد الفطام[7] ، فلما جاء عبد الملك بـن

---

(١) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ٧ ، ص ٢٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢١ ـ ٢٢ . وانظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ص ٢١٧ ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٥٢ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٢٣ ، ص ٢٢٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، ص ٣٧٦ ، ابن فهد ، اتحاف الورى ، ص ٣٩٣ ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٠٣ .

(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٤ ، ص ٤٠٠ ، عبد القادر المعاضيدي ، واسط في العصر الأموي ، ص ٣٥١ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٧٧ .

(٧) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣٠٦ .

مروان « قطع ذلك كله الا عمن شاء »[1] . أما عمر بن عبد العزيز فكان يفرض لكل فطيم عشرة دنانير[2] ، كما كان يفرض لكل مولود ، فيروي الواقدي أن عمر بن عبد العزيز قال « اكتبوا لنا كل منفوس نفرض له »[3] . أما مقدار عطاء المولود فتوضحه رواية الواقدي عن أبيه الذي ولد سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م فذهبت به حاضنته الى أبي بكر بن حزم ، فأعطاه دينارا ، ثم ذهبت به في السنة الثانية فأعطاه ديناراً آخر[4] . لقد عمم عمر بن عبد العزيز الفرض في الديوان لكافة الأطفال ، ولكنه ثبت سن العطاء لمن بلغ خمس عشرة سنة ، فجعل هذه السن الفرق بين عطاء المقاتلة وعطاء الأطفال . فيروي ابن سعد أن عمر « كتب الى عماله أن يفرضوا لابن خمس عشرة ويلحقوا ما دون ذلك في العيال »[5] .

لقد كان العطاء يدفع ـ فيما يبدو ـ في بداية شهر محرم من كل عام ، ويتولى توزيعه الولاة على عرفاء القبائل ، الذين يقومون بدورهم بتوزيعه على أتباعهم[6] . فقد روى الطبري أن العطاء كان في عهد عمر بن الخطاب يوزع في شهر محرم[7] من كل عام ، ويبدو أن ذلك استمر خلال العصر الأموي ويؤيد ذلك ما رواه الأصفهاني من أن الوليد بن يزيد عندما أعاد العطاء لأهل الحرمين الذي قطعه عنهم هشام بن عبد الملك ، كتب اليهم :

محرمكم ديوانكم وعطاؤكم ‏ ‏ ‏ ‏ به يكتب الكتاب والكتب تطبع[8]

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، جـ٣ ، القاهرة : ١٩٥٧ ، ص ٥٦٢ . ويذكر أبو عبيد أن معاوية فرض عطاء الوليد بعد الفطام ، « فلم يزل كذلك حتى قطع عمر بن عبد العزيز بن مروان ذلك كله ، الا لمن شاء » . الأموال ص ٣٠٦ .

(٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣٠٤ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، طبعة القاهرة ، ص ٥٦٢ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٥٥ . ‏ ‏ ‏ ‏ (٤) نفس المصدر ، ص ٢٥٥ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١٠٥ ، وانظر أيضا : الشافعي ، الأم جـ ٤ ، ص ١٥٦ .

(٦) مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص ١٥٤ .

(٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٤ ، ص ٤٢ .

(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٧ ، ص ٢٢ ، وانظر أيضا : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢١٨ .

أما شرف العطاء فكان يدفع لأهل السابقة في الاسلام ، الذين اشتركوا في الفتوحات الاسلامية الأولى ، مجازاة لهم على اشتراكهم في تلك الحروب التي أدت الى نشر الاسلام وتثبيت دعائمه . وكان الحد الأعلى لشرف العطاء يبلغ ألفين وخمسمائة درهم[١] ، وظل كذلك حتى أنقصه معاوية بن أبي سفيان ، وجعله ألفي درهم[٢] ، ولما كان الإبن لا يرث أباه في شرف العطاء ، لذلك كان الخلفاء الأمويون يضيفون دائماً الى شرف العطاء بعض الأشخاص الذين يحلون محل المتوفين[٣] . فيروي البلاذري ، أن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، اعترض على معاوية بسبب خلاف بينهما على أرض ، فحكم بها القاضي لعبد الرحمن ، وعندما علم معاوية ، كتب الى وكيله بأنفاذ قرار القاضي ، والحق عبد الرحمن بن زيد في شرف العطاء[٤] . كما فرض معاوية للشاعر مسكين الدارمي في شرف العطاء[٥] .

وفي عهد عمر بن عبد العزيز ورد ذكر شرف العطاء ، فيروي البلاذري أن أبا بكر بن محمد بن حزم ، والي المدينة ، كتب الى عمر بن عبد العزيز : « أن قوماً من الأنصار قد بلغوا أسناناً ولم يبلغ عطاؤهم الشرف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإثباتهم في شرف العطاء فليفعل » ، فأجابه عمر ابن عبد العزيز بقوله : « فإنما الشرف شرف الآخرة والسلام »[٦] . ويبدو أن هناك أسباباً منعت عمر بن عبد العزيز من الموافقة على هذا الطلب بيد أن المصادر لا توضح ذلك ، وإن كنا نعلم أن عمر بن عبد العزيز لم يلغ شرف

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٦ ، ص ١٥١ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٥ ، ص ٣٧٠ ، صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص ١٥٢ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٥٥ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ ، ص ٧٤٩ ، البغدادي ، خزانة الأدب ، جـ ٣ ، ص ٥٩ .

(٤) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٧٤٩ .

(٥) البغدادي ، خزانة الأدب ، جـ ٣ ، ص ٥٩ .

(٦) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٧ ، ص ١٣٩ ، ويذكر البلاذري أيضا ، ( أنساب الأشراف ، جـ ٧ ، ص ١٥٨ ) أن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتب الى سليمان بن عبد الملك يطلب منه أن يلحقه بشرف العطاء فوصل الكتاب وقد مات سليمان وتولى عمر بن عبد العزيز ، فرد عليه عمر بعدم الموافقة قائلا : « إنما الشرف شرف الآخرة والسلام » .

العطاء وفرضه لأناس آخرين ، فيروي ابن سعد أن عمر « فرض لرجال ألفين ألفين شرف العطاء »[1] ويذكر اليعقوبي أن عمر بن عبد العزيز لم يزد في شرف العطاء ولم ينقصه »[2] .

وإضافة الى العطاء ، كانت الدولة الأموية توزع على أهل المدينة شهريًا ، مواد غذائية عينية سميت منذ عهد عمر بن الخطاب الرزق[3] ، فيروي أبو عبيد أن عمر فرض لكل مسلم جريبين من الحنطة شهريا[4] ، وعمل عمر هذا المقدار من الرزق بعد أن تأكد أنه يكفي لحاجة الفرد الاستهلاكية في شهر واحد[5] . وقد عرف الرزق في الحجاز باسم « طعام الجار »[6] نسبة الى ميناء الجار الذي كانت تخزن فيه الحبوب الواردة الى المدينة المنورة من خارج الحجاز[7] .

وهناك ما يؤيد توزيع الرزق في المدينة في العصر الأموي ، فيروي ابن عبد الحكم أن الصكوك خرجت للناس في ولاية مروان بن الحكم على

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٥ ، ص ٢٥٥ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٣) ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، أبو عبيد ، الأموال ، ص٣١٤ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٦ ، ص ١٢٠ ، جـ٧ ، ص٢٦٩ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٢ .

(٤) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣١٤ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ٣ ، قسم ١ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٣ ، ص ٦١٥ ، ويذكر أبو عبيد (ص ٣١٤) أن عمر فرض لكل نفس مسلمة في كل شهر مدَّي حنطة وقسطي خل وقسطي زيت . والجريب مكيال يساوي سبعة أقفزة في عهد عمر بن الخطاب ، وكان القفيز فيما بعد يساوي صاعاً واحداً ، أو يساوي $\frac{1}{3}$ ٥ رطل ( وزن الحنطة ) . ويساوي ٢٢,٧١٥ كغم قمح . انظر : فالتر هنتس ، المكاييل والأوزان الاسلامية ، ص ٦١ . أما القسط فهو مكيال يساوي نصف صاع ، أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦٢٠ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣١٤ ، أبو يوسف ، الخراج ، ص ٥١ ، ابن سعد ، الطبقات جـ٣ قسم١ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ ، الطبري ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٦١٥ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٢ .

(٦) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٤ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ٥ ، ص ٢٥٥ ، الأصفهاني ، الأغاني جـ١٤ ، ص ٥ ، ابن حنبل ، المسند ، جـ١٦ ، ص ٨٣٤٩ .

(٧) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ١٧٧ ؛ انظر أيضاً : العلي ، العطاء في الحجاز ، ص ٨٣ .

المدينة من طعام الجار[1] ، كما أورد الأصفهاني أن سليمان بن عبد الملك أمر لجعفر بن الزبير بكثير من طعام الجار[2] .

لقد قرر عمر بن الخطاب المساواة بين المسلمين في طعام الجار[3] ، ولكن يبدو أنه حدثت بعده بعض التغيرات في توزيع الرزق في العصر الأموي مما أدى الى إستياء الناس من عدم المساواة حتى جاء عمر بن عبد العزيز فوضع حداً لهذا الاستياء بأن قرر التسوية بين الناس في طعام الجار ، يروي ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز سوّى « بين النّاس في طعام الجار وكان اكثر ما يكون طعام الجار أربعة أرادب ونصف لكل انسان »[4] . ويذكر ابن الجوزي أن الرزق استمر توزيعه في الحجاز في عهد هشام بن عبد الملك[5] ، ويبدو أن طعام الجار استمر خلال العصر الأموي وبداية العصر العباسي ، فيذكر الاصفهاني أن الخليفة المهدي عندما مدحه الشاعر ، محمد ابن عبد الله بن مسلم بن المولى ، أمر صاحب الجار أن يجري له ولعياله في كل سنة ما يكفيهم[6] .

ويبدو أن الرزق لم يكن له دور بارز في معاش السواد الأعظم من الناس بالحجاز ، لأن منطقة المدينة وما جاورها من البلدان كانت خصبة ، وكان السكان هناك يمتلكون أراضي زراعية واسعة تنتج كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية ، ولا بد أن هذه المحاصيل كانت تغنيهم عما كانت توزعه الدولة من الرزق ، فكانوا لا يحتاجون طعام الرزق للإستهلاك . ولما كانت كميات الرزق التي تدفع للسكان تعطى بموجب صكوك من قراطيس مختوم في

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٤ ، ابن حنبل ، المسند ، جـ ١٦ ، ص ٨٣٤٩ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٥ ، ص ٥ .
(٣) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣١٤ ، ابن سعد ، الطبقات جـ ٣ ، قسم ١ ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٣ ، ص ٦١٥ .
(٤) ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٥٥ .
(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٤٨٥ ، تنوير الغبش ، ص ١٨٢ .
(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٢٩٩ .

أسفلها ، لذلك كان السكان يتبايعون هذه الصكوك المخصصة لهم ، وبذلك كثرت المتاجرة في هذه الصكوك بين المواطنين ـ كما سبق أن أشرنا[1]

ومن المصروفات الأخرى رواتب الموظفين ، فلقد كان بنجد والحجاز عدد من الموظفين الذين يقومون بادارة الأعمال الحكومية المختلفة ، ويتقاضون مرتبات تختلف عن العطاء ، الذي كان يعطى لمعظم السكان . ويقف الوالي[2] على رأس هؤلاء الموظفين ، وإلى جانبه صاحب الشرطة ، والقاضي ، وصاحب بيت المال ، والعامل على السوق ، وعامل الصوافي ، وعامل الأعشار والصدقات ، ثم بقية الموظفين . وكانت هذه الرواتب تختلف باختلاف الوظيفة وطبيعة العمل .

لقد كانت مرتبات وظائف الولاة أعلى من رواتب بقية الموظفين الآخرين ، لكن المصادر لا تفصّل لنا مقدار هذه المرتبات ، الا أن ابن عبد الحكم يروي أن عمر بن عبد العزيز كان يعطي الولاة مرتباً قدره ثلاثمائة دينار[3] في الشهر . ويبدو أن مرتبات الولاة أيضاً كانت مختلفة ، وتخضع لحجم الولاية ، فيذكر ابن كثير أن عمر بن عبد العزيز كان يعطي الولاة في الشهر مئة دينار ، ومائتي دينار[4]. ومع أنه لا توجد لدينا أية إشارة الى مقدار رواتب الولاة في الحجاز في عهود خلفاء بني أمية الآخرين ، الا أنه من المحتمل أن رواتبهم كانت مقاربة في مقاديرها لهذا الراتب الذي خصصه عمر ابن عبد العزيز . كما كان لوالي المدينة حرس خاص[5] ، تدفع لهم

---

(١) انظر : استخدام الصكوك في الفصل الثاني من هذا الباب .

(٢) عن ولاة الحجاز والأماكن التابعة لها انظر : زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص ٢٧ ـ ٢٨ ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(٣) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٤٦ ، يذكر الزبير بن بكار أن مرتب والي المدينة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد كان الف دينار شهرياً ، ( جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ١٣٢ ) .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٠٣ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١١ ، ص ١٩٣ .

المرتبات من الدولة .

أما القضاء فهو من المناصب التي تلي وظيفة الوالي ، وكان الولاة هم الذين يعينون القضاة[1] ، وليست لدينا معلومات مفصلة عن رواتب القضاة في الحجاز في العصر الأموي ، غير أنه يُذكر أن عمر بن عبد العزيز عندما قدم المدينة والياً من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك ، أمر رجلاً يقضي بين الناس وأجرى له في الشهر دينارين[2] . ويبدو أن هذه الأجور اضافة الى مرتب هذا الرجل ، إذ لا يعقل أن يكون مرتب القاضي هذا المبلغ ، خاصة إذا عرفنا أن راتب قاضي البصرة اياس بن معاوية كان مئة درهم شهرياً[3] ، وأن مرتب أبي يعلى قاضي الكوفة في ولاية يوسف بـن عمر ، كان مئة وخمسين وقيل مائتي درهم في الشهر[4] . كما كان راتب عبد الرحمن بن حجيرة قاضي الفسطاط في ولاية عبد العزيز بن مروان مائتي دينار سنوياً[5] . وفي عهد مروان بن محمد تولى القضاء عبد الرحمن بن سالم وكان مرتبه في الشهر عشرة دنانير[6] . لذلك لا يعقل أن يكون مرتب قاضي المدينة أقل من هؤلاء بكثير ، والذي نعتقده أنه مقارب لرزق القضاة في الأمصار الأخرى . كما كان لقاضي المدينة حرس خاص تُدفع لهم المرتبات من الدولة ، فيروي وكيع أن أبا بكر بن محمد بن حزم كان يقضي بين الناس وعنده حرس معهم سياط[7] .

ومن الوظائف التي كان يتقاضى أصحابها مرتبات من الدولة ، وظائف

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١١٧ ، ٢٤٤ ، وكيع ، أخبار القضاة ،جـ ١، ص ١٣٤ ، خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٢١٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣١٧ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٣٣ .

(٢) وكيع ، أخبار القضاة ، جـ ١ ، ص ١٣٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٤٢ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ١٨٠ ، عبد القادر المعاضيدي ، واسط في العصر الأموي ، ص ٣٥٤ .

(٥) الكندي ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، بيروت : ١٩٠٨ ، ص ٣١٧ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٣٥٤ .

(٧) وكيع ، أخبار القضاة ، جـ ١ ، ص ١٤٥ .

الشرطة ، لكن المصادر لا تذكر لنا الا بعض ولاتها في المدينة ، ففي عهد معاوية بن أبي سفيان ، كان على الشرطة مصعب بن عبد الرحمن بن عوف[1] ، وفي عهد يزيد بن معاوية تولى الشرطة عمرو بن الزبير[2] ، أما في عهد الوليد بن عبد الملك فكان على شرطة المدينة عبد الحميد بن الحطاب ابن عبد الحميد بن محمد بن الحطاب[3] . وإضافة الى وظيفة الشرطة ، كان في المدينة حرس للمسجد النبوي ، يتقاضون مرتبات من الدولة ، فيروي السمهودي أنه كان في المدينة في العصر الأموي ، حرس للمسجد النبوي ، يمنعون الصلاة فيه على الجنائز[4] .

أما وظيفة العامل على السوق فهي من الوظائف التي كان أصحابها يتقاضون عنها مرتبات من الدولة ، وإن كنا لا نعلم مقاديرها ، فيذكر الأزرقي أن سعيداً بن ميناء كان عاملا على السوق في مكة لعبد الله بن الزبير[5] ، وكان سليمان بن يسار عاملا على سوق المدينة في عهد الوليدبن عبد الملك[6] كما ذكر الأصفهاني بُردان كعامل على سوق المدينة دون أن يذكر زمن تعيينه[7] .

ومن الوظائف الأخرى ، صاحب ديوان بيت المال ، فيذكر الجهشياري أن أصحاب الدواوين في العصر الأموي كانوا يتقاضون ثلاثمائة درهم شهرياً[8] . ويلحق ببيت المال ولاية الصوافي[9] ، فكانت من الوظائف التي

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١١٥ ، ١١٧ ، وكيع ، أخبار القضاة ، جـ ١ ، ص ١١٨ .

(٢) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ ، البلاذري ، أنساب الاشراف، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٢٣ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٥ ، ص ٧٥ ، العصامي ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٣) مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص ٣٩٦ .

(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ ، ص ٥٣١ .

(٥) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٤٩ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٣٠ .

(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٢٧٧ .

(٨) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٢٦ .

(٩) السمهودي ، المصدر السابق ، ص ٧٢١. والصوافي هي الأراضي التي ليس لها مالك ، إذا جلى عنها أهلها أو قتلوا في الحروب . انظر : أبو يوسف ، الخراج ، ص ٦٢ - ٦٣ .

ذكرت في الحجاز ونجد ، فيذكر السخاوي أن اسحق بن عبد الله بـن أبي طلحة كان على الصوافي باليمامة[١] . أما في المدينة فكان ابن ميناء على الصوافي في عهد معاوية[٢] . كما كان يوجد في المدينة عامل العشور والصدقات[٣] ، غير أنه لا توجد أية اشارة الى مقدار رواتب هؤلاء الموظفين . أما صغار الكتاب فيبدو أنهم كانوا يتقاضون ما بين عشرين الى أربعين درهماً في الشهر[٤] .

أما المصروفات على المنشآت والمرافق العامة ، كالمساجد ، والسدود والأسواق ، وشق الطرق وحفر الآبار وغيرها ، فكانت احدى وجوه الانفاق التي تعتبر الدولة مسؤولة عنها . ففي عهد معاوية بن أبي سفيان ، أقيمت مشاريع المياه للشرب في مكة فأنشأ نحو عشر عيون[٥] ، كما أقيمت السدود في الحجاز للاستفادة من مياه السيول كسد « ساى سد » بالطائف وسد معاوية بالقرب من المدينة[٦] . وكان الأمويون يخرجون الزيت لقناديل المسجد الحرام والطيب للكعبة من بيت المال ، إقتداء بمعاوية الذي يعتبر أول من فعل هذا[٧] . كما كان المسجد الحرام يحصب سنوياً بأربعمائة دينار نظراً الى أن الحصباء التي فيه تجرفها السيول[٨] . غير أن المصادر لا تذكر كل المشاريع التي تنفق عليها الدولة ، كما أنها من ناحية أخرى لا تذكر التكاليف إلا نادرا .

وفي عهد عبد الله بن الزبير ، حفرت بعض الآبار في ضواحي مكة ، كما

---

(١) السخاوي ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة ، جـ ١ ، ص ٢٨١ .
(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ١ ، ص ١٢٧ .
(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف، جـ ٨ ، ص ٣٥٥ .
(٤) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١١٣ .
(٥) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .
(٦) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٤٠١ ، الحربي ، المناسك ، ص ٣٣٠ .
(٧) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٧٦ ، ٢٠٠ ، ٤٥٩ ، ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، ص ٢٠ .
(٨) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ١٠ - ١١ .

اعتنى بالمسجد الحرام فاشترى دوراً وسع بها المسجد توسعة كبيرة من جانبه الشرقي والجنوبي ، فيروي الأزرقي أن مما اشتراه ابن الزبير في سبيل توسعة المسجد ، بعض دار آل عقبة بن الأزرق بثمن قدره ثمانية عشر ألف دينار[1] . كما أعاد بناء الكعبة بعد أن مالت بعض جدرانها من جراء الحريق الذي نالها[2] . وبعد مقتل عبد الله بن الزبير ، نقض الحجاج بناءه ، وأعاد بنائها على ما كانت عليه من قبل بناء ابن الزبير[3] . ولا ريب أن المصروفات على هذه المشاريع كانت تنفق من بيت المال في الحجاز .

وفي عهد عبد الملك بن مروان ، أضاء خالد بن عبد الله القسري ، والي مكة ، ما بين الصفا والمروة ، كما اتخذ مصباحاً كبيراً مقابل الركن الأسود في المسجد الحرام ، وهو أول مصباح تضعه الدولة للإضاءة في رحاب المسجد الحرام[4] . وفي سنة ٨٠ هـ / ٦٩٩ م دهم مكة سيل عظيم يسمى سيل الجحاف ، فاخترق جدار بعض الدور المحيطة بالمسجد الحرام ، واتصل به ، وعندما علم عبد الملك بن مروان ، أمر عامله على مكة أن يبني ظفائر للبيوت الملاصقة للمسجد ، كما أحكم بنائها حتى ربما « أنفق في المسكن الصغير لبعض الناس مثل ثمنه مراراً »[5] .

وفي عهد الوليد بن عبد الملك تم توسعة المسجد الحرام[6] ، كما أمر واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بحفر بئر في مكة فحفرها ، فجاءت عذبة الماء وكان يسقي منها الناس[7] . أما أهم عمل قام به الوليد فهو عمارة

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٥٩ ، النهروالي ، الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص ٨٥ .

(٢) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٥٨٢ .

(٣) ابن الفقيه ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٤) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٢٠١ ، الفاسي ، شفاء الغرام ، ص ١٧٢ .

(٥) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٣٩٦ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٣٠٩ ، ويروي اليعقوبي ( تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ ) أن الوليد بن عبد الملك بعث الى والي مكة خالد القسري ، بثلاثين الف دينار فضربت صفائح وجعلت على باب الكعبة وعلى الأساطين التي داخلها وعلى الأركان والميزاب . فكان بذلك أول من ذهب الكعبة في الاسلام .

(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٧٦ .

وتوسعة مسجد رسول الله(ﷺ)في المدينة حتى أصبحت مساحته مائتي ذراع في مائتي ذراع[١] ، وقد ترتب على هذه التوسعة شراء بعض الأراضي والمنازل المحيطة بالمسجد والتي دفع لأصحابها الثمن من بيت المال[٢] . لكن المصادر لا تذكر لنا أثمان هذه الدور والأراضي سوى بيت حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب والذي ثمّن بثمانية آلاف دينار[٣] . أما التكاليف الاجمالية لهذه التوسعة فتذكر المصادر أنها بلغت أربعين الف دينار[٤] ، الا أنه يبدو أنها كانت اكبر من هذا الرقم بدليل أن ثمن بيت واحد فقط دخل في التوسعة كان ثمانية آلاف دينار .

واهتم الوليد بن عبد الملك بتعبيد الطرق وحفر الآبار فيروي الواقدي أنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز - والي المدينة - في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البلدان ، وأمره أن يعمل الفوارة في المدينة المنورة ، ويجري ماءها ليسقي أهل المسجد منها ، كما عين من يقوم عليها وكتب الى البلدان الأخرى بإصلاح الطرق وحفر الآبار[٥] ، ويعتبر الوليد أول من بنى الأميال في

---

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ٧ ، ص ١٠٨ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٦ ، ص ٤٣٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ص ٤٣٣ ، ابن الأثير ، الكامل جـ ٤ ، ص ١٠٩ ، العيني ، عقد الجمان ، جـ ١١ قسم ٣ ، ص٣٦١، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، لوحة ٨٨ ، الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٤ .

(٢) الحربي ، المناسك ، ص ٣٦٧ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،جـ٦، ص ٤٣٥ ، الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ ٥ ، ص١٩٣ ، ابن الجوزي، المنتظم ، ص ٤٣٣ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص١٠٩، النويري ، المصدر السابق، لوحة ٨٨ ، العيني ، المصدر السابق ، ص ٣٦٢ ، الأربلي ، المصدر السابق ص ٤ ، المقريزي ، الذهب المسبوك ، ص ٣٠ ، السمهودي ، الوفاء بما يجب لحضرة المصطفى، ص ١٥٩ ، مجهول المؤلف ، العيون والحدائق ، ص ٤ .

(٣) ابن رستة ، الأعلاق النفيسة، ص ٦٨ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ ، ص ٥١٤ .

(٤) الحربي ، المناسك ، ص ٣٦٩ ، ابن رستة ، المصدر السابق ، ص ٧١ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ ، ص ٥٢٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٣٧ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، جـ ٤ ، ص ١٠٩ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، لوحة ٨٨ ، العيني ، عقد الجمان ، جـ ١١ ، قسم ٣ ، ص ٣٦٢ ، المقريزي ، الذهب المسبوك ، ص ٣٠ .

الطرقات[١] . ومن الاصلاحات التي عملها عمر بن عبد العزيز إعادة عمارة مسجد الطائف[٢] ، وتبوك[٣] ، ومسجد بني عدي[٤] . وهناك مصروفات أخرى كان الأمويون ينفقون عليها من بيت المال كحوض مروان بالعقيق ، الذي كانوا يصرفون عليه من بيت المال[٥] ، وكذلك جرار هشام ، التي وضعها هشام بن اسماعيل ، والي المدينة ، لسقاية الناس[٦] . وكان بيت المال ينفق على اصلاح بعض المرافق العامة ، وتسهيل بعض الطرق والأماكن كتسوية منى[٧] ، غير أننا يجب الا نبالغ في تكاليف هذه الأعمال ، لأنها في الغالب بسيطة ولا تتطلب مصروفات كبيرة .

أما في مجال الرعاية الاجتماعية ، فقد أنفقت بعض الأموال في العصر الأموي خاصة في عهد الوليد بن عبد الملك ، الذي أمر عماله في سائر البلدان بضرورة الاهتمام بالمرافق العامة وتأمين مياه الشرب ، وما شابه ذلك من أمور تؤمن الرغد والرفاه للرعية[٨] . ولم يقتصر اهتمامه على المرافق العامة ، بل أولى رعاياه اهتماماً كثيراً ، فكان يصرف الأموال والكساء والأرزاق على المسنين والمقعدين والمجذومين حتى لا يسألوا الناس[٩] ، فكان لكل

---

(١) العيني ، المصدر السابق ، ص ٤١٧ ، مجهول المؤلف ، العيون والحدائق ، ص ٥ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٥ .
(٣) الحربي ، المناسك ، ص ٦٥٥ .
(٤) البلاذري ، أنساب الاشراف ، جـ ٧ ، ص ١٣٩ .
(٥) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ١٠٥٠ .
(٦) الفيروز آبادي ، المغانم المطابة ، ص ٨٩ ، السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١٠٥٠ .
(٧) ابن فهد ، إتحاف الورى ، ص ٣٨١ .
(٨) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٣٧ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ١٠٩ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، لوحة ٨٨ ، مجهول المؤلف ، العيون والحدائق ، ص ٤ ، العيني ، عقد الجمان ، جـ ١١ ، قسم ٣ ، ص ٣٦٢ ، المقريزي ، الذهب المسبوك ، ص ٣٠ ، عاقل ، خلافة بني أمية ، ص ٢٣٣ .
(٩) البلاذري ، أنساب الاشراف ، جـ ٧ ، ص ١٠٨ ، الطبري ، المصدر السابق ،ص ٤٩٦ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٤ ، ص ٤٢٤ ، الخزاعي ، الدلالات السمعية ، ص ٦١٦ ، ابن دقماق ، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، ص ٢٣ ، المقريزي ، الذهب المسبوك ، ص ٣٠ .

مقعد خادم ، ولكل ضرير قائد[1] ، كما أقام البيمارستانات للمرضى[2] ، وجعل فيها الاطباء ، ودار الضيافة لأبناء السبيل[3] ، فضلاً عن إخراج الطعام لأعداد كبيرة من الناس وخاصة في شهر رمضان[4] . ويرى ويلهوزن أن أهل الشام هم أكثر من استفاد من هذه الأعمال[5] ، ولكننا نعتقد أن الحجاز نالها نصيب كبير من الرعاية والعناية في عهد الوليد ومن جاء بعده من خلفاء بني أمية . ففي يأْجُج ،على بعد ثمانية أميال من مكة ، كان يسكن المجذومون[6] في عهد الوليد . وقد استمرت العناية بالمصابين بالجذام في الحجاز في عهد سليمان بن عبد الملك[7] كما كان هناك دار لمعالجة المرضى في مكة[8] .

أما في عهد عمر بن عبد العزيز ، فقد زادت الخدمات الاجتماعية ، واتجه الخليفة عمر الى الاصلاح الاجتماعي ، فيروي ابن كثير أن عمراً كان ينفق مئة دينار من بيت المال سنوياً لكل شخص يتفرغ لنشر العلم والفقه وتلاوة القرآن[9] . وشملت رعايته أهل السجون ، فكان ينفق عليهم ويتعهد مريضهم ويكسوهم في الصيف والشتاء ، فيقول شاهد عيان : « فرأيتهم يرزقون عندنا شهراً بشهر ويكسون كسوة في الشتاء وكسوة في الصيف »[10] . كما إهتم عمر بأهل الديون فأمر ألا يحبسوا مع أهل الفساد والشر ، وجعل

---

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٧ ، ص ١٠٨ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٤٢٩ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٤ ، ص ٤٢٤ ، ابن دقماق ،الجوهر الثمين ، ص ٢٣ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ ، الخزاعي ، الدلالات السمعية ،ص ٦١٥ - ٦١٦ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ .

(٣) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص ٢٩٠ ، ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .

(٤) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص ٢٩١ .

(٥) ويلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٢١٧ .

(٦) ياقوت ، المشترك وضعا ، ص ٤٤١ .

(٧) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٣٠ .

(٨) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٥١ .

(٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٠٧ .

(١٠) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٦٢ .

للنساء سجناً خاصاً بهن[١] ، وأمر بقضاء الدين عن الغارمين من بيت المال. فيروي ابن عبد الحكم أنه كتب الى والي المدينة أبي بكر بن حزم : « إن كل من هلك وعليه دين لم يكن دينه في خرقة فاقض عنه دينه من بيت مال المسلمين »[٢] .

ومن وجوه الإنفاق التي كانت تصرف عليها الدولة ، الحملات العسكرية ؛ فلقد قامت الحرب بين ابن الزّبير وبين بني أمية مما أدى الى إرسال الحملات العسكرية ، فيروي الواقدي أن والي المدينة الأموي عمرو بن سعيد الأشدق ، أرسل عمرو بن الزبير على رأس « أربعمائة من الجند وقوم من موالي بني أمية وقوم من غير أهل الديوان »[٣] . لقد كان ينفق على هذه الحملات من بيت المال في المدينة ، وبعد انتصار ابن الزبير ، وإعلانه الخلافة في الحجاز ، صار ينفق على الحملات العسكرية ضد بني أمية من ناحية وضد الخوارج من ناحية أخرى . وظل الحال كذلك حتى استطاع الأمويون في النهاية إرجاع الحجاز الى حظيرة الدولة الأموية .

لقد كان العطاء يدفع للمقاتلة في المدينة ، مقابل المشاركة في القتال عندما تطلب الدولة منهم ذلك ، لهذا كانت الدولة تدعوهم للمشاركة بين حين وآخر . فيذكر اليعقوبي أن الوليد بن عبد الملك ضرب البعث على أهل المدينة ، واستطاع واليه عمر بن عبد العزيز أن يخرج ألفي رجل[٤] ، للمشاركة في الجهاد . أما الطبري فيروي أن الوليد بن عبد الملك في سنة ٨٨ هـ/٧٠٦ م « ضرب عليهم بعث ألفين ، وأنهم تجاعلوا ، فخرج ألف وخمسمائة وتخلف خمسمائة ، فغزوا الصائفة مع مسلمة والعباس وهم على

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٣٦٣ .

(٢) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٦٨ .

(٣) البلاذري ، أنساب الاشراف ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ٢٥ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ ليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ ؛ وأنظر : Bartholod , Caliph Umar II , P . 75

الجيش »[1] . ويروي البلاذري أن الشاعر العرجي غزا مع مسلمة بن عبد الملك وطلب من التجار أن يعطوا الغزاة والمعدمين حتى بلغت ديونه للتجار عشرين ألف دينار »[2] فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة أمر أن تقضى هذه الديون من بيت المال[3] .

وفي سنة ١٠٦ هـ/٧٢٤ م ، أمر هشام بن عبد الملك بضرب البعث على أهل المدينة ، فاستطاع واليه على المدينة ، إبراهيم بن هشام المخزومي ، أن يخرج سنوياً أربعة آلاف رجل لحماية السواحل ، « فكان الناس إذا دخلوا الصائفة خرج أربعة آلاف من المدينة الى السواحل فكانوا هناك الى انصراف الناس وخروجهم من الصائفة »[4] . لقد استمر هذا الواجب السنوي على أهل المدينة طيلة خلافة هشام بن عبد الملك ، بيد أن المصادر لا توضح ما إذا كان هذا الواجب قد استمر بعد وفاة هشام ، وأول اشارة الى ضرب البعث على أهل المدينة بعد وفاة هشام ، كان في ولاية عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إذ هجم أبو حمزة الخارجي على الحجاز ، فدعا عبد الواحد بالديوان وضرب البعث على أهل المدينة بعد أن زادهم في العطاء[5] . كما كان بيت المال ينفق على الحملات الصغيرة لتأديب العصاة في نجد والحجاز ، ومما لا شك فيه أن التكاليف التي تتحملها الدولة كانت تختلف باختلاف حجم الحملات ، لكننا لانعرف بالضبط المبالغ التي أنفقت في سبيلها .

أما حصة بيت المال المركزي في دمشق ، فهي من المصروفات التي

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٣٤ .

(٢) البلاذري ، أنساب الاشراف ، جـ ٥ ، ص ١١٢ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٣٩٥ .

(٣) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ١١٢ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٣٩٥ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، وانظر أيضاً : الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، ص ٤٠ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٤٧١، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٣٤٩ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٣ ، ص ٢٢٩ ، الطبري ، المصدر السابق ، ص ٣٧٦ ، ابن فهد ، اتحاف الورى ، ص ٣٩٣ ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٠٣ .

كانت تخرج من بيت المال . لقد كان النظام المالي في الدولة الأموية يقضي على المقاطعات بعد أن تسدد نفقاتها ، وتحتفظ في بيت المال بمبلغ من المال لاستخدامه عند الحاجة أن ترسل ما يتبقى من الأموال إما الى الاقليم الذي يليه لسد العجز في نفقاته[١] ، أو الى بيت المال المركزي في دمشق[٢] . وعلى الرغم من قلة الموارد المالية لنجد والحجاز ، الا أنه يبدو أن الإدارة المالية فيها كانت ترسل جزءاً من الواردات ، بعد أن تسدد كل وجوه الإنفاق التي تتطلبها المشاريع اللازمة . فيروي ابن الجوزي أن عمر بن عبد العزيز عندما طلب منه الوليد بن عبد الملك أن يتقلد ولاية الحجاز ، إشترط عليه أن يحكمها بالعدل، فقال له الوليد : « إعمل بالحق وإن لم ترفع إلينا درهماً واحداً »[٣] . وهذا يدل على أن الحجاز كانت ترسل حصتها الى بيت المال في دمشق . وليست لدينا إحصائية دقيقة عن هذه الأموال المرسلة الى دمشق ، سوى أن اليعقوبي يذكر أن اليمامة والبحرين كانتا ترسلان في عهد معاوية بن أبي سفيان خمسة عشر مليون درهم[٤] . أما الحجاز فأقدم إحصائية عن المبالغ التي كانت تحمل منها الى بيت المال المركزي هو ما رواه الجهشياري من أن مكة والمدينة كان يحمل منهما في عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد ثلاثمائة ألف دينار[٥] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٦٩ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٣) ابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٤) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

(٥) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٢٨٨ ، وانظر : ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٦٢ .

# الباب الثاني

## الحياة الاجتماعية في نجد والحجاز

# الباب الثاني

## الحياة الاجتماعية في نجد والحجاز

تتضمن دراستنا للحياة الاجتماعية الموضوعات الآتية :

عناصر السكان وأثرها في الحياة الاجتماعية ، الحياة العامة في الحجاز ونجد ، ثم المجالس الاجتماعية ووسائل التسلية . وقبل أن نتناول هذه الموضوعات بالتفصيل نود أن نلقي ضوءاً على العوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية .

### العوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية :

سبق أن ذكرنا أن الأموال تدفقت على الحجاز في صدر الاسلام ، نتيجة للفتوحات التي تمت في عصر الخلفاء الراشدين . ولقد قام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بتوزيع هذه الأموال على المسلمين حسب أسبقيتهم في الإسلام[١] . وبالاضافة الى هذه الأموال التي أصبحت تتدفق على الحجاز من جبهات القتال ، نجد أن الحجاز أخذ يحتل بفضل خبرات أهله مكانة اقتصادية بارزة لما كانت تتمتع به قبيلة قريش من مهارة في التجارة ، وقد استفادت من فتح الحدود مع الشام ومصر والعراق بعد قيام الدولة

---

(١) انظر العطاء في الفصل الرابع من الباب الأول .

الاسلامية ، مما أدى الى تجمع ثروات كبيرة في يد بعض الصحابة[1] .

وفي العصر الأموي حرص الخلفاء الأمويون على كسب ود أهل الحجاز فكانوا يغدقون عليهم الأموال الكثيرة ، فعندما تم الصلح بين معاوية بن أبي سفيان وبين الحسن بن علي ، أعطاه ما في بيت مال الكوفة ، ومقداره خمسة ملايين درهم[2] ، كما كان يعطيه سنوياً ثمانين ألف دينار[3] . وعندما وفد عليه أعطاه أربعمائة ألف درهم[4] ، ووفد عليه مرة أخرى مع أخيه الحسين ، فأعطاهما على الفور مائتي ألف درهم[5] ، ووفد عليه الحسن مرة ثالثة ومعه عبد الله بـن الزبير ، فأعطاه معاوية ثلاثمائة ألف درهم ، وأعطى ابن الزبير مئة ألف درهم[6] .

ولم تقتصر صلات معاوية على الحسن بن علي بل شملت الكثيرين من أهل الحجاز فكان يصل عائشة ـ رضي الله عنها ـ بثمانين ألف دينار سنوياً[7] ، كما بعث الى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن جعفر بمائتي ألف درهم ، لكل واحد منهما مئة ألف درهم[8] ، وعندما علم معاوية بموت أبي هريرة ، أمر الوليد بن عتبة والي المدينة ، بإعطاء ورثته عشرة آلاف درهم[9] ، كما أعطى أحد الأنصار ألف دينار[10].

---

(١) عن ثروات الصحابة انظر : ابن سعد ، الطبقات ، جـ٣ قسم ١ ،ص ٧٧، اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، ص١٣ ـ ١٤ ، المسعودي ، مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٣٣٢ ، ٣٣٣ ، الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٥ ، ص ١٦٠ .

(٣) ابن العمراني ، الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ص ٤٩ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٨ ، ص ١٣٧ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٨ ص ١٣٧ .

(٦) ابن كثير ، نفس المصدر ، جـ٨ ، ص ١٣٧ .

(٧) ابن العمراني ، الانباء في تاريخ الخلفاء ، ص ٤٩ .

(٨) ابن كثير ، المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ١٣٧ .

(٩) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٤ قسم ٢ ، ص ٦٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٨،ص ١١٥ .

(١٠) ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٩٥ .

وقبل أن يموت معاوية أوصى ابنه يزيد بأهل الحجاز والعناية بهم قائلاً « فإنهم قومك وعشيرتك ، فاكرم من قدم عليك منهم ، وصل من غاب عنك منهم »[١] . ولم يدخر يزيد وسعاً في بذل المال لأهل الحجاز والتودد اليهم حتى كان يعطيهم الأعطيات السخية ، فيروي البلاذري نقلاً عن الواقدي أن والي المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، بعث وفداً من أهل المدينة الى يزيد ، فأحسن اليهم وأكرمهم وأعطى كلا منهم خمسين ألف درهم[٢] كما أعطى المنذر بن الزبير بن العوام مئة الف درهم[٣] ، ووفد عليه عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ، ومعه ثمانية بنين فأعطاه مئة الف درهم ، وأعطى بنيه لكل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم[٤] ، ويروي البلاذري نقلاً عن المدائني أن يزيد بن معاوية أعطى عبد الله بن جعفر عندما قدم عليه أربعة ملايين درهم لأن عبد الله ـ كما يقول يزيد بن معاوية ـ جواد يفرق المال في أهل المدينة[٥] .

وعندما نجح عبد الله بن الزبير في السيطرة على الحجاز والعراق ومصر وبعض أجزاء الشام ، أصبحت الأموال تتدفق على الحجاز من هذه الأمصار[٦] ، وتذكر المصادر أن مصعباً أهدى عبد الله بن أبي فروة ، وهو من أهل المدينة ، نخلة من ذهب ، وجدها عامله في خراسان قومها المقومون بمليوني دينار[٧] ، كما أعطى عاصم بن عمر ستة عشر ألف دينار ، وأعطى عبد الله بن جعفر اثنين وثلاثين ألف دينار[٨] . ويروي الطبري نقلاً عن

---

(١) السجستاني ، المعمرون والوصايا ، ص ١٥٨ .

(٢) البلاذري ، أنساب الاشراف ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ٣١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣١ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥ ، ص ٤٨٠ .

(٤) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٤٣ ، الطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٩٥ .

(٥) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣ .

(٦) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ٢٢٩ .

(٧) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٤٤ ، الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(٨) الجهشياري ، المصدر السابق ، ص ٤٦ .

الواقدي أن مصعب بن الزبير قدم الى مكة سنة ٧٠ هـ/ ٦٨٩ م « بأموال عظيمة فقسمها في قومه وغيرهم . . »[١] أما عبد الله بن الزبير ، فكان لا ينفق الأموال ، لأنه كان يريد أن تكون عوناً له ضد أعدائه من بني أمية وغيرهم من الخوارج وبعد مقتله صارت هذه الأموال من نصيب الأمويين ، يذكر البلاذري أن الحجاج وجد في بيت مال ابن الزبير بعد مقتله عشرة ملايين درهم[٢] بينما يذكر الرشيد بن الزبير بأنها كانت عشرة ملايين دينار[٣] .

وعندما عادت الحجاز للدولة الأموية ، سار بنو مروان على سياسة معاوية بن أبي سفيان في إغداق الأموال على أهل هذا المصر لكسب ودهم ورضاهم ، وكان بنو مروان يذهبون أحياناً الى الحجاز ويوزعون الأعطيات والأموال كما فعل عبد الملك بن مروان[٤] . وفي سنة ٧٨ هـ/ ٦٩٧ م حج الوليد بن عبد الملك فقدم المدينة وهو ولي عهد ، فقسم أموالاً ، وأمر بزيادة عطاء بعض سكان المدينة ، كما أعطى سهل بن سعد الساعدي مائتي دينار[٥] . وتذكر المصادر نقلاً عن الواقدي أن الوليد بن عبد الملك لما حج في سنة ٩١ هـ/ ٧١٠ م ، زار المدينة فقسم الأموال بين الناس[٦] . وفي سنة ٩٧ هـ/ ٧١٥ م حج سليمان بن عبد الملك فقسم الأموال[٧] ، وأمر لخارجة ابن زيد بن ثابت بخمسة وثلاثين ألف دينار[٨] ، كما فرض الأعطيات لقريش ومواليهم[٩] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ١٥٠ .
(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ٣٧٦ .
(٣) الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢٠٨ .
(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١١٥ ، الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص ٥٧٣ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .
(٦) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٦٦ ، مجهول المؤلف ، العيون والحدائق ، ص ٧ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، لوحة ٩٠ .
(٧) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ ، مجهول المؤلف ، العيون والحدائق ، ص ٢٤ .
(٨) الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ١٢ .
(٩) اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ ، مجهول المؤلف ، العيون والحدائق ، ص ٢٤ .

وفي عهد عمر بن العزيز نال أهل المدينة ثلاثة أعطيات قسمها عليهم[1] ، كما أمر واليه على المدينة أبا بكر بن حزم بأن يعطي عشرة آلاف دينار لبني هاشم ، تقسم عليهم بالتساوي[2] . ويذكر ابن سعد نقلاً عن الواقدي أن عمر أعطى فاطمة بنت الحسين خمسمائة دينار[3] ، كما أعطى آل الزبير بعض الأموال[4] ، وكان هشام بن عبد الملك حريصاً على جمع الأموال،لكن روي أنه أعطى علياً بن الحسين أربعة آلاف دينار[5] ، كما أعطى الشاعر عروة بن أذينة ألفي دينار[6] ، واستمرت أعطيات الخلفاء الأمويين تتدفق على الحجاز ، فيذكر الزبير بن بكار أن الوليد بن يزيد عندما حج أمر لمولى آل أبي حكم بمئة دينار وكسوة[7] ، كما أعطى مروان بن محمد عثمان ابن عروة بن الزبير عندما وفد عليه مئة ألف درهم[8] .

ومهما يكن من أمر فإن كثيرين من أهل الحجاز ، تجمعت لديهم ثروات كبيرة إما بفضل ما جاءت به الفتوح الاسلامية ، وإما بفضل الأعطيات والهبات المستمرة من خزائن دمشق ، أو من أرباح رؤوس الأموال التي كان يديرها الحجازيون . ولقد ترتب على هذا النمو السريع للثروات إزدهار الحياة الاقتصادية والعمران الأمر الذي أدى الى نمو الحياة الاجتماعية وتطورها فازداد عدد العاملين في المجال الاقتصادي مما أدى الى قلة البطالة . كما تبدلت حياة الناس؛ فمال بعض السكان الى حياة الترف التي كان يزهد فيها الرعيل الأول من المسلمين ، مما أدى الى تبدل واسع في حياتهم ، وتمثل هذا التبدل في التفنن في إتخاذ الدور والقصور ، والحمامات والأطعمة والأشربة ،

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٥٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٨٨ ، أبو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة،جـ ٢ ، ص ٧٢ .

(٣) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

(٤) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٣٨ .

(٥) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(٦) ابن حجة ، ثمرات الأوراق ، جـ ١ ، ص ٨ .

(٧) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٣٠٥ .

والألبسة الفاخرة ، واستخدام جميع أدوات الزينة كالتحلي بالذهب والياقوت واللؤلؤ مما سنذكره في حينه .

كما تحسن مستوى المعيشة ، فازداد الطلب على السلع الكمالية نتيجة لارتفاع مستوى الدخل ، وتحسنت القدرة الشرائية عند الناس . فصارت السلع المختلفة ترد الى الحجاز من الاقاليم الأخرى كمصر والشام والعراق وفارس والهند والصين . وكانت المنسوجات أهم السلع المستوردة من هذه البلدان[١] . ولقد قام الخياطون بتفصيل هذه المنسوجات بما يتناسب مع ذوق الناس ومكانتهم الاجتماعية . كما قام الصباغون بصباغة هذه المنسوجات بعدة الوان مختلفة ـ كما سبق أن أشرنا ـ[٢] .

ومع إزدياد النشاط التجاري بين العرب في الجزيرة العربية والشعوب الأخرى التي خضعت لهم ، صار بعض التجار من أهل الحجاز يكثرون التردد على هذه الأمصار لعرض سلعهم وجلب سلع أخرى[٣] . ولا ريب أن هؤلاء التجار رأوا بأعينهم حضارات الأمم التي خضعت لهم ، فتعرفوا على ألوان من الأطعمة والأشربة والألبسة والزينة وبعض العادات التي لم تكن مألوفة لديهم ، فتأثروا بها ثم نقلوها فيما بعد الى موطنهم . ومن ناحية أخرى فإن إزدهار الحياة الاقتصادية في الحجاز جعل الأعاجم يقدمون اليها لمزاولة التجارة ، يروي المقدسي أن أغلب سكان جدة من الفرس[٤] . ولا يستبعد أن هؤلاء الأعاجم قد أثروا في الحياة الاجتماعية بما جلبوه معهم من عادات وتقاليد .

ومع وفرة الأموال لدى السكان وارتفاع مستوى المعيشة ، وتطور الحياة

---

(١) انظر السلع المتبادلة في الفصل الثاني من الباب الأول .

(٢) انظر الصناعات والحرف في الفصل الثالث من الباب الأول .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٧ ، ص ١٦٤ ، البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، ص ٦٤ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٢٦٠ .

(٤) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٧٩ ، ٩٦ .

الاقتصادية ، راجت تجارة الرقيق في العصر الأموي ، لحاجة الاثرياء اليهم للخدمة في البيوت ، أو في المجالات الاقتصادية الأخرى ، ولما كان أغلب هؤلاء الرقيق أصلاً من الروم أو الفرس فكانوا يعرفون ألواناً من الأطعمة والأشربة والألبسة لا يألفها سكان الحجاز . فعندما عهدوا اليهم بالقيام على خدمتهم ، بدأوا يعملون لهم هذه الاشياء التي كانوا يجهلونها ، وبمرور الزمن اعتادوا على هذه الأطعمة وألفوها[1] .

وبعد إنتشار الاسلام أصبح الحجاز قبلة المسلمين ، فكان يفد اليه في كل عام عشرات الألوف من أقاليم متباعدة من أنحاء الدولة الاسلامية لأداء فريضة الحج ، وكانوا يجلبون معهم ما تنتجه بلادهم ، وما يصنعونه لبيعها في هذا الموسم الكبير[2] ، مثل الألبسة والمفروشات والأطعمة وغير ذلك مما يصطحبه الحاج معه فيراه أهل الحجاز عن قرب ، فيتأثرون به ويقلدونه . يروي الطبري أن أبا سعيد بن مسلم بن بابك حج في سنة ٧٢ هـ/ ٩٦١ م ، فاشترى كعكاً مصنوعاً في الشام بدرهم اثناء الموسم ، فكفاه وأصحابه حتى وصلوا الجحفة وهم ثلاثة أشخاص[3] .

لقد كانت هذه العوامل أشد أثراً في الحياة الاجتماعية في الحجاز منها في نجد ، نظراً لأن أغلب سكان نجد كانوا من القبائل الرحل الذين يتنقلون حول المراعي ، طلباً لمساقط الغيث والكلأ .

تلك هي أهم العوامل المؤثرة في التغير الإجتماعي ، فلنعرض بعد ذلك بالتفصيل لموضوعات الحياة الإجتماعية .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٥٤ .

(٢) انظر التجارة في الفصل الثاني من الباب الأول ، ولا يزال الحجاج حتى عصرنا هذا يجلبون معهم ما تنتجه بلادهم كالألبسة والمفروشات وغيرها .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ١٧٥ .

## الفصل الأول

# عناصر السكّان وأثرها في الحياة الاجتماعيّة

أولا ـ العرب وقبائلهم في نجد والحجاز
ثانيا ـ الموالي وأثرهم في المجتمع
ثالثا ـ الرقيق وأثرهم في المجتمع

# الفصل الأول

## عناصر السكان وأثرها في الحياة الاجتماعية

المجتمع في الحجاز ونجد في العصر الأموي كان يتكون من عدد من الأجناس المختلفة ، ويأتي العرب على قمة هؤلاء الأجناس ، ويليهم الموالي ثم الرقيق الذين وجدوا في مجتمع الحجاز ونجد بأعداد كبيرة وكانوا يقومون ببعض الأعمال الاقتصادية . ولم يقتصر أثر الموالي والرقيق على المشاركة في حياة المجتمع الاقتصادية ، بل أثروا في الحياة الاجتماعية بما حملوه معهم من أخلاق وعادات وتقاليد إجتماعية .

### أولا ـ العرب :

كانت القبائل العربية الركيزة الأولى للمجتمع في نجد والحجاز في العصر الأموي ، لأنها كانت تمثل الغالبية العظمى من السكان ، وكانت كل قبيلة تضم عدداً من العشائر التي يشتمل كل منها على عدد من الأسر . لقد كانت الروابط بين أفراد الأسرة الواحدة أقوى من الروابط التي تربطها بالعشيرة . كما أن الروابط بين أبناء العشيرة أقوى وأمتن من الروابط بين عشائر القبيلة[١] . وتنقسم القبائل الكبرى الى فروع تدعى : العمائر والبطون

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١١٩ .

والأفخاذ والعشائر والفصائل والأرهاط[1] والأحياء[2] . وكان لأفراد العشيرة الواحدة حقوق وواجبات مشتركة فيما بينهم كالمساهمة في دفع دية القتل الخطأ الذي يرتكبه أحد أفراد العشيرة أو مواليها ، ولا يقتصر دفع الدية على أفراد العشيرة المسجلين في الديوان ويتقاضون عطاء من الدولة ، بل يشمل جميع أفراد العشيرة ، يقول الامام مالك : « إنما العقل على القبائل أهل ديوان كانوا أو غير أهل ديوان »[3] .

ولا ريب أن استقرار القبائل في المدن في نجد والحجاز ، خفف من غلواء العصبية القبلية نظرا لاندماجهم في المجتمع ، وإسهامهم في الحياة الاقتصادية ، وتكوينهم علاقات مع أفراد آخرين ليسوا من عشائرهم . ومن ناحية أخرى فإن الدين الاسلامي الذي يدعو الى الأخوة والمساواة بين جميع المسلمين أدى الى إضعاف العصبية القبلية[4] .

والذي يلاحظ أن القبائل في نجد والحجاز بعد انتشار الاسلام قد تغيرت ، نظراً لنزوح كثير من القبائل للمشاركة في الفتوحات الاسلامية ، واستقرار بعضها في الأمصار الجديدة التي تم فتحها[5] ، لذلك اختلطت مواطن القبائل « وأصبحت الفوارق بين منازل كل قبيلة وأخرى ضعيفة ، وخاصة القبائل المتجاورة أو المتقاربة في النسب أوالضعيفة التي فقدت قوتها وكيانها فأصبحت عاجزة عن حماية مواطنها »[6] .

لقد ظلت الروابط القبلية في بوادي نجد والحجاز بين القبائل أقوى منها

---

(١) النويري ، نهاية الأرب ، جـ٢ ، ص ٢٧٦ ، انظر أيضا : أبو سرحان ، الحجاز في العصر الأموي ، ص ٣٥٥ .

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١ ، ص ٣١٦ ، وما بعدها .

(٣) مالك ، المدونة ، جـ١٦ ، ص ٣٩٧ .

(٤) العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص ٥٦ .

(٥) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١ ، ص ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٩ .

(٦) حمد الجاسر ، قبيلة جهينة وفروعها ، مجلة العرب ، جـ١٢ ، لسنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ص ١١٣٩ .

في حواضر المدن ، فكان لرئيس القبيلة السلطة العليا على أفراد قبيلته وكان لكل قبيلة ديوان خاص لدى الدولة فيه أسماء أفرادها ومواليهم ، وأول من فرض الديوان على أساس القبائل عمر بن الخطاب[١] ، واستمر ذلك في العصر الأموي ، يروي المصعب الزبيري أن العطاء للقبائل في عهد معاوية ابن أبي سفيان كان يدفع للعرفاء بموجب الأسماء المدونة للقبائل في الديوان[٢] .

أما بوادي نجد والحجاز فكانت القبائل فيها تعيش على طلب الكلأ والعشب والماء ، يتنقلون حول المراعي الخصبة لرعي أغنامهم وأنعامهم ، وظلت حياتهم بسيطة ، يكتفون بما تنتجه إبلهم ومواشيهم من لبن ولحم وصوف ووبر ، وكانوا ينزلون أحياناً الى أسواق المدن ، لبيع ما ينتجونه ، وشراء ما يحتاجون اليه من الأقمشة والبر والتمر[٣] ، فتتاح لهم الفرصة للاحتكاك بأبناء المدن . وكانت الاضطرابات القبلية تحدث أحيانا بين القبائل لأخذ الثأر إذا أنسوا من الدولة الأموية ضعفا[٤] .

وفي العصر الأموي استمرت هجرة القبائل من نجد والحجاز الى الأمصار الاسلامية ، كمصر والشام والعراق وغيرها للاستقرار فيها والانتماء اليها ، كقبيلة بني سليم الذين قدم منهم مئة أسرة الى قرية بلبيس في مصر سنة ١٠٩ هـ /٧٢٧ م[٥] ، وقبيلة بني نصر من هوازن ، الذين قدم منهم أيضا الى مصر في تلك السنة مئة أسرة[٦] . والشيء الملاحظ أن هؤلاء المهاجرين لم يقطعوا علاقتهم ببني العمومة في نجد والحجاز ، فكانوا يزورونهم ويتزوجون

---

(١) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٥ ، وانظر: العطاء، في الفصل الرابع من الباب الأول .
(٢) المصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص ١٥٤ .
(٣) المبرد ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٢٥ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ ، ص ٧٥٤ .
(٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ١٢٤ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٣ ، ص ١١٠ .
(٥) الكندي ، الولاة وكتاب القضاة ، ص ٧٧ .
(٦) نفس المصدر ، ص ٧٦ ، البري ، القبائل العربية في مصر ، ص ١١٠ .

منهم ، ويرحلون بزوجاتهم الى المهاجر التي انتموا اليها ، فيروي الأصفهاني أن مصعب بن الزبير لما تزوج عائشة بنت طلحة رحل بها الى العراق[1] . وتذكر المصادر أن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري تزوج الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية ونقلها الى مصر[2] ، كما يروى أن رجلا من أهل الشام تزوج أم جحدر بنت حسان المرية في نجد ورحل بها الى الشام[3] .

ومن أهم القبائل التي عاشت في الحجاز ونجد قبيلة كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وكانت تسكن في الحجاز في نواحي مكة المكرمة ، يذكر اليعقوبي أن من القبائل التي انتشرت حول مكة من كنانة : غفار ودوس وبني ليث وخزاعة وخثعم وحكم والأزد[4] ، كما سكنت المدينة المنورة والبلدان المجاورة لها كقرية وَدَّان في نواحي الفُرع[5] . ومن المناطق التي سكنتها كنانة سُقْيا بني غفار وعُسفان وَمَرّ الظهران[6] ، وخيف ذي القبر[7] ، والغُمَيْصاء[8] ، وبَيْض[9] ، ويَلَمْلَم[10] . ومن بطون كنانة بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وهم رهط عزة صاحبة كُثيّر ، وقد سكنوا في البَزْوَاء ، بين ميناء الجار وقرية ودَّان[11] ، بالقرب من المدينة المنورة كما سكن بنو ضمرة من كنانة ثَافِل الأكبر

---

(1) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٣١٩ .

(2) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٣٣ ، المبرد ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٤٣٧ ، البغدادي ، خزانة الأدب ، جـ ٢ ، ص ٢٤ .

(3) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٢٧٠ .

(4) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٦ ، كحالة ، معجم القبائل العربية ، جـ ٣ ، ص ٩٩٦ .

(5) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١٣٣٠ ، عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٠٥ . وودان يسمى الآن مَسْتُورة . انظر: الحربي، المناسك ، ص ٤١٤ ، حاشية ٢ .

(6) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٢ ، ٣١٤ . (7) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤١٤ .

(8) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٢ . (9) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٧٩٥ .

(10) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ١ ، ص ١٨٧ ، ويلملم لا يزال معروفا ، ولكنه يسمى لَمْلَم ، ويقع في وادي السَّعْدِية ، شمال ميناء الليث . انظر: الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٧٥ ، حاشية ٢ .

(11) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٦٠٦ ، السمهودي ، وفاء الوفاء، ج٤، ص ١١٤٧ - ١١٤٨ .

والأصغر[١] ، وتستمد كنانة أهميتها من أن قبيلة قريش كانت إحدى فروعها .

فقبيلة قريش هي من القبائل التي انتهى اليها الشرف في الجاهلية فوصله الاسلام ، ولقد كانت لهذه القبيلة مكانة سامية في نظر القبائل الأخرى ، نظراً لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان من قبيلة قريش ، فكانت الرياسة والدولة فيهم ، كما كان لهم الأفضلية في تقليد المناصب في الدولة الأموية . ومن أهم البطون التي تنتمي الى قبيلة قريش ، بنو سامة بن لؤي ، وبنو عامر بن لؤي ، وبنو سهم ، وبنو جمح ، وبنو عدي بن كعب ، وبنو مخزوم ، وبنو تيم بن مرة ، وبنو زهرة ، وبنو عبد الدار ، وبنو أسد بن عبد العزي ، وبنو نوفل بن عبد مناف ، وبنو المطلب بن عبد مناف ، وبنو أمية ، وبنو هاشم[٢] .

وبعد إنتشار الاسلام تفرقت قريش في نجد والحجاز ، فإضافة الى إقامتهم في مكة المكرمة ، تشير المصادر الى استيطانهم في الطائف[٣] ، لأن الطائف كانت مصيف أهل مكة ، ومرتاد ذوي الغنى واليسار منهم ، يتخذون فيها الضياع ويعمرون الحدائق ، ويبنون القصور ، لذلك استوطن عدد غير قليل من القرشيين الطائف ، فيذكر الهمداني أن بني عمرو بن العاص سكنوا في شرق الطائف[٤] ، ولا تزال أفخاذ من قبيلة قريش تسكن الجهة القبلية من الطائف وقراه الأخرى حتى عصرنا الحاضر[٥] . كما سكنت بطون من قبيلة قريش في معدن البرم[٦] ، والمدينة المنورة[٧] ، والفرع[٨] ،

---

(١) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٣٩٩ .

(٢) عن أقسام قبيلة قريش وبطونها انظر :القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١ ، ص ٣٥١ ـ ٣٥٩ .

(٣) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٢٠ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٠ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٦٠ .

(٥) محمد سعيد كمال ، قبائل الطائف ، جـ ٤ ، مجلة العرب ، لسنة ١٣٨٧ / ١٩٦٨م ، ص ٤٢٠ .

(٦) الهمداني ، المصدر السابق ، ، ص ٢٦٠ .

(٧) خليفة بن خياط ، الطبقات ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ وما بعدها .

(٨) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٠٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٨٧٨ .

ودان[١] ، والحفيرة ، وملل والسيالة[٢] ، أما في منطقة نجد فتذكر المصادر إستيطانهم في بلدة النباج[٣] ، والتي تقع على طريق حجاج البصرة .

ولم تقتصر قريش على التفرق داخل الجزيرة العربية ، بل امتدت هجرتها الى الأمصار الأخرى كالعراق والشام ومصر والمغرب ، فأقام بعض بني سهم في الفسطاط في مصر[٤] ، كما ذكر القلقشندي أن في بني عمرو ابن العاص أشتاتاً بالصعيد[٥] ، أما بنو جمح فلقد هاجروا الى الشام وأقام منهم أناس بأذْرِعات[٦] .

ومن القبائل الأخرى التي سكنت الحجاز ، قبيلة هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٧] ، وقد توزعت مساكنها بين جبال السروات[٨] ، والمناطق المجاورة لمكة المكرمة ، وكانت مساكنهم متصلة بجبل غَزْوان المتصل بالطائف[٩] ، وكانت لهم أماكن ومياه في هذه المنطقة . ومن الأماكن التي سكنتها هذيل وادى نَعْمَان[١٠]بين مكة والطائف ، ونخلة اليمَانية ونخلة الشَامية[١١]ومَرّ الظهران[١٢]، وضَرْعاء[١٣] ، وخيف سَلَّام[١٤]

---

(١) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٠٥ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٣ - ٣١٤ .

(٣) الحربي ، المناسك ، ص ٦٣٠ ، أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، ج١، ص ١٦٤ ، كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، جـ٣ ، ص ٩٨١ .

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١ ، ص ٣٥٣ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٥٣ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٣٥٣ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٣٤٨ .

(٨) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ١ ، ص ٨٨ .

(٩) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٢ ، الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٢٦ ،

(١٠) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٠ ، ولا يزال وادي نعمان ، يقطعه القادم من الطائف الى مكة ، فيه مزارع ومياه كثيرة . انظر: نفس المصدر ، ونفس الصفحة ، حاشية ٢ .

(١١) نفس المصدر ، ص ٢٣ ، الزمخشري ، الجبال والأمكنة والمياه ، ص ٢١١ .

(١٢) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٥ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ٣ ، ص ٥٨١ .

(١٣) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٠٩ .

(١٤) نفس المصدر ، ص ٤١٤ .

ومن البلدان التي استوطنتها هذيل أيضا دَاءَة في جنوبي وادي نعمان بالقرب من مكة[١] ، ووادي عُلَيب في تهامة[٢] . ولقد حدد الهمداني منازل هذيل بأنها « عرنة وعرفة وبطن نعمان ونخلة ورَحيل وكَبْكَب والبَوْبَاة وأَوْطَاس وغَزَّان »[٣] . وتفرقت هذيل أيضا في الأمصار الاسلامية خلال الفتوحات الاسلامية[٤] ، ولكن يبدو أن هذه الهجرة لم تؤثر على قبيلة هذيل التي لا تزال تعيش في مساكنها القديمة منذ العصر الجاهلي . في وادي نخلة اليمانية وجبالها ، ووادي نخلة الشامية وجبالها، وتمتد منازلهم في الوقت الحاضر الى عسفان شمالاً ووادي حُنَين جنوباً في الحجاز[٥] .

وتعتبر قبيلة بني سليم بن منصور بن عكرمة ، من قيس عيلان[٦] من أشهر القبائل التي استوطنت نجد والحجاز ، فيروي القلقشندي أنها أشهر قبائل قيس[٧] . وتمتد بلاد بني سليم في غرب الجزيرة العربية من الجنوب الى الشمال بامتداد الحرة الممتدة من قرب عشيرة الى قرب المدينة المنورة ، وبلادهم منتشرة في سفوحها وأوديتها الشرقية ، منساحة في عالية نجد حتى حمى الربذة الواقع غرب حمى ضرية ، وتمتد بلادهم جنوباً حتى تشمل منهل الدثينة[٨] ، لذلك كان موقعها متوسطاً من الحجاز ونجد ، كما كانت بلادهم

---

(١) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ٢ ، ص ٥٣٠ .

(٢) نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٩٦٥ .

(٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٢٣ .

(٤) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٦٢ . وعن قبائل هذيل التي استوطنت مصر، انظر: البري ،القبائل العربية في مصر . ص ٦٤ - ٦٥ .

(٥) ابن بليهد ، صحيح الأخبار ، جـ٢ ، ص ١٨٦ .

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١ ، ص ٣٤٥ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣٤٥ ، نهاية الأرب ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٨) الحربي ، المناسك ، ص ٦٠٠ ، حمد الجاسر ، القطائع النبوية ، جـ١ ، مجلة العرب ، السنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ص ٤ ، والدثينة ، كانت من اشهر مناهل طريق البصرة الى مكة ، ولا تزال هذه القرية موجودة وتنطق بالثاء والفاء ، أنظر: الحربي، المناسك ، ص ٦٠٠ ، حاشية (١) .

غنية بالمعادن[1] ، وفيها وفرة الماء والمرعى والأراضي الخصبة ، إضافة الى ما ذكرنا من حسن الموقع ، فلقد كانوا يسيطرون على الطريق الذي يربط البحرين بالحجاز ونجد ، فكانوا يموّنون المسافرين على هذا الطريق[2] ، لغنى بلادهم بالثروة المعدنية والمنتجات الزراعية[3] .

ومن أهم المنازل التي استوطنتها قبيلة بني سليم ، حرة بني سليم ، وحرة النار ، ووادي القرى وتيماء ، كما سكنوا في عالية نجد بالقرب من خيبر[4] وسكنوا في قرية الأرحضية[5] ، وإرن ، وكان به مزارع ونخل لهم[6] . ومن البلدان التي استوطنوها أيضا السوارقية[7] ، ووادي ذو رَوْلان[8] ، وذَرْة[9] ، وضرعاء[10] ، وساية[11] ، والدَّثينَة[12] ، أَحْبَاب[13] ،

---

(١) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٦٢ . وانظر : الحربي ، المناسك ، ص ٣٣٣ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٩٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، ص ٣٤٨ . البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ١ ، ص ٢٨ ، الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٤٠٣ .

(٢) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٣٢ .

(٣) الحربي ، المناسك ، ص ٣٣٩ ، الهجري ، التعليقات والنوادر ، النسخة الهندية ، ص ٤٠٢ ، عرام السلمي ، المصدر السابق ص ٤٢٧ ، البكري ، معجم ما استعجم جـ ٢ ، ص ٨١١ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٧٦٨ .

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣٤٦ . نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص ٢٩٥ . كحالة ، معجم القبائل العربية ، جـ ٢ ، ص ٥٤٣ .

(٥) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٢٧ . ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٧٦٨ . .

(٦) الحربي ، المناسك ، ص ٣٣٩ ، الهجري ، التعليقات والنوادر ، النسخة الهندية ، ص ٤٠٢ ، وإرن موضع في بلاد بني سليم لا يزال يعرف بهذا الاسم الى هذا العهد ، كما سبق أن أشرنا .

(٧) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٣١ . البكري ، معجم ما استعجم ، ج١ ، ص ١٠٠ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ص ، ص ١٢٣٨ .

(٨) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٢٧ . السمهودي ، المصدر السابق ، ص ١٢٩٢ .

(٩) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٠٧ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٤٠٩ .

(١١) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٣ ، ص ٨١١ .

(١٢) الحربي ، المناسك ، ص ٦٠٠ .

(١٣) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٤٣ .

والجحفة[1] . كما استوطن بنو سليم في المدينة المنورة[2] ، ومعدن بني سليم[3] ، ولقد حدد الهمداني ديار بني سليم بأنها تمتد من وادي القرى الى خيبر الى شرقي المدينة المنورة الى حد الجبلين الى ما ينتهي الى الحرة ، ولا يخالطهم في هذه المساكن الا بعض الأنصار[4] .

وقد تفرقت بنو سليم في الأمصار الاسلامية[5] فنزلت جماعة منهم حمص ، كما قدم منهم مئة أسرة الى مصر سنة ١٠٩ هـ /٧٢٧ م[6] ، وهاجرت بطون منهم واستوطنت في برقة في المغرب[7] . وعلى الرغم من هجرة بني سليم الى الأمصار الاسلامية الا أن بطوناً من هذه القبيلة لا تزال في مواطنها القديمة حتى عصرنا الحاضر[8] .

ومن القبائل التي سكنت الحجاز قبيلة مزينة ، من مضر من العدنانية وهم بنو عثمان وأوس ، إبني عمرو بن أد بن طابخة[9] ، وكانت منازلهم بين المدينة ووادي القرى[10] ، ومن ديارهم و بلدانهم التي استوطنوها جبال رضوى وقدس وآرة وما والاها من أرض الحجاز[11] . واستوطنت قبيلة مزينة في

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٤ .

(٢) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ ، ص ٧٦١ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٤ .

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٤ .

(٥) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣٤٦ ، البري ، القبائل العربية في مصر ، ص ١٠٩ .

(٦) الكندي ، الولاة وكتاب القضاة ، ص ٧٧ ، كحالة ، معجم القبائل العربية ، جـ ٢ ، ص ٥٤٣ .

(٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣٤٦ .

(٨) ابن بليهد ، صحيح الأخبار ، جـ ٢ ، ص ١٨٦ .

(٩) القلقشندي ، المصدر السابق ، ص ٣٤٨

(١٠) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٣ .

(١١) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ١ ، ص ٨٨ ، وآرة لا يزال معروفاً بين مكة والمدينة ، أنظر: الحربي ، المناسك ، ص ٥٣٤ . حاشية (٢) .

الروحاء والعرج[١] وورقان[٢] ، والرُوَيْثة[٣] ، والعِيصْ[٤] ، والفرع[٥] ، وأَحْوَس[٦] ، وساية[٧] . وتعتبر قبيلة مزينة من قبائل مضر العدنانية التي استوطنت المدينة[٨] . ولا تزال منازل قبيلة مزينة بالقرب من المدينة المنورة ولم يتغير إسم هذه القبيلة حتى عصرنا الحاضر[٩] .

أما قبيلة بني أسد بن خزيمة[١٠] ، فهي من أعظم القبائل العدنانية التي استوطنت شمال نجد ، وقد حدد ابن حوقل منازل هذه القبيلة بقوله : « فأما ما بين القادسية الى الشقوق في الطول والعرض من قرب السَّمَاوة الى حد بادية البصرة فسكانها قبائل من بني أسد »[١١]. ومن أهم البلدان التي استوطنها بنو أسد السُلاَميّة والثَلْمَاء والنَاجيَة[١٢] ووادي بزاخة[١٣]، وضَارِج[١٤] وأثال[١٥]. كما نزل بنو نصر بن معين من بني أسد سُمَيْراء[١٦]، وسكنت بطون

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٤ .
(٢) البكري ، المصدر السابق ، ص ١٣٧٧ ، عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٠٢ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١٣٣١ .
(٣) الحربي ، المناسك ، ص ٤٤٧ .
(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٣ . والعيص : واد فيه عيون ذات نخل ولا يزال معروفاً ويقع شمال ينبع ، انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٤١٣ ، حاشية ٤
(٥) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٤٠٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٨٧٨ .
(٦) البكري ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ . ياقوت ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٧ .
(٧) البكري ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٨١١ .
(٨) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٢ .
(٩) ابن بليهد ، صحيح الأخبار ، جـ ٢ ، ص ١٨٧ .
(١٠) ابن حبيب ، مختلف القبائل ومؤتلفها ، ص ٣٠ .
(١١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٤ .
(١٢) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٦ .
(١٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٣٥ .
(١٤) الاصفهاني ، المصدر السابق ، ص ٢٧٠ .
(١٥) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٤ ، ص ١٢٥٢ .
(١٦) الحربي ، المناسك ، ص ٣١٣ . وسميراء لا تزال معروفة ، وهي بلدة ذات نخل وسكان كثيرين ، تابعة لإقليم حايل . أنظر : الحربي ، المناسك ، ص ٣١٤ ، حاشية ٤ .

من أسد في ناحية فيد[١] . وقد هاجرت بطون من أسد الى الأمصار الاسلامية الأخرى ، واستقرت فيها كالشام[٢] ، وقد شارك بنو أسد في القتال مع عبيد الله بن زياد سنة ٦١ هـ /٦٨١ م ضد الحسين بن علي بن أبي طالب[٣] .

ومن القبائل العظيمة التي استوطنت شمال الحجاز ، قبيلة جهينة وهي من أعرق القبائل.أصلاً وأكثرها ثبوتاً في مواطنها القديمة . ولما ظهر الاسلام كانت جهينة من أولى القبائل التي دخلت فيه ، وهاجر أناس منها وسكنوا المدينة المنورة[٤] . ولقد حدد الهمداني ديار جهينة بأنها المنطقة المنتشرة من حدود رضوى والأشعر الى واد ما بين نجد والبحر[٥] . ومن البلدان التي سكنتها قبيلة جهينة العيص[٦] ، وينبع[٧]، والصفراء[٨] ، وذو المروة[٩] ، والعرج[١٠]، ورضوى[١١]، والأشْعَر والأَجْرد وقدسا وآرة[١٢] وعسفان[١٣]، أي أنها تقريباً سكنت المنطقة الممتدة من ساحل البحر من قرب ميناء رابغ الى حقل بجوار العقبة شمالا ، ومن الساحل غرباً الى المدينة شرقا ، بامتداد

---

(١) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ١١٠٢ .

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣٤٩ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥ ، ص ٤٤٨ .

(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٢ ، الحربي ، المناسك ، ص ٣٩٨ ، السمهودي، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ٨٥٥ ـ ٨٥٦ ، حمد الجاسر ، جهينة وفروعها قديماً وحديثاً ، مجلة العرب ، جـ ١ ـ ٢ لسنة ١٣٩٦/١٩٧٦ م ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٥) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٣ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٧٣ ، الحربي ، المناسك ، ص ٤١٣ .

(٧) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٣٩٧ ، البكري ، معجم ما استعجم، جـ ٢ ، ص ٦٥٦ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١٣٣٤ .

(٨) عرام ، المصدر السابق ، ص ٣٩٨ ، البكري ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٨٣٦ .

(٩) الحربي ، المناسك ، ص ٤١٣ ، البكري ، المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٢١٨ .

(١٠) الحربي ، المناسك ، ص ٤٤٨ .

(١١) عرام السلمي ، المصدر السابق ، ص ٣٩٧ ، البكري ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٨٠ .

(١٢) نفس المصدر ، ص ٩٠ .

(١٣) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٢٣ .

بلادها على ساحل البحر الاحمر [١] . وقد هاجر قسم من قبيلة جهينة الى الأمصار الاسلامية واستقرت بها ، وخاصة مصر [٢] ، الا أن أغلب قبائل جهينة لا تزال في مواطنها القديمة في شمال الحجاز حتى عصرنا الحاضر [٣] .

ومن القبائل التي استوطنت الحجاز في العصر الأموي ، قبيلة خزاعة من الأزد ، وتنقسم الى عدة بطون أشهرها بنو المصطلق بن سعد بن عمرو ، وبنو كعب بن عمرو ، وبنو عدي بن عمرو ، وبنو مليح بن عمرو ، وبنو عوف ابن عمرو [٤] . ومن أهم البلدان التي استوطنتها خزاعة مكة والمناطق المجاورة لها كمر الظهران [٥] ، وخيف النعم ، وعسفان [٦] ، وغَـزَال دَوْرَان [٧] ، وخيف سلام [٨] ، وأمج [٩] . كما سكن بنو أسلم بن أفصى من خزاعة [١٠]، المدينة المنورة والأبواء [١١]، وويرة ، وهي قرية من أعراض المدينة المنورة [١٢]. ولا تزال بطون من قبيلة خزاعة في منازلها القديمة في وادي فاطمة والخَبْت عند القُنْفُذَة وفي الرَّاك الواقعة الى الشرق الجنوبي من بَحرة في الحجاز [١٣] .

أما قبيلة طيء فهي من القبائل العظيمة ذات البطون الكثيرة [١٤] ، التي

---

(١) حمد الجاسر ، بلاد ينبع ، ص ١٥٧ .
(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .
(٣) حمد الجاسر ، جهينة وفروعها قديماً وحديثاً ، مجلة العرب ، جـ ١ ، ٢ ، ص ١٤٢ وما بعدها .
(٤) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .
(٥) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٢ ، ص ٦٢٥ ، جـ ٤ ، ص ١٢١٢ .
(٦) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٥ .
(٧) نفس المصدر ، ص ٤١٢ .
(٨) نفس المصدر ، ص ٤١٤ .
(٩) البكري ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٩٠ .
(١٠) ابن حبيب ، مختلف القبائل ومؤتلفها ، ص ٥ .
(١١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٤ .
(١٢) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١٣٣٠ .
(١٣) فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ص ١٥٦ .
(١٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣٢٠ - ٣٢٥ .

استوطنت شمال نجد في جوار بني أسد ، ولقد حدد ابن حوقل بلاد طيء بقوله : فإذا « جزت الشقوق فأنت في ديار طيء الى أن تجاوز معدن النقرة في الطول وفي العرض من وراء جبلي طيء محاذياً لوادي القرى الى أن تتصل بحدود نجد من اليمامة والبحرين »[١] . ومن أهم البلدان التي استوطنتها قبيلة طيء الأجْفُر وفيد وتوز[٢] ومويسل[٣] ، وتيماء[٤] ، والقريات[٥] وأَكْبِرَة[٦] ، وجبلي أجا وسلمى وسميراء[٧] . كما استوطنت بطون منها المدينة المنورة والمناطق المجاورة لها[٨] ، كالسقيا[٩] ، وقد تفرقت بطون من قبيلة طيء مع الفتوحات الاسلامية واستوطنت الأمصار الأخرى[١٠]، الا أنه لا تزال بقية من قبيلة طيء تعيش في منطقة نجد في جبلي طيء أجا وسلمى حتى عصرنا الحاضر[١١] .

أما قبيلة غطفان فكانت كثيرة البطون فمن بطونها أشجع وبنو عبس وذبيان[١٢] ، وكانت مساكنها مما يلي وادي القرى وجبلي طيء أجا وسلمى[١٣] وقد سكن بنو عبس وذبيان في نجد وشرقي المدينة المنورة ووادي القرى[١٤] وجِلْب[١٥] ، فيروي ياقوت أن نجدة بن عامر الحنفي ، الذي

---

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٣٤ .
(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٢ .
(٣) الهجري ، التعليقات والنوادر ، النسخة الهندية ، ص ٢٨٤ .
(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٧٤ ، البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ١ ، ص ٣٣٠ .
(٥) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .
(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٤٢ .
(٧) القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص ٣٢٦ .
(٨) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣٢٤ .
(٩) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٢٣ .
(١٠) القلقشندي ، المصدر السابق ، ص ٣٢٠ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص ٣٢٦ .
(١١) ابن بليهد ، صحيح الأخبار ، جـ ٢ ، ص ١٨٨ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٥٩ حاشية (١) .
(١٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣٤٤ .
(١٣) نفس المصدر ، ص ٣٤٤ .
(١٤) نفس المصدر ، ص ٣٤٥ ، كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، جـ ١ ، ص ٤٠٣ .
(١٥) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٩٧ - ٩٨ .

استولى على بعض أجزاء نجد في العصر الأموي ، بعث داود بن الضبيب لقبض صدقات بني ذبيان وبني عبس ، فقاتلته بنو جذيمة من بني عبس عند ماء لهم يقال له جلب ، فهزمهم[1]. كما استوطنوا أيضا سميراء ، والحاجر[2] ، وأثال[3] ، ونزل بنو فزارة من ذبيان بطن نَخْل[4] . أما بنو أشجع بن ريث بن غطفان ، فاستوطنوا المدينة المنورة وضواحيها[5] . وقد اشتركت قبيلة أشجع مع أهل المدينة ضد الأمويين في معركة الحرة سنة ٦٣ هـ / ٦٨٣ م فكان على بني أشجع معقل بن سنان الأشجعي ، الذي قتله مسلم بن عقبة صبرا[6] . وقد هاجرت بطون من غطفان الى المغرب الأقصى واستوطنت فيه[7] ، الا أنه لا تزال بطون من هذه القبيلة باقية فيما بين القصيم والمدينة الى هذا العهد[8] .

ومن القبائل التي سكنت نجداً والحجاز قبيلة بني عامر بن صعصعة من هوازن من قيس عيلان[9] ، وتنقسم هذه القبيلة الى ثلاثة أفخاذ هم بنو نمير ، وبنو هلال ، وبنو ربيعة . وقد تفرع من هذه الأفخاذ قبائل كثيرة متعددة . وكان بنو عامر يتصيفون بالطائف لطيب ثمارها ، ويتشتون ببلادهم من أرض نجد لسعتها وكثرة مراعيها[10] .

وقد استوطنت قبيلة بني نمير نجداً ، فيذكر البكري أنها نزلت اليمامة[11]

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٩٧ - ٩٨ .
(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٢ .
(٣) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٧٠ .
(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١١٤٩ .
(٥) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣٤٤ .
(٦) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٤٩ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ١ ، ص ١٣٣ .
(٧) القلقشندي ، المصدر السابق ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .
(٨) ابن بليهد ، صحيح الأخبار ، جـ ٢ ، ص ١٨٨ .
(٩) يروي الكندي أن مئة أسرة من بني عامر قد هاجروا الى مصر سنة ١٠٩هـ / ٧٢٧م ، ونزلوا بلبيس في ولاية عبيدالله بن الحبحاب ، أنظر: الولاة وكتاب القضاة ، ص ٧٦ - ٧٧ .
(١٠) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ١ ، ص ٧٧ .
(١١) نفس المصدر ، ص ٩٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ، جـ ٣ ، ص ١١٠ .

وصارت جيراناً لبني حنيفة أصحاب البلاد ، لكن قسماً من بني نمير رحل فيما بعد الى سرة نجد واستقروا بالشريف حيث العشب والخصب[١] . وينتسب الى هذه القبيلة الشاعر الراعي النميري[٢] الذي وفد على الخليفة عبد الملك ابن مروان ، وألقى بين يديه قصيدة أعلن فيها تبرؤه من عبد الله بن الزبير ومن الخوارج النجدية[٣] ، الذين ثاروا في اليمامة ضد الحكم الأموي .

ومن البلدان التي سكنها بنونمير في نجد الهِزْمَة[٤] ، وأُضَاح وحُظَيَّان[٥] وثَهْلَان[٦] ، وقَرْمَاء[٧] ، والعُوَيْنِد[٨] ، وتِبْرَاك[٩] ، والوشم[١٠] ، وقَرْقَرى[١١] ، وأفْرُع[١٢] ، وعُكاش[١٣] ، بينما سكن بنو ظالم بن ربيعة من بني نمير بين حمى ضرية وبين سود شَمَام[١٤] ، ويروي القلقشندي أن قسماً من بني نمير هاجر الى الشام واستقروا بها[١٥].

أما قبيلة ربيعة فمن بطونها التي سكنت نجداً والحجاز بنوكلاب بن

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٤ ، ص ٢٠٩ ، ياقوت ، المشترك وضعا ص ٢٧٣ ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٨٥ .

(٢) الآمدي ، المؤتلف والمختلف ، ص ١١٧ .

(٣) المبرد ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٨٤ ، محمد نبيه حجاب ، الراعي النميري ، ص ٢٤ .

(٤) الهجري ، التعليقات والنوادر ، النسخة المصرية ، ورقة ٢١٢ب .

(٥) الحربي ، المناسك ، ص ٦١٨ . وأضاح قرية لا تزال معروفة ، وبها سكان ، انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٣٢١ ، حاشية ٢ .

(٦) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٣٥ .

(٧) الزمخشري ، الجبال والأمكنة والمياه ، ص ١٨٦ .

(٨) ياقوت ، المشترك وضعا ، ص ٣١٨ .

(٩) الاصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٦٦ .

(١٠) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٩ ، ياقوت ، معجم البلدان، جـ ١، ص ٩٢٢ .

(١١) الحربي ، المناسك ، ص ٦١٦ .

(١٢) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٢٤ .

(١٣) نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ٧٠٤ .

(١٤) نفس المصدر ، ص ٢٨٥ .

(١٥) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣٤١ .

ربيعة فكانوا ينزلون فيما بين المدينة ووادي القرى وخاصة حرة ليلى[1] ، كما كانوا يستوطنون أيضاً في حمى ضرية[2] وحمى الربذة ، وفدك والعوالي[3] ، واليمامة[4] ، ومعدن الأَحْسَن[5] . أما بنو كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فينقسمون الى خمسة بطون هم :قشير ، وجعدة ، والحريش ، وعقيل ،وبنو البكاء . فمن البلدان التي سكنها بنو قشير بن كعب الفلج[6] ، وقرن والقاع[7] ، والشطبتان[8] ، والغيل[9] ، والريب[10] ، وحائل ، وصَدَّاء[11] وحَرِم[12] ، وأَهْوى[13] . واستوطن بنو جعدة الفلج[14] في مجاورة بني قشير ، والشطبتان[15] ، والغيل[16]، والصدارة[17] وجِراضَة والأكمة[18]. واستوطن بنو الحريش في قرية صَدَّاء ، والشطبتان ، ومن أوديتهم الهَدَّار[19]،

---

(١) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١١٨٧ .
(٢) الحربي ، المناسك ، ص ٦١٢ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ص ٣٤٠ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٣٤٠ .
(٤) ابن خلدون ، العبر ، جـ ٣ ، ص ١١٠ .
(٥) الحربي ، المناسك ، ص ٦١٨ ، الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ١٥٩ .
(٦) الحربي ، المناسك ، ص ٦٢٠ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ١٧١ ، ١٧٦ ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٩٠٩ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٣ ، ص ١١٠ .
(٧) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٥ .
(٨) نفس المصدر ، ص ٢٢٦ .
(٩) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٧ .
(١٠) الهجري ، التعليقات ، النسخة الهندية ، ص ١٦٤ ، الحربي ،المناسك ،ص ٦١٨ .
(١١) نفس المصدر ، ص ٦١٩ .
(١٢) نفس المصدر ، ص ٦٢٠ .
(١٣) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤١٤ .
(١٤) الحربي ، المناسك ، ص ٦٢٠ ، الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢١ ، البكري معجم ما استعجم ، جـ ٣ ، ص ١٠٢٩ ، الهجري ، التعليقات والنوادر ، النسخة المصرية ، ورقة ٢١٩أ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٤ ، ص ٨٨ ، الزمخشري ، الجبال والأمكنة والمياه ، ص ١٨٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ص ٩٠٩ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٣ ، ص ١١٠ .
(١٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٦ .
(١٦) نفس المصدر ، ص ٢٢٧ ، الحربي ، المناسك ، ص ٦١٩ ، ٦٢٢ .
(١٧) نفس المصدر ، ص ٦١٩ ، الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .
(١٨) الحربي ، المصدر السابق ، ص ٦١٩ ، ياقوت ، مغجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٤٤ .
(١٩) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٦ .

وسكن بنو البكاء فَلْجَة[١] . أما بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فكانت مساكنهم في نجد ، ومن ديارهم في اليمامة عقيق بني عقيل[٢] والفلج[٣] ونعام[٤] ، وخَزْبَة[٥] ، كما نزلوا تبالة ورنية وبيشة وتَثْلِيث[٦] .

أما بنو هلال بن عامر بن صعصعة ، فكانت منازلهم في نجد والحجاز فقد استوطنوا شرقي مكة[٧] ، والمنطقة المحيطة بالطائف وخاصة ما بينه وبين جبل غزوان . ومن ديارهم وادي جلدان شرقي مدينة الطائف ، ومران ، وتربة[٨] .

وسكنت الطائف قبيلة ثقيف[٩] بن قسي بن منبه بن بَكر بن هوازن[١٠]، ومن هذه القبيلة كان أهم ولاة الأمويين كالحجاج بن يوسف ومحمد بن القاسم الثقفي . كما نزلت ثقيف في الأودية المجاورة للطائف كوادي لية الذي كان أعلاه لثقيف وأسفله لبني نصر بن معاوية من هوازن[١١] ووادي جَفْن بين الطائف وبين معدن البِرَام الذي كان يسكنه قوم من ثقيف

---

(١) الحربي ، المناسك ، ص ٥٩٧ - ٥٩٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦١٩ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٧٠٠ .

(٣) ابن خلدون، العبر ، جـ ٣ ، ص ١١٠ .

(٤) ياقوت ، المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٧٩٤ .

(٥) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٧٩ ، الحربي ، المناسك ، ص ٦١٩ .

(٦) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٢١ .

(٧) الآدريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٢٦ .

(٨) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٦٣ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٨٣٤ ، كحالة ، معجم القبائل العربية ، جـ ٣ ، ص ١٢٢١ .

(٩) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠ ، عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٢٠ ، الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٢٦ ، الخزاعي ، الدلالات السمعية ، ص ٤٥٦ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ ،نهاية الأرب ، ص ١٩٨ .

(١٠) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٦٦ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ .

(١١) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٠.ولا يزال وادي لية به أجود الفواكه .

وقريش[1] . كما سكن الطائف مع ثقيف بطون من حمير وقريش وغوث من اليمن[2] . وسكن بنو نصر بن معاوية من هوازن وادي لِيّة[3] ، بالقرب من الطائف ، وجلدان[4] بين وادي لِيّة وبَسْل . وقد هاجر منهم مئة أسرة الى مصر سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٧م في عهد هشام بن عبد الملك ونزلوا بلبيس مع بطون قريش الأخرى[5] .

أما قبيلة بني عمرو بن الغوث من كهلان فكانت تنقسم الى بطنين هما بجيلة وخثعم ، وقد سكنت بجيلة في جبال السروات والحجاز الى تبالة[6] وشاركت خثعم بجيلة في هذه المساكن ، فقد سكنت تبالة[7] وبيشة[8] ، وقرية رَاسِب بين مكة والمدينة[9] . وفي سنة ٣٧هـ / ٦٥٨م حاربت بجيلة مع علي بن أبي طالب ، أما خثعم فقد انقسمت الى فرقتين ، فرقة حاربت مع علي بن أبي طالب ، وحاربت الفرقة الأخرى مع معاوية بن أبي سفيان[10] .

ومن قبائل قيس التي سكنت نجداً قبيلة باهلة ، فقد سكنت في اليمامة في قرية السَّوْد[11] والحِصْن[12] ، وإليهم ينتسب القائد المظفر قتيبة بن مسلم الباهلي .

---

(١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٠ ، ولا تزال بطون من قبيلة ثقيف تسكن الطائف وما حولها حتى عصرنا الحاضر ، انظر : محمد سعيد كمال ، من تاريخ الطائف ، مجلة العرب ، جـ ٤ ، لسنة ١٣٨٧ / ١٩٦٨م ، ص ٤١٧ .

(٢) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤٢٠ .

(٣) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٠ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٠ .

(٤) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ص ٣٠ ، ياقوت ، معجم البلدان جـ ٢ ، ص ٩٩ .

(٥) الكندي ، الولاة وكتاب القضاة ، ص ٧٦ .

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣٢٩ . (٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٧٠ .

(٨) القلقشندي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٠ .

(٩) عرام السلمي ، أسماء جبال تهامة ، ص ٤١٩ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥ ، ص ١٤ .

(١١) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٣٨ .

(١٢) الحربي ، المناسك ، ص ٦١٨ ،

أما قبيلة بلي بن عمرو من قضاعة ، فهي من القبائل العظيمة التي سكنت الحجاز[١] ، وتقع مساكنها بين المدينة ووادي القرى ، ويحد منازل بلي من الشمال ينبع[٢] وسكنت قبيلة بني عذرة من قضاعة في وادي القرى[٣] وإلى هذه القبيلة ينسب الحب العذري ، ومنهم عروة بن حزام وجميل بثينة[٤] ، اللذان عاشا في العصر الأموي . وقد هاجر قسم من هذه القبيلة الى مصر بعد انتشار الاسلام[٥] . وتعتبر قبيلة بهراء بن عمرو إحدى بطون قبيلة قضاعة ، وكانت منازلهم شمالي منازل بلي من ينبع الى أيلة[٦] .

واستوطنت قبيلة بني شبابة من فهم بن مالك من الأزد ، حِدَابُ بني شَبَابَة في جبال السروات بالقرب من الطائف ، وكانت بلادهم مشهورة بإنتاج العسل الجيد[٧] . أما قبائل الأوس والخزرج من الأزد فقد سكنوا المدينة المنورة[٨] . ونظراً الى أن المدينة المنورة كانت عاصمة الدولة الاسلامية في عهدها الزاهر ، فقد هرعت بعض القبائل اليها واستوطنت فيها ، فيذكر اليعقوبي أن أشهر من سكن المدينة هم المهاجرون والأنصار والتابعون وقبائل العرب كمزينة وجهينة وكنانة وغيرهم[٩] . أما بنو عمرو بن عوف من الأنصار فكانت مساكنهم قباء[١٠].

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣١٧ ، كحالة . معجم القبائل العربية ، جـ ١ ، ص ١٠٤ .

(٣) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، جـ ١ ، ص ٤٣٤ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٣٧٧ ، البغدادي ، خزانة الأدب ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٤٤ .

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣١٧ .

(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٦١ .

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣١٧ .

(٧) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٢ ، ص ٤٢٨ .

(٨) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ١ ، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ ، العباسي ، عمدة الأخبار ، ص ٤٥ وما بعدها ، لقد فصل السمهودي في منازل قبائل الأنصار من الأوس والخزرج في المدينة ، انظر: وفاء الوفاء ، جـ ١ ، ص ١٩٠ وما بعدها .

(٩) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٢ .

(١٠) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٣ ، عادل جمال ، شعر الأحوص الأنصاري ، ص ٢٠ .

ومن القبائل العربية التي استوطنت نجداً قبيلة بكر بن وائل فلقد سكنت بطون منها في إقليم اليمامة. يقول الهمداني « وديار بكر بن وائل من اليمامة الى البحرين الى سيف كاظمة الى البحر فأطراف سواد العراق فالأبلة فهيت . . »[1] . ومن بطون بكر التي استوطنت اليمامة بنو حنيفة بن لجيم بن صعب[2] . وذكرت المصادر من منازلهم مدينة حجر وهي أكبر مدينة في اليمامة وكانت كالبصرة والكوفة لكل قوم فيها خطة الا أن الأكثرية كانوا من بني حنيفة[3] . ومن البلدان التي استوطنوها أيضا قُرّآن ورِيمَان[4] ومدينة الخضارم[5] ، والمَنصف[6] ، وعَقْرَباء[7] ، والعُقَير[8] ، والنَّقْب[9] والهَدّار[10]، وثرمداء[11]، والعَمَّارية[12] .

أما البطن الثاني من قبيلة بني بكر بن وائل الذي استوطن اليمامة فهم

---

(١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣١٩ .

(٢) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٨ .
ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٠٩ .
القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص ٢٣٨ .

(٣) الحربي ، المناسك ، ص ٦١٦ - ٦١٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٠٩ ، المشترك وضعا ، ص ١٢٢ ، وانظر: الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٥٧ .

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٥ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٨٢ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٨٣ .

(٧) الحربي ، المناسك ، ص ٦١٦ . وقد درست عَقْرباء ، وقامت بلدة الجُبيلَة على أنقاضها وهي تقع على ضفة وادي حَنيفة ، انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٦١٦ ، حاشية (٣) .

(٨) ياقوت ، المشترك وضعا ، ص ٣١٤ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٦٩٩ ، والعقير هي التي اتخذها ابراهيم بن عربي الكناني مقراً له عندما عينه عبد الملك بن مروان والياً على اليمامة ، ويقع فيّ متسع من وادي العرض أسفل من بلدة العُيَينة ، ويرجح الجاسر أن يكون في موقع المُغَيْدِر الآن انظر : حمد الجاسر ، مدينة الرياض ، ص ٦١ .

(٩) ياقوت ، المشترك وضعا ، ص ٤٢٠ .

(١٠) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ ، كحالة ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٤٠٥ .

(١١) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٩٢٢ .

(١٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٧ ، ياقوت ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٧١٧ .

بنو قيس بن ثعلبة بن عكابة ، وذكرت المصادر استيطانهم في الخرج[١] ونُمَيْلة[٢] والهزمة[٣] ، والمصانع[٤] ، ورياض الكلب[٥] ، والنباج وثَيْتَل[٦] ومنفوحة[٧] واستوطن بنو سدوس بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة ، من بكر بن وائل[٨] ، قرية سدوس[٩] في إقليم اليمامة التي اشتهرت بانتاجها الغزير من الرمان[١٠]. أما بنو غبر من يشكر بن بكر وائل فاستوطنوا في اليمامة قرية حائط بني غُبَر[١١]، وقرية البالدية[١٢] ، ومَلْهَم[١٣] .

وتعتبر قبيلة تميم من أكبر القبائل العربية ، التي انتشرت بطون منها في هضبة نجد وامتدت الى الأطراف الشرقية للجزيرة العربية ، ومن أهم البطون التي استوطنت نجداً من تميم ، بنو عمرو بن تميم وبنو زيد مناة بن تميم ، ومن بطون بني عمرو التي استوطنت شرقي نجد في وادي الفَلْج بنو العنبر بن عمرو[١٤] ، ومن مياههم أُسَيْلَة في اليمامة[١٥] ، ومن بطون زيد بن مناة التي

---

(١) الحربي ، المناسك ، ص ٦١٧ ، ياقوت ، معجم البلدان جـ ٢ ، ص ٤١٩ .
(٢) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٦٠ ياقوت ، المشترك ، ص ٤٢٢ .
(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٦٢ .
(٤) ياقوت ، المشترك وضعا ، ص ٣٩٨ .
(٥) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٣ .
(٦) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٤ ، ص ١٢٩١ .
(٧) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٦٠ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٧ ، الزمخشري ، الجبال والأمكنة والمياه ، ص ٢١٤ .
(٨) ابن حبيب ، مختلف القبائل ومؤتلفها ، ص ٤ .
(٩) الحربي ، المناسك ، ص ٦١٨ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٨ ، البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٣ ص ١٠٧٠ ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٨٤ ، المشترك ، ص ٣٤٥ .
(١٠) انظر الزراعة في الفصل الأول من الباب الأول .
(١١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٨٥ .
(١٢) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٣٢٨ .
(١٣) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٠٨ ، البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٤ ، ص ١٢٥٢ .
(١٤) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، الحربي ، المناسك ، ص ٦١٢ ، أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، جـ ١ ، ص ٥٤ .
(١٥) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ .

استوطنت نجداً بنو امرىء القيس وبنو مالك ، فاستوطن بنو امرؤ القيس بن زيد قرية ثرمداء ومرأة ، وأثيفية ، والقصيبة ، وذات غسل والشقراء وأشيقر[١] ، واستوطن بنو مالك بن زيد بن مناة أثيفية بجوار بني امرىء القيس فكان يسكنها بنو كليب بن يربوع رهط الشاعر جرير بن الخطفي[٢] ، ومن منازل بني كليب أيضاً ذات غِسْل ومَرأة[٣] . أما بنو ربيعة بن مالك بن زيد بن مناة فمن منازلهم ثرمداء في إقليم الوشم بنجد[٤] ، ومن منازل بني تميم في اليمامة الفَقْي[٥] ، والمروت[٦] وبَنْبان[٧] .

ومن القبائل العربية التي استوطنت نجداً بنو هزان بن صباح بن عتيك ابن أسلم من بطون أسد بن ربيعة ، فلقد ذكرت المصادر من منازلهم بِرْك ونعام[٨] والمجازة[٩] ، وماوان[١٠] ولا تزال مواطن قبيلة بني هزان في العصر الحاضر ، هي مواطنها القديمة ، لم تتغير منذ بداية العصر الاسلامي الى الآن ، وإن حدث بعض التغير في أسماء بعض الأمكنة[١١].

---

(١) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، ومرأة بلدة من الوشم لا تزال معروفة ، انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٦١٧ ، حاشية ٤ . أما القصيبة فتدعى الآن القصب ، وتقع في شرقي اقليم الوشم . وذات غسل تدعى الآن غِسْلة . والشقراء تدعى الآن شقراء وهي قاعدة اقليم الوشم ،أما أشيقر فلا تزال معروفة وتقع شمال شقراء ، انظر : الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٧٤ ، ( الحاشية ) .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٢١ ، المشترك وضعا ، ص ١٣ .

(٣) الحربي ، المناسك ، ص ٦١٥ ، ٦١٦ .

(٤) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ ، وانظر : جـ ٤ ، ص ١٣٧٩ .

(٥) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤١٤ .

(٧) الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٠٨ .

(٨) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٧٩٤ ، المشترك وضعا ، ص ٤١٩ .

(٩) الأصفهاني ، بلاد العرب ، ص ٢٢٨ ، الحربي ، المناسك ، ص ٦١٧ ، الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٠٦ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٣٠٨ وماوان لا يزال معروفا ، جبل وبقربه منهل ، انظر : الحربي ، المناسك ، ص ٣٢٤ ( في الحاشية ) .

(١١) حمد الجاسر ، قبيلة بني هزان ، مجلة العرب ، جـ ٧ ، لسنة ١٣٨٩ / ١٩٦٩م ، ص ٨٦٨ .

تلك هي أهم القبائل العربية التي استوطنت نجداً والحجاز في العصر الأموي ، لكننا يجب أن ننتبه الى أن مواطن هذه القبائل في العصر الأموي لم تكن ثابتة تماما ، بسبب الهجرة التي صاحبت الفتوح الاسلامية من ناحية ، واختلاط بعض القبائل مع بعضها في سكنى المدن من ناحية أخرى . لذلك اشتركت القبائل في بناء الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المدن مما أدى الى الى ضعف الرابطة القبلية ونمو الولاء للمدينة التي استوطنوها فأصبحنا نجد في المصادر ـ ذكر أهل المدينة[١] ، وأهل مكة[٢] ، أو نسبة الى الأقليم الذي سكنوه مثل : أهل الحجاز[٣] ، وأهل اليمامة[٤] ، وأهل نجد[٥] .

## ثانيا ـ الموالي :

أما العنصر الثاني من عناصر المجتمع في نجد والحجاز فهم الموالي ويمكن تقسيم الموالي الى قسمين ، القسم الأول هم موالي العتاقة ، وكانوا في الأصل من الرقيق ، الا أن سادتهم أعتقوهم لسبب من الأسباب الدينية أو الإقتصادية[٦] ، غير أنهم ظلوا بعد العتق مرتبطين بالولاء لعشيرة سيدهم ، يحملون اسم العشيرة هم وأولادهم من بعدهم ، وقد اشتغل هؤلاء بعد إعتاقهم بمختلف الأعمال الاقتصادية .

أما القسم الثاني من الموالي فكانوا من المسلمين الأحرار ، الذين قدموا الى نجد والحجاز لأسباب دينية أو اقتصادية مختلفة كالتجارة والصناعة

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٢ ، ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٤٥٨ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥ ، ص ٤٨٧ ، القيرواني ، جمع الجواهر ، ص ٦٨ .

(٢) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧ .

(٣) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٣ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ٣٧٨ ، ابن الجوزي ، تنوير الغبش ، ص ١٨٢ .

(٤) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ .

(٥) ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ ، المنتظم ، ص ٢٤٢ .

(٦) انظر ما كتب عن الرقيق في هذا الفصل .

والزراعة ، وأرادوا أن يكون لهم مكان في المخطط الاجتماعي ، ولما كان المجتمع العربي يعتمد على النسب ، ويعتبر القبيلة الوحدة الأولى للمجتمع ، لذلك دخل الموالي في محالفة القبائل العربية فأصبحوا موالي لهم لقاء منافع متبادلة[١] ؛ مثل إسهام الموالي في دفع الديات[٢] ، ووقوفهم في صفوف قبائلهم ذائدين عنها كأبنائها الأصليين ، فكان موالي القبيلة ينسبون اليها ويقاتلون مع أسيادهم[٣] ، كما كانوا يشاركون في كل الأمور العامة للقبيلة أو العشيرة ، يقابل ذلك حماية القبائل العربية لهم ، ومساعدتهم عند الحاجة . وكانت هناك التزامات متبادلة بين السيد ومولاه ، فلكل منهما أن يرث الآخر إذا لم يكن له وريث[٤] .

وكان الموالي يتمتعون بنفس الحقوق المدنية التي يتمتع بها الأحرار من المسلمين ، فلهم مزاولة المهن والصناعات التي يرغبون ، فكان بينهم من يشتغل بالتجارة والصيرفة أو العلم ، كما كان بينهم الكتاب والفقهاء والملاك بل كان باستطاعتهم إقتناء العبيد الذين يساعدونهم على مزاولة أعمالهم .[٥] فيروي الامام مالك ان دهورا مولى سعد بن بكر أعتق ثلث رقيق له ، وهم قريب من العشرين[٦] .

وتعود كثرة الموالي في الحجاز ونجد في العصر الأموي ، الى كثرة الرقيق الذي تدفق على الحجاز أثناء الفتوحات الاسلامية ، هذا فضلا عن إرتفاع القدرة الشرائية لدى أهل الحجاز ، وحاجتهم الى استخدام الرقيق في أعمالهم الخاصة ، لذلك هرع تجار الرقيق الى الحجاز لبيع رقيقهم مما أدى

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١١٩ ، الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص ٤٠ .
(٢) مالك ، المدونة ، جـ ١٦ ، ص ٣٩٧ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١١٩ .
(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ٢٦٧ ، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٣٩ .
(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٦ ، ص ١٥٦ .
(٥) مالك ، المدونة ، جـ ١٥ ، ص ٣ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٤١ .
(٦) مالك ، المصدر السابق ، ص ٣ .

الى كثرته[١] ، ولما كان بعض السكان يعتقون رقيقهم لأسباب دينية أو اقتصادية لذلك كثر الموالي ، فيروى عن عبدالله بن عمر أنه لم يمت حتى أعتق ألف مملوك[٢] . ومن ناحية أخرى فإن ازدهار الحياة الاقتصادية في الحجاز جعلت الأعاجم يقدمون اليها لمزاولة التجارة، فيروي المقدسي أن أغلب سكان جدة من الفرس[٣] .

لقد شارك الموالي في الحياة السياسية في نجد والحجاز؛ ففي سنة ٦٣هـ / ٦٨٢م ، اشترك الموالي في معركة الحرة بقيادة يزيد بن هرمز،[٤] فيروي السمهودي نقلا عن الواقدي أن يزيد بن هرمز كان « معه الدهم من الموالي ، وهو يحمل رايتهم ، وهو أميرهم ، وقد صف أصحابه كراديس بعضها خلف بعض . . »[٥] وقد قتل في هذه المعركة عدد كبير منهم[٦] ، وخلال حركة عبدالله بن الزبير شارك الموالي في الحروب التي قامت بينه وبين الأمويين ، فلقد حارب موالي ابن الزبير معه ضد الأمويين[٧] ، ويدلنا على اشتراك الموالي الآخرين مع ابن الزبير ما رواه البلاذري من أن الشاعر

---

(١) مالك ، المدونة ، جـ ١٠ ، ص ٢٧١ ، وانظر العوامل التي أدت الى كثرة الرقيق في نهاية هذا الفصل .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٥ ، الكتاني ، التراتيب الادارية ، جـ ١ ، ص ٢٩ .

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٧٩ ، ٩٦ ، ويروي ابن المجاور أن سلمان الفارسي رضي الله عنه لما أسلم ، تسامعت أهله بالخبر فقصدوه وأسلموا على يد رسول الله ﷺ وسكنوا جدة لأنهم كانوا تجارا . انظر : ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٤٢ . ويذكر الحميري ان جدة من بنيان الفرس .أنظر :الروض المعطار : ص ١٥٧ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٠٩ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٣٥ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ٨٤٧ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٨٤٧ .

(٦) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ١٣٢ ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، جـ ١ ، ص ١٩٢ ، الفيروزأبادي ، المغانم المطابة ، ص١١٣ . ويذكر أسامة ابن منقذ أن سائب خاثر مولى بني ليث ، والذي اشترى ولاءه عبدالله بن جعفر من مواليه قاتل بسيفه يوم الحرة حتى قتل . انظر : المنازل والديار ، ص ١٢٠ .

(٧) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٣٩ ، الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢١ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٢٦ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب جـ ٣ ، ص ٩٠٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٣٤٣ .

أبا حُرّة مولى أسلم قال : « يا ابن الزبير ما أرانا سفكنا الدماء وقاتلنا الناس الا لتملك » وأنشأ يقول :

إن الموالي أمست وهي عاتبة    على الخليفة تشكو الجوع والحربا[1]

أما موالي بني أمية فحاربوا مع الأمويين ضد ابن الزبير ، فيروي البلاذري أن عمرو بن سعيد الأشدق أرسل جيشاً لمحاربة ابن الزبير فيه قوم من موالي بني أمية[2] ، كما يروي أيضاً أن سعداً مولى عتبة بن أبي سفيان تحصن في الطائف ومعه خمسون رجلا ، فاستنزلهم ابن الزبير وضرب أعناقهم[3] . ويدلنا على اشتراك الموالي في الحروب التي كانت قائمة في العصر الأموي ، ما رواه الطبري نقلا عن أبي مخنف من أن المختار بن أبي عبيد بعث جيشاً يقدر عدده بثلاثة آلاف رجل لقتال ابن الزبير ، كان اكثرهم من الموالي ، وليس فيهم من العرب الا سبعمائة رجل[4] . وفي سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦م ، شارك الموالي أهل المدينة في معركة قديد ، ضد الخوارج بقيادة أبي حمزة الشاري ، فقتل عدد كبير منهم[5] .

أما في منطقة نجد فلقد انضم الموالي الى حركة الخوارج في اليمامة ضد الحكم الأموي ، ووصل بعضهم الى مركز القيادة كأبي طالوت سالم بن مطر مولى بني زمان[6] ، من بكر بن وائل ، الذي قاد الحركة في اليمامة في مراحلها الأولى[7] ، قبل مبايعة نجدة بن عامر الحنفي ، الذي بسط نفوذه

---

(١) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٧٣ .

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٨ ، ص ٣٧٨ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٣ ، ص ٢٣٤ ، مجهول المؤلف ، العيون والحدائق ، ص ١٦٩ .

(٦) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ٩٥ .

(٧) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣٥٢ ، وانظر: النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، لوحة ١٤ .

على معظم أجزاء نجد ، وبعد خلع نجدة بن عامر الحنفي وقع إختيار الخوارج على أحد الموالي وهو ثابت التمار ، ليتولى أمرهم وليقود حركتهم[١] ، الا أن بعض الموالي وقف الى جانب والي اليمامة ابراهيم بن عربي ضد بقية الخوارج[٢] ، وخاصة بعد انتقال مركز الحركة من نجد الى البحرين[٣] .

وشارك الموالي في الحياة الاقتصادية ، كالزراعة فتذكر المصادر أن علي بن أبي طالب استخدم مولاه أبا نيزر ليقوم على ضياعه في ينبع كعين أبي نيزر والبغيبغة[٤] . وكان المسؤول عن مزارع معاوية بن أبي سفيان في المدينة من الموالي هو ابن ميناء[٥] . كما زاول الموالي الصناعة كصناعة المنسوجات[٦] والنجارة ،فيروي أبو نعيم أن أحد الموالي من الفرس كان يصنع الأقداح في منزله[٧] ، ومن الحرف التي زاولها الموالي الخياطة والحجامة[٨] ، وصناعة الخبز [٩] ، وكتابة المصاحف بالأجرة[١٠]

أما في مجال التجارة الداخلية ، فلقد زاول بعض الموالي التجارة ، فيذكر الأزدي أن أحد موالي بني أمية كان يبيع الحديد في المدينة المنورة[١١]. كما كان سائب خاثر ، مولى بني ليث تاجراً موسراً يبيع الطعام

---

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٧ ، ص ٧٦ ، ويلهوزن ، الخوارج والشيعة ، ص ٧٣ .

(٢) البلاذري ، المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٨٨ .

(٣) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ .

(٤) المبرد ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧ ، البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٢ ، ص ٦٥٧ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٧١ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، جـ ١ ، ص ١٧٦ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٢٤ .

(٧) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ١٥٢ .

(٨) مالك ، المدونة ، جـ ١٦ ، ص ٢٣١ .

(٩) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٤٥٨ ، القيرواني ، جمع الجواهر ، ص ٦٨ .

(١٠) مالك ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٤١٨ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص٣٩٣، ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٢١٦ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٧٠ .

(١١) الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٤٩ .

في المدينة[1] . أما أبو سعيد عبدالله بن كثير مولى عمرو بن علقمة الكناني فكان يبيع العطر في مكة[2] ، وزاول بعض الموالي بيع الحنطة في الأسواق[3] . وكان أبو اسماعيل بن يسار ، مولى بني تيم بن مرة من قريش ، يصنع طعام العرس فيشتريه منه من أراد أن يتزوج[4] .

ولم يقتصر الموالي على مزاولة التجارة الداخلية ، بل زاولوا التجارة الخارجية ، فكان أبو صالح السمان ، مولى غطفان ، يجلب السمن والزيت من المدينة الى الكوفة في العراق[5] ، وكان موسى بن يسار مولى قريش يجلب القند والسكر من أذربيجان الى المدينة[6] . أما حكم بن ميمون ، مولى الوليد بن عبد الملك ، فكان يكري جماله لنقل الزيت من الشام ووادي القرى وجدة الى المدينة المنورة لبيعه فيها[7] . كما سكن جدة عدد من الفرس الذين كانوا يزاولون التجارة[8] .

وقد كان للموالي أثر كبير في تغيير حياة أهل الحجاز الاجتماعية في العصر الأموي ، حيث امتزجت الدماء العربية بالدماء الأعجمية عن طريق الزيجات التي تمت بين العرب وغيرهم من الأمم المفتوحة[9] ، ولقد ترتب على هذه الزيجات نشوء جيل من التابعين ، خليط من العرب والموالي ، وكانت صلتهم وثيقة بالحضارة الأجنبية ، لأن الموالي كانوا في الأصل رقيقاً

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ٤ ، ص ٢٦١ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٤٩٢ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٤١ ، الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، ص ٧١ ، الفاسي ، العقد الثمين ، جـ ٥ ، ص ٢٣٨ .

(٣) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٨٥ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٣ ، ص ٢٦٧ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٤٠٨ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٢٢ ، البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، ص ٦٤ ، العيني ، عقد الجمان ، جـ ١١ قسم ٣ ، ص ٤٤٩ .

(٦) البغدادي ، خزانة الأدب ، جـ ١ ، ص ٢٧١

(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٦ ، ص ٢٨٠ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ٤ ، ص ٣٢٣ .

(٨) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٧٩ ، ٩٦ ، وانظر : ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٤٢ .

(٩) الدينوري ، عيون الأخبار ، جـ ١٠ ، ص ٨ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء جـ ٣ ، ص ٣٦٧ .

يقومون على خدمة أسيادهم العرب ، لذلك نقلوا كثيراً من ألوان الحضارة التي كان يجهلها العرب[١] ، كالأطعمة والأشربة والأبنية والفرش ، وكثيراً من عاداتهم وتقاليدهم في الأفراح[٢] ، وبمرور الزمن عرف أهل الحجاز كثرة الألوان في الأطعمة والأشربة ورفاهة الملبس والمسكن .

ويتضح أثر الموالي في الحياة الاجتماعية من دورهم الذي قاموا به في الحياة الفنية في الحجاز حيث اشتهر منهم عدد كبير من المغنين الذين اقتبسوا موسيقى الفرس والروم وغناءهم ، ونقلوه الى اللغة العربية بعد أن أجروا عليه بعض التعديل ، كما اشتهر أصحاب النوادر والفكاهة كأشعب مولى عبدالله بن الزبير[٣] . وبينما اهتم عدد من الموالي بالغناء نجد عدداً آخر منهم اهتم بالعلوم الدينية وبرعوا فيها ، فلقد تلقى الموالي العلم مع العرب حتى جاء عصر التابعين فكان أكثر حملة العلم من الموالي ، كسليمان ابن يسار الذي كان فقيهاً كثير الحديث[٤] ، ومجاهد بن جبر الذي اشتهر بالتفسير[٥] ، ونافع مولى عبدالله بن عمر[٦] ، وعكرمة مولى عبدالله بن عباس[٧] ، وعطاء بن أبي رباح فقيه أهل مكة[٨] ، ويحيى بن أبي كثير ، مولى طيء ، فقيه أهل اليمامة في نجد[٩] ، وعبدالله بن كثير[١٠]، وعبد الرحمن بن هرمز[١١]، وعبدالله بن يزيد بن هرمز الذي كان من فقهاء المدينة

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٥٤ . وأنظر :

Gibb, Arabic Literature, p. 44.

(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ١٥٤ ، وانظر : شوقي ضيف ، الشعر والغناء ، ص ٣٠ .

(٣) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٤٥٨ . عن المغنيين وأصحاب النوادر والفكاهة انظر : المجالس الاجتماعية في الفصل الثالث من هذا الباب .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٣٠ .

(٥) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ٣٢٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٤٥ .

(٦) البسوي ، المعرفة والتاريخ ، جـ ٦ ، ص ٤٢٤ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢١٢ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٣ ، ص ٢٦٥ .

(٨) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧ .

(٩) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٤٠٤ ، الأربلي ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(١٠) الفاسي ، العقد الثمين ، جـ ٥ ، ص ٢٣٧ . (١١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ص ٢٠٩ .

المعدودين[١] ، وغير هؤلاء كثيرون من الموالي الذين برزوا في العلوم الدينية حتى كانت مجالسهم مجالس العلم والأدب والفقه [٢] . ويدلنا على اتجاه الموالي في نجد والحجاز الى العلم ما رواه صاحب العقد من أن الفقه في جميع المدن الهامة في الأمصار الاسلامية صار الى الموالي[٣] . ويروي الأربلي أن الفقه في الربع الأخير من القرن الأول الهجري في نجد والحجاز صار الى الموالي سوى المدينة التي كان فيها سعيد بن المسيب ، فكان فقيه أهل مكة عطاء بن أبي رباح وفقيه أهل اليمامة يحيى بن أبي كثير[٤] . كما اشتغل الموالي بالطب والجراحة كبدراقس المولى الرومي الذي أجرى عملية جراحية ناجحة لسكينة بنت الحسين بن علي[٥] .

واستفادت الدولة الأموية من جهود الموالي في إدارة بعض الأعمال المتعلقة بشؤون الدولة ، وخاصة الأمور المالية[٦] ، فتذكر المصادر أن عبد الرحمن بن هرمز كان على ديوان المدينة في عهد يزيد بن عبد الملك[٧] كما وليه في عهد هشام بن عبد الملك ابن أبي عطاء[٨] . ومن الوظائف التي شغلها الموالي وظيفة العامل على السوق ، فيذكر ابن سعد أن سليمان بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث ، كان عاملا على سوق المدينة في عهد الوليد بن عبد الملك[٩] . كما استفادت الدولة من جهود الموالي ، فكانت تسند اليهم

---

(١) ابن سعد ، نفس المصدر ، ص ٢٠٩ .

(٢) لمزيد من المعلومات عن الموالي انظر : ابن سعد ، كتاب الطبقات ، جـ٥ ، ص ٢٠٨ - ٢٢٩ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ٣ ، ص ٤١٥ .

(٤) الاربلي ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٦ ، ص ١٦٠ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٨ ، ص ٣٤٨ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٦ ، ص ٤٣٥ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ١٩ ، لوحة١١٣ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ٣ ، ص ١٠٤٦ . وانظر : Belyaev, Arabs, Islam and the Arab Caliphate, p. 180.

(٧) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ( طبعة بيروت ) ، ص ١٩٨ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ٨ ، ص ٣٤٨ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ، ص ١٣ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ١٩ ، لوحة ١١٣ .

(٨) السمهودي ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٤٦ .

(٩) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٥ ، ص ١٣٠ .

بعض الأعمال كما حدث ذلك في المدينة المنورة سنة ٨٨هـ / ٧٠٧م ، عندما كلف عمر بن عبد العزيز صالح بن كيسان مولى معيقيب[١] للاشراف على هدم مسجد رسول الله ﷺ وتوسعته[٢] .

وقبل أن نختم كلامنا عن الموالي في العصر الأموي نود أن نناقش ما ذكر عن احتقار العرب للموالي ومعاملتهم معاملة ليست كريمة . لقد وردت بعض الروايات التي صورت العرب يسيئون معاملة الموالي في عصر بني أمية إساءة بالغة[٣] . الا أن هذه الروايات لا تخلو من مبالغة ظاهرة ، فنحن نعلم أنه عاش في الحجاز ونجد في العصر الأموي عدد من الصحابة والتابعين الذين كانوا ملتزمين بتعاليم الاسلام ، وكانوا ينظرون الى المسلمين جميعاً على أنهم إخوة وأمة واحدة من دون الناس لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى . ثم إن أغلب الروايات التي وردت كانت تتصل بالحياة القبلية ، فقد كان البدو لا يحترمون الحرف اليدوية أو المهن التي تربط الإنسان بالاقامة الدائمة ، والتي غالباً ما يزاولها الموالي ، وكانوا يعتزون بالفروسية وبفن القتال ، لذلك كانت نظرة هؤلاء الى الموالي وأصحاب الحرف نظرة لا تتسم بالإحترام[٤] . أما الكتاب والتجار ورجال العلم من الموالي فكانت منزلتهم

---

(١) خليفة بن خياط ، كتاب الطبقات ، ص ٣٦٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٣٥ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ ، ص ٥٢٢ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٣ ص ٤١٢ وما بعدها . وقد زعم المستشرق الروسي بيليف أن الموالي كانت لهم مساجد خاصة منفصلة عن مساجد العرب الا أنه لم يؤيد كلامه بشاهد أو نص ، ولم أعثر في المصادر على نص يوافق هذا الزعم مما يدل على أن مرده التعصب الشديد ، انظر :

Belyaev, op. cit., p. 180.

(٤) عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص ٤٢ . ويجب أن نتذكر ان بعض علماء الشعوبية اختلقوا قصصا تميل الى الحط من شأن العرب ، يقول أحمد أمين : « ولم يقتصر بعض علماء الشعوبية على وضع كتب المثالب ، بل يظهر أنهم وضعوا في الأدب قصصا كثيرة تؤيد جانبهم ، وقد اختلقوها اختلاقا » . انظر : ضحى الاسلام ، ص ٧٠ .

كبيرة ، بدليل توليهم الوظائف الهامة في الدولة[1] ، بل إن منزلتهم كانت رفيعة حتى في الأوساط القبلية ، فيروي الجهشياري أن المعافى بن نعيم قال : « وقفت أنا ومعبد بن طوق على مجلس لبني العنبر ، أنا على ناقة وهو على حمار ، فقاموا الينا ، فبدأوا بي ، فسلموا عليّ ، ثم انكفئوا على معبد ، فقبض يده عنهم ، وقال : لا ، ولا كرامة ! بدأتم بالصغير من قبل الكبير ، وبالمولى على العربي ، فاسكتوا : فانبرى ( رجل ) منهم له ، فقال : بدأنا بالكاتب قبل الأميّ ، وبالمهاجر قبل الأعرابي ، وبراكب الراحلة قبل راكب الحمار »[2] .

لقد كان بعض العرب لا ينظرون بعين الرضا والتقدير الى تزويج بناتهم من الموالي ، على الرغم من أنهم كانوا يتزوجون منهم[3] ، يروي صاحب الأغاني أن أحد الموالي في بلدة الروحاء بالحجاز ، تزوج بعربية من بني سليم ، فلما علم والي المدينة ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي ، فرق بين المولى وزوجته وضربه مائتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه[4] .

بيد أن بعض العرب كانوا لا يبالون بتزويج بناتهم من الموالي ، يروي المبرد أن ابراهيم بن النعمان بن بشير الأنصاري زوج ابنته من يحيى بن أبي حفصة مولى عثمان بن عفان على عشرين ألف درهم ، فلما عابه الناس قال :

ما ترك عشرون ألفاً لقائل مقالا فلا تخف ملامة لائم
وإن أكُ قد زوجت مولى فقد مضت به سنة قبلي وحب الدراهم[5] .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٣٠ ، جـ ٨ ، ص ٣٤٨ ، الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ١٣ ، السمهودي ، المصدر السابق ،ص ١٠٤٦ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، لوحة ١١٣ .

(٢) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٢٨ .

(٣) الدينوري ، عيون الأخبار ، ج ١٠ ، ص ٨ ، ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٥٩ ، ويروي ابن سعد رواية تبين أن الموالي أيضا كانوا لا يرغبون في تزويج العرب ، فيذكر أن رجلا من العرب خطب « ابنة عطاء بن يسار فقال له عطاء ما ننكر نسبك ولا موضعك ولكنا نزوج مثلنا وتزوج أنت في عشيرتك» انظر : الطبقات ، ج ٥ ، ص ١٢٩ .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١٦ ، ص ١٠٦ .

(٥) المبرد ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٧٣ .

ويروي ابن سعد أن علي بن الحسين زوج ابنته من مولاه وأعتق جارية له فتزوجها فلما علم عبد الملك بن مروان أنبه على ذلك ، فرد عليه علي بن الحسين : « قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة[1] قد أعتق رسول الله ﷺ صفية بنت حُيَيّ وتزوجها وأعتق زيد بن حارثة وزوجه ابنة عمته زينب بنت جحش »[2] .

ومهما يكن من أمر فقد لعب الموالي دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعية في الحجاز ونجد بما نقلوه من عادات وأشاعوه من أخلاق ، كما شاركوا في الحياة الاقتصادية والعلمية واستفادوا من سادتهم وشاركوهم أعمالهم في مختلف المجالات .

## ثالثاً ـ الرقيق :

أما العنصر الثالث من عناصر المجتمع في الحجاز ونجد ، والذي كان له أثر في الناحية الاقتصادية والاجتماعية فهو الرقيق . لقد وجد الرقيق في الحجاز منذ العصر الجاهلي ، فكانت قريش تتجر بالرقيق مثل اتجارها بالسلع الأخرى[3] . وفي العصر الاسلامي تدفق الرقيق على الحجاز خلال الفتوحات الاسلامية عندما كانت الحجاز منطلق الجيوش الاسلامية ومركز الفتوحات ، فيذكر البلاذري أن سبي قيسارية بلغ أربعة آلاف شخص ، بعث بهم معاوية ابن أبي سفيان الى عمر بن الخطاب في المدينة فاستخدم بعضهم في الأعمال التي تحتاجها الدولة ، وقسم الباقي على يتامى الأنصار[4] ، كما أصاب المسلمون في سنة ١٦هـ/ ٦٣٧م اثني عشر الف شخص[5] ، وعندما

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأحزاب ، وهي: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ آية ٢١ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٥٩ .

(٣) أبو عبيد ، الأموال ، ص ١٧٨ ، أحمد الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، ص ٢٢٨ .

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ( طبعة القاهرة ) ، ص ١٦٨ ، Akel , Studies in the Social History of the Umayyad Period as revealed in the kitab Al - Aghani , p . 69 .

(٥) الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢٤٥ .

عزل سعيد بن عثمان بن عفان عن خراسان قدم المدينة بمال وسلاح وثلاثين عبداً من السغد[١] . ولا يستبعد أن سبياً كثيرا قد دخل من المدن الرومية والفارسية التي تم فتحها من قبل المسلمين ، إلا أن المصادر لا توضح ذلك .

لقد كان الأسرى في الحروب يعتبرون غنيمة ، تأخذ الدولة الخمس منهم ، وكان يسمى رقيق الخمس[٢]. وتوزع الأربعة أخماس الأخرى على المقاتلين[٣] . الا أن كثرة الرقيق في الحجاز لا تعود فقط الى ما ناله المحاربون في جبهات القتال ، بل إن بعض الخلفاء الأمويين اعتادوا إعطاء أهل الحجاز الرقيق ، كما فعل معاوية بن أبي سفيان عندما أهدى عبدالله بن الزبير مالاً في الحجاز مع رقيقه الذي يعمل فيه من السودان والحمران[٤] . وتذكر المصادر أن عبد الملك بن مروان أعطى الشاعر جريراً الخطفي ثمانية أعبد لرعي إبله[٥] .

وقد اعتاد بعض الخلفاء الأمويين زيارة الحجاز وتقسيم الأموال والرقيق كما فعل الوليد بن عبد الملك عندما حج سنة ٩١ هـ/ ٧١٠م وقسم في المدينة رقيقاً كثيرا بين الناس[٦] . ويروي الأصفهاني أن الخليفة سليمان بن عبد الملك أمر لجعفر بن الزبير برقيق من البيضان والسودان[٧] . أما في منطقة نجد فلقد جعل معاوية بن أبي سفيان في بلدة الخضارم أربعة آلاف من الرقيق وأسرهم[٨] ، ويبدو أن بعض السكان كان يستخدم الرقيق للخدمة في نجد ،

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٣٥ .

(٢) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٥٦ .

(٣) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٤٠٨ .

(٤) البياسي ، الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الأسلام ، جـ ١ ، ورقة ٨٤ب ـ ٨٥أ .

(٥) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، جـ ١ ، ص ٣٩١ ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، جـ ١ ، ص ٤٦٨ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٦٦ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، لوحة ٩٠ .

(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٥ ، ص ٥ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٣٥٢ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، لوحة ١٤ .

بدليل انتشار تجارة الرقيق فيها[١] ، ويقول ابن الفقيه لا تبلغ مولدة مئة ألف درهم الا من رقيق اليمامة في نجد[٢] . ويستفاد من شعر الشاعر جرير ، أن الرقيق كان كثيراً في إقليم اليمامة ، فعندما هجا بني حنيفة قال :

صارت حنيفة أثلاثاً فثلثهم عبيداً وثلث من مواليها[٣] .

ومن العوامل التي أدت الى كثرة الرقيق في الحجاز ونجد تجارة الرقيق فلقد راجت هذه التجارة في العصر الأموي ، وساعد على ازدهارها تطور المجتمع وارتفاع مستوى المعيشة ، ووفرة الأموال لدى السكان ، وحاجتهم الى الرقيق للخدمة في البيوت ، أو في النواحي الاقتصادية المختلفة ، لذلك توجه التجار بالرقيق نحو الحجاز لبيعه فيها[٤] . كما كان بعض الناس يستأجرون نخاسين لبيع رقيقهم في البلدان ، مقابل أجرة معينة[٥] ، ولا ريب أن أسعار الرقيق كانت تختلف باختلاف ألوانهم ، وأجناسهم وثقافتهم ومهارتهم الفنية[٦] .

لذلك كثر الرقيق عند الأشراف وأبناء الصحابة ، فكانوا يشاركونهم حياتهم في السراء والضراء ، كما كانوا يقومون على خدمتهم ، ويدلنا على كثرة الرقيق في الحجاز ما ذكرته المصادر من أن الزبير بن العوام كان له ألف مملوك[٧] ، وكان لابنه عبد الله مئة غلام من جنسيات مختلفة[٨] ، كما كان له

---

(١) المبرد ، الكامل ، جـ ١ ، ص ١٥٥ ، ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، جـ ١ ، ص ٣٩١ .
(٢) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ .
(٣) المبرد ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٢٥ .
(٤) مالك ، المدونة ، جـ ١٠ ، ص ٢٧١ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٣٥٣ .
(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ، وعن أسعار الرقيق انظر : التجارة الداخلية في الفصل الثاني من الباب الأول .
(٧) اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ١٣ ، المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ ، الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢٠٣ .
(٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٣٣٩ .

في مكة دار تسمى دار الزنج لأنه كان له فيها رقيق من الزنج[١] ، ويروي الطبري أن عمرو بن سعيد الأشدق كان له ألف عبد[٢] ، وكان لعمر بن أبي ربيعة مجموعة من الرقيق يزاولون مختلف الأعمال ، وكان يزاول الحياكة منهم سبعون عبداً[٣] . وكان لدكين الراجز في الفَلْج بنجد عدد من العبيد[٤] وكان لثور بن الصمة القشيري ، رقيق يعملون في مزارعه في الفَلَج ويرعون له إبله[٥] .

لقد ذكرنا أن الرق كان موجوداً عند العرب قبل الاسلام ، فكانوا يتاجرون به في جاهليتهم كالسلع الأخرى[٦] ، ومع أن الاسلام أباح الرق الا أنه أدخل عليه بعض التعديلات التي تحول دون انتشاره ، فلقد أوجب الاسلام حسن معاملة الرقيق فقال رسول الله ( ﷺ ) في حجة الوداع : « أرقاءكم أرقاءكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون فإن جاؤ وا بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم »[٧] ، كما شجع إعتاق العبيد بأن جعله واجباً دينياً في عدة حالات ككفارة اليمين الكاذبة[٨] أو النذر ، أو كفارة القتل الخطأ[٩] . ومنذ عهد عمر بن الخطاب منع استرقاق العرب[١٠]، فليس أمام العربي الا الإسلام أو السيف ، كما أمر بأولاد العرب

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٦٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ١٤٤ .

(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٧٨ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٩ ، ص ٢٦١ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٨ ، ص ١٧٦ .

(٦) أبو عبيد ، الأموال ، ص ١٧٨ .

(٧) ابن حنبل ، المسند ، جـ ٤ ، ص ٣٦ ، طبعة مصورة عن الطبعة الميمنية القاهرة ١٣١٣هـ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٢ ، قسم ١ ، ص ١٣٣ ، جـ ٣ ، قسم ١ ، ص ٢٧٤ .

(٨) قال تعالى ﴿لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة . .﴾ الآية سورة المائدة ، آية : ٨٩ . ويروي الامام مالك أن عبد الله بن عمر كان يعتق المرار إذا أكد اليمين ، المدونة ، جـ ٣ ، ص ١١٩ .

(٩) قال تعالى ﴿ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا﴾ سورة النساء ، آية : ٩٢ .

(١٠) أبو عبيد ، الأموال ، ص ١٧٨ ، ١٨١ .

الذين سبق أن بيعوا في الجاهلية ، أن يقوّموا على آبائهم ولا يسترقوا[١] .

لقد شارك الرقيق في جوانب الحياة المختلفة للمجتمع الاسلامي في نجد والحجاز ، ففي مجال الحياة السياسية شارك العبيد أسيادهم من أهل المدينة حرب الأمويين ، فعندما خرج الحسين بن عليّ على يزيد بن معاوية ورفض مبايعته ، اشترك معه الرقيق في قتال الجيش الأموي[٢] . وفي موقعة الحرة سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢ م ، اشترك العبيد بجانب أسيادهم من أهل المدينة ضد جيش مسلم بن عقبة المري ، ولاقى بعضهم حتفه[٣] . كما اشترك رقيق ابن الزبير معه ضد الأمويين وأهل الشام[٤] ،وعندما استولى الخوارج على المدينة سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٦م اشترك العبيد في قتالهم وإخراجهم عن المدينة[٥] .

أما في مجال الحياة الاقتصادية ، فلقد شارك الرقيق في جوانبها المختلفة ، فاشتغل بعضهم بالزراعة واستصلاح الأراضي في المزارع التي كان يملكها أسيادهم ، فقد استخدم سعيد بن عثمان بن عفان رقيقاً للعمل في مزارعه في المدينة المنورة[٦] ، كما جعل معاوية بن أبي سفيان أربعة آلاف من الرقيق وأسرهم في بلدة الخضارم في إقليم اليمامة بنجد لاستصلاحها واستثمارها[٧] . وزاول الرقيق رعي الإبل والماشية لأسيادهم[٨] ، ويروي الزبير بن بكار أن بني عبد الله بن الزبير كانوا عند جدهم منظور بن زبان

---

(١) نفس المصدر ، ص ١٧٨ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٥٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك جـ ٥ ، ص ٤٥٤ .

(٣) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ١ ، ص ١٣٢ ، ( رواية المدائني والواقدي ) .

(٤) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ١٩ ، ٢١ ،
البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ٤٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٣٤٣ .

(٥) البلاذري ، المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٣٨٠ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ٢٣ ، ص ٢٤٦ .

(٦) ابن حبيب ، أسماء المغتالين من الأشراف ، ص ١٦٧ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ١١٩ .

(٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣٥٢ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، لوحة ١٤ . أما عن دور الرقيق في الزراعة ، فانظر :الفصل الأول من الباب الأول .

(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٢٦٥ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ .

بالبادية « يرعون عليه الإبل كما يفعل عبيده »[١] . وكان معبد مملوكاً لآل قطن مولى بني مخزوم يرعى لهم الغنم بظهر الحرة في المدينة[٢] ، وكان الشاعر نصيب عبداً حبشياً يرعى إبل مواليه في مستهل حياته[٣] .

وشارك الرقيق في الصناعة ، وزاولوا هذه المهنة ؛ يروي الأصفهاني أنه كان لعمر بن أبي ربيعة سبعون عبداً يزاولون حياكة المنسوجات[٤] ، كما كان لرجل من بني مخزوم في مكة غلام حائك ينسج بعض المنسوجات في بيته[٥] وكان بعض الرقيق يجيد الخرازة[٦] ، ويستفاد من رواية الامام مالك أن الولائد في العصر الأموي ، كن يزاولن صناعة النسيج ، وكانت منسوجاتهن من الريط التي تعرض في الأسواق للبيع[٧] . كما اشتغل بعض العبيد بالصياغة وخياطة الألبسة[٨] .

وشارك الرقيق في التجارة التي كانت نشيطة في العصر الأموي ، فكان السيد يعطي عبده المال ويفتح له المحل التجاري لمزاولة البيع فيه ؛ فيروي التنوخي أنه كان لكثير عزة حانوت في المدينة يبيع فيه الخيط والعطر والثياب والقطران ، وكان يتولى البيع فيه غلام له[٩] . كما كان العبد يساعد سادته في التجارة ،فيقول معبد المغني عن نفسه « كنت غلاماً مملوكاً لآل قطن مولى بني مخزوم ، وكنت أتلقى الغنم بظهر الحرة، وكانوا تجاراً أعالج لهم التجارة في ذلك »[١٠]. ويروي مصعب الزبيري أن عمرو بن عبد الله بن صفوان كان له

---

(١) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٨٠ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٣٩ ، ٤١ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٣٣١ ، ٣٣٣ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٧٨ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ١١٤ .
(٦) البغدادي ، خزانة الأدب ، جـ ١ ، ص ١٠٦ .
(٧) مالك ، المدونة ، جـ ٩ ، ص ٢٤ .
(٨) نفس المصدر ، جـ ١٥ ، ص ١٥٣ .
(٩) التنوخي ، المستجاد من فعلات الأجواد ، ص ١٢٤ .
(١٠) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٤١ .

رقيق يزاولون التجارة ، وكانوا أكبر عون له في أعماله[١] . ويروي الذهبي عن معمر بن راشد الأزدي أنه كان مملوكاً لقوم من طاحية فبعثوه ببز من بز العراق ليبيعه في سوق المدينة[٢] . وكان لبعض أهل المدينة إبل تعمل في السوق بالأجرة ، يتولى العمل عليها الرقيق كإبل عياض بن عبد الله السلامي ومالك ابن كلثوم المرادي[٣] .

ولم تقتصر أعمال الرقيق على مزاولة التجارة مع أسيادهم ، بل كان بإمكانهم بعد الحصول على إذن من أسيادهم مزاولة التجارة أو الصناعة بمفردهم[٤] . وكان بمقدور العبد المأذون أن يمارس أي تجارة يرغب ، شأنه في ذلك شأن الأحرار تماماً سوى أنه كان باستطاعة السيد سحب إذنه لعبده من ممارسة التجارة فيعود الى حاله الأول[٥] . وقد ذكرت المصادر أسماء بعض الأسياد الذين كان لهم عبيد مأذونون يعملون في التجارة أو الصناعة ، فيروي الرشيد بن الزبير أنه كان للزبير ألف مملوك صانع ، يؤدون الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم واحد ، فكان يتصدق بها[٦] . ويذكر السرخسي أن العباس كان له عشرون عبداً مأذونون رأسمال كل منهم عشرة آلاف درهم[٧] . وكان لعبد الله بن عمر عبيد مأذونون يعملون في شتى المهن[٨] ، ويروي الامام مالك أن العبيد المأذونين كانوا يزاولون الصناعة كالصياغة والخياطة[٩] .

واستفادت الدولة من جهود الرقيق ، فيروي الأزرقي أن معاوية بن أبي

---

(١) مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص ٣٩١ .
(٢) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، جـ ١ ، ص ١٧١ .
(٣) مالك ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٤٢٥ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١٥ ، ص ١٥٣ .
(٥) العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص ٢٧٢ .
(٦) الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢٠٣ .
(٧) السرخسي ، المبسوط ، جـ ٢٥ ، ص ٣ .
(٨) مالك ، المدونة ، جـ ٦ ، ص ٢٤٧ .
(٩) نفس المصدر ، جـ ١٥ ، ص ١٥٣ .

سفيان أخدم الكعبة عبيداً بعث بهم اليها ، فكانوا يخدمونها ، ثم اتبع ذلك الولاة فيما بعد[١] . وأثناء هدم ابن الزبير للكعبة ليبنيها من جديد اشترك الرقيق في مساعدته لهدمها[٢] . ويبدو أنهم كانوا يعملون حرساً وجنوداً في جيش الولاية في الحجاز[٣] .

أما عن دور الرقيق في الحياة الاجتماعية ، فلقد سبق أن ذكرنا أن وفرة الأموال لدى السكان ، وارتفاع مستوى المعيشة ، أدى الى الطلب المستمر على الرقيق لحاجة الأثرياء لهم للخدمة في البيوت[٤] ، ولا ريب أن هؤلاء الرقيق الذين كانوا أصلا من الروم أو الفرس ، كانوا يعرفون ألواناً من الأطعمة والأشربة والألبسة لا يألفها سكان الحجاز[٥] ، يروي ابن خلدون أن العرب لما فتحوا بلاد الفرس والروم ، إستخدموا بناتهم وأبنائهم في مهنهم وحاجات منازلهم ، واختاروا منهم المهرة في ذلك ، فتفننوا مع إتساع العيش ، « واستجادوا المطاعم والمشارب والملابس والمباني والأسلحة والفرش وسائر الماعون . . . وكذلك أحوالهم في أيام المباهاة والولائم ، وليالي الأعراس »[٦] . كما نبغ بعض الجواري في الغناء ، فكن يقمن بالغناء في بيوت أسيادهن[٧] ، وشارك العبيد سادتهم في هواياتهم ، فيروي الأصفهاني أن الشاعر العرجي كان صاحب صيد ، وكان إذا خرج الى الصيد إصطحب عبيده معه[٨] .

لقد استكثر أهل الحجاز من الرقيق ، فاذا كان السيد تاجراً فرقيقه أعوانه

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ١٧٦ ، وانظر: اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ .
(٢) الأزرقي ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .
(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٣٣٧ ، وانظر : جـ ١١ ، ص ١٩٣ .
(٤) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ١٩ .
(٥) أنظر: الأطعمة والأشربة والألبسة في الفصل الثاني من الباب الثاني .
(٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٥٤ .
(٧) القيرواني ، جمع الجواهر ، ص ٢١ .
(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٢٣٠ .

في التجارة ، واذا كان عالماً كان رقيقه من تلاميذه في العلم ، ومتى كان عندهم حسن إستعداد نبغوا فيه بحكم مخالطتهم لسادتهم في السر والعلن وملازمتهم لهم في الإقامة والسفر ، وخير دليل على ذلك نافع مولى عبد الله ابن عمر[1] ، والذي أعتقه فيما بعد ، وعكرمة مولي عبد الله بن عباس ، الذي مات عبد الله بن عباس وهو على الرق فأعتقه علي بن عبد الله بن عباس[2] .

لقد قامت الإماء والجواري بالخدمة في بيوت أسيادهن ، الا أن بعضهن قد أصبحن محظيات عند أسيادهن ، وتمتعن بنفوذ كبير عندهم ، كحبابة التي اشتراها يزيد بن عبد الملك من الحجاز فحظيت عنده[3] ، وإذا جاءت الأمة بولد من سيدها ، أصبحت أم ولد ولا يجوز بيعها[4] ، كما أن أولاد الإماء كانوا يصبحون أحراراً ، الا أن مركزهم الاجتماعي كان أقل من مركز أولاد الحرائر ، ومع هذا شاع اتخاذ السراري ورغب الناس فيهن ، وخاصة عندما اشتهر عدد من أبنائهن في العلم والفقه والورع ، يروي الدينوري نقلا عن الأصمعي قوله : كان أهل المدينة يكرهون إتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر ، ففاقوا أهل المدينة فقهاً وورعاً ، فرغب الناس في إتخاذ السراري[5] ، وأقبلوا على الإماء يروي ابن سعد أن المنكدر بن عبد الله اشترى جارية وتزوجها ، وأنجبت منه الأولاد[6] . كما تزوج مصعب بن الزبير من جارية ، وعندما قتل أصبحت حرة

---

(١) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٦١ ، أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ١٥٥ .

(٢) ياقوت ، معجم الأدباء ، جـ ١٢ ، ص ١٨٤ وانظر : ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢١٢ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٥٥ ، ابن الجوزي ، صفة الصفورة ، جـ ٢ ، ص ٥٨ ، الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ ٥ ، ص ٤٥٥ ، الطبري ، المنتخب من كتاب ذيل المذيل ، ص ١٢١ .

(٣) اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ٢٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، ص ٢٣ ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٣٢ .

(٤) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ٣٦٧ .

(٥) الدينوري ، عيون الأخبار ، جـ ١٠ ، ص ٨ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٨ .

لا سبيل لأحد عليها[1] ، لأنها أنجبت منه الأولاد . وكانت أم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة جارية من الحبشة[2] ، كما كانت أم عبد الله بن قيس بن عبد الله بن الزبير جارية من الحبشة[3] أيضا . ولا ريب أن هذه الزيجات التي تمت بين العرب وغيرهم من الأجناس الأخرى قد أثرت في امتزاج الدماء من ناحية ، وأثرت على العادات والأخلاق التي كانت موجودة من ناحية أخرى .

وعلى الرغم من الخدمات الاجتماعية والاقتصادية التي كان يقدمها الرقيق للمجتمع الا أن المجتمع العربي كان يستصغر شأنهم ، فكان من الواجب عليهم أن يحملوا أختاماً في أعناقهم تشير الى رقهم ، يقول الإمام مالك إن « الإماء والعبيد يطبع في أعناقهم . . . ولم يزل ذلك من أمر الناس القديم »[4] . كما كان بعض العرب ينظر اليهم نظرة فيها الكثير من الإزدراء والإحتقار بينما كان البعض الآخر يقدرهم ويحترمهم ، فيروي ابن سعد أن علي ابن الحسين كان يجالس أسلم عبد بني عدي فقال له رجل من قريش : « تدع قريشاً وتجالس عبد بني عدي ، فقال عليّ : إنما يجلس الرجل حيث ينتفع »[5] . وفي رواية أخرى أن علي بن الحسين كان يتخطى حلق قومه حتى يأتي مجلس زيد بن أسلم فيجلس عنده فقال له نافع بن جبير : « غفر الله لك ! أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب الى هذا العبد فتجلس معه ، يعني زيد بن أسلم ، فقال : إنه ينبغي للعلم أن يتبع حيث ما كان »[6] .

لقد كان بإمكان الرقيق أن يصبحوا أحرارا ، وذلك بموجب إتفاقية بينهم وبين أسيادهم على أن يدفعوا لهم مبلغاً من المال ، يحصل العبيد بعده على

---

(١) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ٣٦٧ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٦٦ .
(٣) ابن حبيب ، المحبر ، ص ٣٠٧ .
(٤) مالك ، المدونة ، جـ ١٢ ، ص ١٤٧ .
(٥) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٦٠ .
(٦) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ١٣٨ .

حريتهم ، فيكونوا مكاتبين[1] ، غير أنه كان للأسياد الحق في تقرير ما يشاءون من الأموال ، يروي الامام مالك أن عبد الله بن عمر كاتب غلاماً له بخمسة وثلاثين الف درهم ثم وضع عنه من آخر كتابته خمسة آلاف درهم[2] . وكوتب أبو سعيد المقبري وأفلح مولى أبي أيوب الأنصاري كل منهما على أربعين الف درهم[3] . ويبدو أن هذه المبالغ كانت باهظة يعجز العبد عن سدادها ، الا أن بعض الأسياد كانوا يتنازلون عن شروط المكاتبة ، يروي الإمام مالك أن عبد الله بن عمر كاتب غلاماً يقال له شَرْفَى على أربعين الف درهم فكان يعمل حتى سدد خمسة عشر الف درهم ، فجاء الى عبد الله بن عمر فقال له قد عجزت عن تسديد المبلغ ، فأعتقه عبد الله وأعتق إبنيه وزوجتيه[4] .

وكان الرقيق يعتق تقرباً الى الله ، فلقد حث الاسلام على فك الرقاب ، واعتبر ذلك من أفضل الأعمال التي تقرب المرء الى الله ؛ قال تعالى : ﴿فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة فك رقبة﴾[5] ، لذلك سارع بعض الأتقياء الى إعتاق الرقيق تقرباً الى الله سبحانه ، فيروي ابن سعد أن عبد الله بن عمر كان إذا رأى من رقيقه عبداً يتمسك بالدين ويحرص عليه أعتقه[6] . ويروي ابن كثير أن عبد الله بن عمر لم يمت حتى أعتق الف رقبة[7] . ويذكر ابن الجوزي أن علي بن الحسين أعتق غلامه مطرفا تقرباً الى الله ، رغم أن عبد الله بن جعفر قد دفع له فيه الف دينار[8] . كما أعتق دهورا مولى سعد بن

---

(١) يقول ابن الأثير : الكتابة أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه اليه منجما فاذا أداه صار حرا ، وسميت كتابة لمصدر كتب كأنه يكتب على نفسه لمولاه ثمنه ، ويكتب مولاه له عليه العتق . انظر : النهاية في غريب الحديث ، جـ ٤ ، ص ٧ . وانظر أيضا : ابن هبيرة ، الافصاح ، جـ ٢ ، ص ٤٩٧ .

(٢) مالك ، المدونة ، جـ ٦ ، ص ٢٣٠ .

(٣) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٦١ - ٦٢ .

(٤) مالك ، المدونة ، جـ ٦ ، ص ٢٤٧ .

(٥) سورة البلد ، آية ١١ - ١٣ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ قسم ١ ، ص ١٢٣ .

(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٥ .

(٨) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ٥٤ .

أبي بكر ثلث رقيقه وهم قريب من العشرين[1] . وتذكر المصادر أن عدداً من الأسياد أعتقوا كثيراً من أرقائهم[2] ، وعندما أسن عمر بن أبي ربيعة أقسم الا يقول بيتاً من الشعر الا أعتق رقبة ، وقد نظم مرة تسعة أبيات من الشعر فأعتق تسعة من العبيد[3] .

(١) مالك ، المدونة ، جـ ١٥ ، ص ٣ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ قسم ١ ، ص ١٢٣ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٦١ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٤٩ ، ياقوت، معجم الأدباء ، جـ ١٢ ، ص ١٨٤ .

(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٤٦ .

❋ ❋

## الفصل الثاني

# الحياة العامة في نجد والحجاز

- المساكن والقصور
- الألبسة
- الأطعمة
- الأشربة
- الزينة
- الأعياد
- الحمامات
- وسائل الانتقال
- عادات الزواج والطلاق
- عادات الوفيات والجنائز

❋ ❋

# الفصل الثاني

## الحياة العامة في نجد والحجاز

لقد ذكرنا أن الأموال تدفقت على الحجاز من العطاء والأعطيات التي كان يغدقها خلفاء بني أمية ، ومن أرباح رؤوس الأموال التي كان يديرها الحجازيون ، علاوة على العدد الكبير من الحجاج الذين كانوا يؤمون البلاد المقدسة سنوياً ، لذلك ارتفع مستوى المعيشة ، وازدادت القدرة الشرائية لدى السكان الذين أصبح بعضهم من الأغنياء[1] ، فتوسعوا في الزراعة والتجارة ، وازداد عدد العاملين في المجال الاقتصادي ، مما أدى الى قلة البطالة بسبب توفر العمل في الزراعة أو التجارة أو المهن المختلفة الأخرى .

وترتب على نمو الثروات لدى أهل الحجاز ، نشاط حركة البناء والعمران ، وتغير الحياة الاجتماعية التي كان يعيشها السكان في صدر الاسلام وتمثل هذا التغير في التفنن في اتخاذ القصور ، والتنعم في المأكل والملبس ، واستخدام جميع أدوات الزينة مما سنفصله فيما بعد .

### المساكن والقصور :

لقد كانت المساكن في مستهل الاسلام تبنى من الطين والجريد ، فلما

---

(١) اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ١٣ ـ ١٧ ، المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ، الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٣ قسم ١ ، ص ٧٧ .

اتسعت الفتوح ، وأقبلت الأموال على المسلمين بدأوا في تشييد المساكن والقصور وتفننوا في بنائها ، واستفادوا من خبرة البنائين الفرس والروم لبنائها وزخرفتها(١) . وتوسعت حركة البناء والعمران حتى وصلت في عهد عثمان بن عفان الى جبل سلع(٢) ، وبنيت هذه القصور من الآجر والجص واتخذت أبوابها من الساج(٣) ، يروي المسعودي أن سعداً بن أبي وقاص ابتنى له داراً بالعقيق رفع سمكها ، ووسع فضاءها ، وجعل على أعلاها شرفات(٤)، وشيد طلحة بن عبيد الله داره بالمدينة وبناها بالآجر والجص والساج(٥) ، أما المقداد بن الأسود فابتنى داره بالجرف على أميال من المدينة باللبن ، ووضع على أعلاها شرفات ، وجعلها مجصصة الظاهر والباطن(٦) . كما شيد سعيد ابن العاص قصراً منيفاً في العرصة على بعد ثلاثة أميال من المدينة حوله الحدائق الغناء(٧) ، ولم تقتصر القصور المحاطة بالبساتين على سعيد بن العاص ، بل ابتنى أغلب أهل المدينة قصوراً ، كقصر عروة بن الزبير(٨) ، وقصر عاصم بن عمرو بن عثمان(٩) ، وقصر عنبسة بن سعيد بن العاص(١٠) ، وقصر عنبسة بن عثمان بن عفان(١١) ، وكان للحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بيت قوم بثمانية آلاف دينار(١٢).

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٩٧ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٢٨١ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٤ ، ص ٢٨٤ .

(٣) اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ١٣ ، ١٤ ، المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٣٣ ، اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ١٤ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٤ ، المسعودي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .

(٦) اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ١٤ ، المسعودي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٣ ، شوقي ضيف ، الشعر والغناء ، ص ٢٧ .

(٧) الزبيري ، نسب قريش ، ص ١٧٦ ، المسعودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص١٠٥٥ . ولا تزال آثار قصر سعيد بن العاص في عقيق المدينة الى اليوم، انظر : السباعي ، تاريخ مكة ، جـ ١ ، ص ١٠٩ .

(٨) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ١٠٤٤ ـ ١٠٤٥ .

(٩) نفس المصدر ، ص ١٠٤٨ ـ ١٠٤٩ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ١٥٠١ .

(١١) نفس المصدر ، ص ١٠٥٠ .

(١٢) ابن رستة ،الأعلاق النفيسة ، ص ٦٨ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ ، ص ٥١٤ . وقد عدد=

أما في مكة المكرمة فاتخذت الدور والقصور المبنية بالآجر والجص، فيروي الأزرقي أن سعداً القصير غلام معاوية بن أبي سفيان بنى داره بمكة بالحجارة المنقوشة ، فيها التماثيل مصورة في الحجارة[1] . وبنى معاوية بن أبي سفيان لنفسه بمكة دوراً يقال لها الرقط لاختلاف ألوانها ، وجلب لها البنائين من فرس العراق ، فبنوها بالجص الأبيض والآجر الأحمر حتى أصبحت رقطاً[2] .

وبازدياد إقبال الناس على الدور المتقنة البناء ، ارتفعت أسعارها[3] ويبدو أنهم بالغوا في العناية ببناء هذه الدور والقصور حتى أصبحت تنافس دور دمشق وقصورها ، يروي الاصفهاني أن معاوية بن أبي سفيان عندما حج وقف أمام دار عبد الله بن الحارث يتعجب من حسن بنائها[4] .

وفي عهد عبد الله بن الزبير نشطت حركة البناء والتعمير ، فأخذ يشيد القصور ، كما إتخذ دوراً عديدة غير التي ورثها من أبيه فكان له بقعيقعان ثلاثة قصور يقال لها دور الزبير « ولم يكن الزبير ملكها ، ولكن عبد الله ابتاعها من آل عفيف بن نبيه السهميين »[5] . وتوسعت حركة البناء والعمران في هذا العهد حتى وصلت أجياد وجبل قعيقعان فيروي الأزرقي أن عبد الله بن عباس قال لابن صفوان صاحب ابن الزبير : لقد قضى عمر بأن أسفل الوادي وأعلاه مناخ للحجاج ، أما أجياد وقعيقعان فهما مكان للمريحين والذاهبين ، واتخذتها وصاحبك دوراً وقصوراً[6] . وشيد ابان بن عثمان داراً في مكة ،

---

= السمهودي القصور التي شيدها أهل المدينة في المناطق المجاورة للمدينة ، وقد أنفقوا عليها مبالغ باهظة . انظر السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ٣ ، من ص١٠٤٣ ـ ١٠٥٤ .

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٥٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٤٩ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ٣ ، ص ٢٨١ .

(٣) عن أسعار هذه الدور انظر : الأسعار في الفصل الثاني من الباب الأول .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١ ، ص ٢١١ ، شوقي ضيف ، الشعر والغناء ، ص ١٧١ .

(٥) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٦٤ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٣٩٢ . وأجياد موضع من بطحاء مكة ، من منازل قريش البطاح ، انظر : البكري معجم ما استعجم ، جـ١ ، ص ١١٥ ، وقعيقعان جبل بمكة انظر : نفس المصدر ، ص ١٠٨٦ .

كان ينزلها إذا قدم للحج أو العمرة[١] . كما بنى عمر بن عبد العزيز للوليد بن عبد الملك داراً في مكة من ماله الخاص ، لكن الوليد بن عبد الملك مات قبل أن تنتهي ، فتصدق بها عمر بن عبد العزيز على الحجاج والمعتمرين[٢] . كما بنى هشام بن عبد الملك داراً في المدينة ، جلب لها الأبواب من البلقاء[٣] .

ولا تصف المصادر بالتفصيل هذه الدور من الداخل ، الا أن سقفها في الغالب كان من الخشب والجريد[٤] ، كما كانت أبوابها من الخشب ، وبناؤ ها من اللبن والطين[٥] ، أو من الجص والآجر فيروي الإمام مالك أن بناء البيوت من الجص والآجر كان معروفاً لدى الناس[٦] . ويروي الأزرقي أن أهل مكة كانوا يتخذون صفايح من الحجارة تكون شبه الرفوف لوضع متاعهم وحاجاتهم عليها ، وقل أن يخلو بيت من تلك الرفوف[٧] . كما كانت تفرش بالبسط والفرش ، التي كانت في الغالب من الصوف[٨] ، أو الشعر والأدم[٩] . ولقد عني الامام مالك بأثاث منزله فجعل فيه نمارق مصفوفة ومطروحة يمنة ويسرة في نواحي البيت يجلس عليها من يأتيه من قريش والأنصار ووجوه الناس[١٠] .

---

(١) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٥٨ .

(٢) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣ ، انظر أيضاً : الندوي ، المجتمع المكي ، ص ١٦٨ .

(٣) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ ، ص ٧٥٢ .

(٤) ابن شبة ، تاريخ المدينة ، لوحة ٨٧ ، عياض ، ترتيب المدارك ، جـ ١ ، ص ١١٩ ، السمهودي ، المصدر السابق ، ص ٧٥٣ .

(٥) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ٢٤٥ .

(٦) مالك ، المدونة ، جـ ١١ ، ص ٤١٣ .

(٧) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٢٣ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٨٩ ، ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، جـ ١ ، ص ١٨٢ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٤٣ .

(٩) مالك ، المدونة ، جـ ١ ، ص ٧٥ .

(١٠) عياض ، ترتيب المدارك ، جـ ١ ، ص ١١٤ ، أبو زهرة ، مالك ، ص ٤٨ .

أما في منطقة نجد فليست لدينا تفاصيل عن وصف المساكن والأبنية الا أنه يبدو أن حركة العمران وصناعة البناء قد تقدمت في مدن نجد ، فيروي الحربي أن جرير بن حازم الجهضمي الذي عاش في القرن الثاني الهجري زار النباج ، ووصف الأبنية فيها بأنها رائعة[١] .

## الألبسة :

وكما عرف أهل الحجاز تشييد الدور والقصور والتفنن في بنائها ، عرفوا التفنن في الملبس حتى أن مروان بن ابان بن عثمان طلع مرة « وعليه سبعة قمص ، كأنها درج ، بعضها أقصر من بعض ورداء عدني بثمن ألفي درهم »[٢] . لقد ترتب على ارتفاع مستوى المعيشة ، إهتمام السكان بالألبسة والتأنق في الهيئة ، فكانوا يلبسون الألبسة المستوردة من العراق ، وخراسان واليمن ومصر ، لأن ألبسة الزهد والتقشف التي كانت موجودة في العصر الراشدي أخذت في الإنحسار مع تدفق الأموال ، فصار الأغنياء يتطلعون الى حياة جديدة فيها ترف وبذخ ، فاقتنوا اللباس الفاخر المصنوع من أحسن أنواع الأنسجة وأغلاها ؛ فتذكر المصادر أن طاووس بن كيسان قال لفتية من قريش كانوا يطوفون حول الكعبة « إنكم تلبسون لبوساً ما كان آباؤكم يلبسونها وتمشون مشية ما يحسن الزفافون أن يمشوها »[٣] .

لقد كان لباس الرأس في هذا العصر العمامة ، وهي من الألبسة الخاصة بالرجال ، وكان لا يلبسها الا الأشراف ، لأن العمائم تيجان العرب[٤] . وتختلف العمائم باختلاف الأقمشة المصنوعة منها ، أو ألوانها ،

(١) الحربي ، المناسك ، ص ٦٣٠ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٩ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .
(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٩٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٤٣ .
(٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ١ ، ص ١٠٠ ، البغدادي ، خزانة الأدب ، جـ ٤ ، ص ٢٠٦ .

أو طرق لبسها وهي في الغالب تصنع من أقمشة القطن أو الخز[١] . أما ألوانها فقد تكون سوداء ، أو بيضاء ، أو دكناء أو حمراء ، وأكثر العمائم شيوعاً هي السوداء، فيروي ابن سعد أن سعيد بن المسيب كان يعتم بعمامة سوداء[٢] ، كما لبس العمامة السوداء كل من عبد الله بن عمر[٣] ، ومحمد بن الحنفية[٤] وابن عباس[٥] ، أما العمائم البيضاء فقد لبسها من أهل الحجاز أبو هريرة[٦] ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر[٧] ، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب[٨] ، وخارجة بن زيد بن ثابت[٩] ، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[١٠]، ويروي ابن سعد أن سعيد بن المسيب كان يلبس عمامة بيضاء لها علم أحمر[١١]. أما الدكناء فقد لبسها معاوية بن أبي سفيان في المدينة[١٢]. ويروي العصامي أن عمرو بن العاص كان يلبس عمامة حمراء[١٣].

وكانت العمامة أحياناً ترخى من الخلف كما كان يفعل ذلك ابن عباس[١٤] وعبد الله بن عمر بن الخطاب[١٥]، ومحمد بن الحنفية[١٦] ، وعامر

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٠ ، ص ١٥٢ ، ابن بدران ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، جـ ٦ ، ص ٥٤ .
(٢) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٠٢ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٤ قسم ١ ، ص ١٢٨ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ٨٤ .
(٥) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ٣٥ .
(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٥٨ .
(٧) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ١٤٣ .
(٨) نفس المصدر ، ص ١٤٦ .
(٩) نفس المصدر ، ص ١٩٤ .
(١٠) نفس المصدر ، ص ١٦١ .
(١١) نفس المصدر ، ص ١٠٢ .
(١٣) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، جـ ١ ، ص ١٥٩ .
(١٢) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، جـ ٣ ، ص ٥٦٠ .
(١٤) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ٣٥ .
(١٥) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ قسم ١ ، ص ١٢٨ .
(١٦) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ٨٤ .

ابن عبد الله بن الزبير[١] ، ومعاوية بن أبي سفيان[٢] . ويبدو أن العمامة كانت من اللباس الشائع لدى العرب من سكان الحجاز[٣] ، فيروي السمهودي أن أهل المدينة عندما ثاروا على يزيد بن معاوية ، اجتمعوا في المسجد النبوي فقام عبد الله بن أبي عمرو المخزومي وقال : قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي ، ونزعها عن رأسه ، ففعل الناس مثل ذلك ، حتى كثرت العمائم في المسجد[٤] . أما في منطقة نجد فيبدو أن العمامة أيضاً كانت مستعملة لدى العرب ، فيروي الاصفهاني أن العجاج بن رؤبة الذي عاش مع قبيلته بني سعد من تميم في شرقي نجد كان يلبس عمامة من خز[٥] .

لقد كان العرب يتزينون بالعمامة ، فيذكر الميداني أن سعيد بن العاص كان يتميز بين العرب بجمال عمامته[٦] ، وإضافة الى أنها من لبس الأشراف ، فقد كان للبسها فوائد أخرى ، فيذكر الجاحظ أن العرب كانوا يتزينون بالعمامة ويعتبرونها وقاء للرأس من كثير من الأذى[٧] ، وقد نقل الجاحظ وصف أبي الأسود الدؤلي للعمامة عندما قال « هي جنة في الحرب ومكنة من الحر ، ومدفأة من القر ، ووقار في الندى ، وواقية من الأحداث ، وزيادة في القامة ، وهي بعد عادة من عادات العرب »[٨] .

ومن لباس الرأس أيضاً القلنسوة ، وهي لباس يلاث على الرأس

---

(١) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ .

(٢) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، جـ ١ ، ص ١٥٩ .

(٣) انظر : مالك ، الموطأ ، ص ٤٤ ، ابن بكار ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨ ، ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ ٤ قسم ١ ، ص ١٢٨ . الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٥٨ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ٣٥٠ ، ابن بدران ، تهذيب تاريخ بن عساكر ، جـ ٦ ، ص ٥٤ .

(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ .

(٥) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٠ ، ص ١٥٢ .

(٦) الميداني ، مجمع الأمثال ، جـ ١ ، ص ١٨٨ ، دوزي ، المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب ، ص ٢٥١ .

(٧) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ ١ ، ص ١٠٠ .

(٨) نفس المصدر ، ص ١٠٠ ، وانظر : ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ ٣ ، ص ٣٠٠ .

تكويراً[١] ، وقد عرف العرب هذا النوع من اللباس منذ صدور الاسلام ، وكانوا يجعلونها فوق العمائم ، أو بدونها ، فيذكر الدينوري أن الحسن بن علي بن أبي طالب لبس قلنسوة ثم اعتم بعمامة[٢] . ويروي ابن سعد عمن رأى سعيد بن المسيب وهو معتم بعمامة بيضاء وعليه قلنسوة لطيفة[٣] . وقد تكون القلنسوة من الخز كالتي كان يستعملها القاسم بن محمد[٤] ، الا أن بعضها كان يصنع من جلود الثعالب[٥] . وتختلف ألوان القلانس ، فقد تكون بيضاء كالتي كان يستعملها علي بن الحسين[٦] ، وقد تكون صفراء[٧] أو خضراء[٨] كاللتين كان يستعملهما القاسم بن محمد ويذكر ابن خلكان أن ربيعة بن أبي عبد الرحمن كان يلبس قلنسوة طويلة[٩] . ولم يقتصر لبس القلانس على أهل الحجاز ، بل كانت معروفة في منطقة نجد ، فيروي الأصفهاني أن الشاعر جريراً ، الذي عاش مع قبيلته بني كليب بن يربوع في اليمامة بنجد ، كان يلبس القلنسوة[١٠] .

أما لباس الرأس بالنسبة للنساء ، فكان الخمار[١١] ، وهو غطاء تغطي به المرأة رأسها ، ويلف حول رقبتها ، يروي الامام مالك أن صفية بنت أبي عبيد

---

(١) ابن سيدة ، المخصص ، جـ ٤ ، ص ٨٢ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٥٨ ، وقد لبس بعض السكان القلنسوة بدون عمامة فيذكر ابن الجوزي أن عطاء بن أبي رباح كان يلبس قلنسوة لاصقة . انظر : تنوير الغبش ، ص ١٨١ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٠٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٤٠ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ ، البسوي ، المعرفة والتاريخ ، جـ ١ ، ص ٥٤٥ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٦ ، ص ١٩٦ ، ص ٢١٠ ، وانظر : العلي ، الألبسة العربية ، ص ٤٢٤ .

(٦) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ١٦١ .

(٧) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٤٠ ، ١٤٢ .

(٩) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٥١ ، ( طبعة القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ) .

(١٠) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٤ ، ص ٢٠٧ .

(١١) مالك ، الموطأ ، ص ٤٥ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٢٠٤ ، ويذكر ابن منظور أن الخمار هو ما تغطي به المرأة رأسها ، لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٣٤٢ .

كانت تنزع خمارها إذا أرادت أن تتوضأ[1] . ويروي ابن سعد عمن رأى عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعليها خمار أسود[2] ويبدو أن الخمر السود لم تكن مرغوبة في العصر الأموي ، فتذكر المصادر أن تاجراً من أهل الكوفة قدم بخمر من خمر العراق ، فباعها كلها ما عدا السود منها ، وكان صديقاً للدارمي الشاعر ، فنظم له قصيدة :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت . . . . . . . . . . .

فلم تبق في المدينة سيدة ظريفة الا واشترت خماراً أسود ، حتى باع التاجر العراقي جميع ما عنده[3] .

ويبدو أن الخمار كان من ألبسة الحرائر ، فيروي ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز كتب الى ولاته « أن لا تلبس أمة خماراً ولا يتشبهن بالحرائر »[4] . أما النساء في بادية نجد والحجاز فكن يلبسن البراقع[5] ، فيروي ابن قتيبة أن ليلى الأخيلية كانت دائماً لا ترى الا متبرقعة[6] . وكان البرقع ملوناً بمختلف الألوان[7] ، ويختلف باختلاف الأقمشة المصنوع منها ، فكان أحياناً يصنع من الخز[8] .

أما لباس البدن الداخلي للرجال فقد وصل الينا منه السروال[9] وهو

---

(١) مالك ، الموطأ ، ص ٤٥ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٨ ، ص ٣٦٣ .

(٣) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٤٥ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ١٥ ، الأبشيهي ، المستطرف ، جـ ٢ ، ص ٢٦ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٨١ ، وانظر : العلي ، الألبسة العربية ، ص ٥٦ .

(٥) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، جـ ١ ، ص ٤٤٥ ، الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ١٩٧ ، جـ ٢٤ ، ص ١٧٢ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٢ ، ص ١٩٣ ،ويقول ابن منظور: البرقع معروف وهو لنساء الأعراب ، لسان العرب ، جـ ٩ ، ص ٣٥٥ .

(٦) ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص ٤٤٥ .

(٧) دوزي ، المعجم المفصل ، ص ٥٩ .

(٨) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ١٩٧ .

(٩) انظر عن السروال : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٣ ، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ،العبيدي ، تاريخ اللباس ، ص ١٣ .

ما له حجزة وساقان . يروي ابن سعد أن سعيد بن المسيب كان يلبس السراويل[1] ، ويذكر الطبري أن الحسين بن علي قبل مقتله ، دعا بسراويل محكمة النسيج ، فلبس منها واحداً من صناعة اليمن[2] ، وهذا يدلنا على أنها كانت تصنع في اليمن وتجلب الى الحجاز ، ومن ألبسة البدن الداخلي أيضاً « التُّبَّان » ، وهو سروال صغير مقدار شبر يستر العورة[3] ، ويبدو أنه كان يلبس تحت السروال[4] . وقد وردت اشارات الى لبس التبان في الحجاز في العصر الأموي ، فتذكر المصادر أن هشام بن اسماعيل المخزومي ضرب سعيد بن المسيب ستين سوطاً ، وطاف به في تبان من شعر[5] .

ومن ألبسة البدن الداخلي للرجال القميص[6] ، فيروي ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً على المدينة في عهد الوليد بن عبد الملك اشترى ثوباً بأربعمائة درهم ، وقطعه قميصاً[7] . ويبدو أن القمصان كانت في الغالب تصنع من الكتان ، حيث يروى أن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان يلبس قميص كتان[8]، وكذلك الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[9] ومروان بن الحكم[10] ويعتبر القميص من ألبسة الصيف والشتاء[11] . أما من حيث تفصيل القمصان فيبدو أن اطوالها كانت مختلفة ،

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٠٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥ ، ص ٤٥١ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٦ ، ص ٢٢٠ .

(٤) الطبري ، المصدر السابق ، ص ٤٥١ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٩٣ ، الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٤١٧ . ويروي الطبري نقلاً عن أبي مخنف أن الحسين بن علي عندما قتل أقبل بحر بن كعب وألبسه تباناً ، ثم تركه مجرداً . أنظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥ ، ص ٤٥١ .

(٦) الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص ٨٨ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ١٨٩ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١٢٨ ، جـ ٥ ، ص ١٣٤ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٤٦ .

(٨) نفس المصدر ، ص ١٤٦ .

(٩) مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص ٤٨ ، ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٨٤ .

(١٠) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، جـ ٣ ، ص ١١٦ .

(١١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٦٢ .

فبينما كان قميص سالم بن عبد الله يصل الى نصف ساقه[١] ، نجد قميص عمر بن عبد العزيز « فيما بين الكعب والشراك »[٢] . وتختلف ألوان القمصان ، ويبدو أن أشهرها هي الألوان البيضاء والحمراء فتذكر المصادر أن مروان بن الحكم جاء الى والي المدينة في عهد معاوية ( الوليد بن عتبة ) لابساً قميصاً أبيضاً[٣] . ويروي العصامي أن عمرو بن سعيد بن العاص كان يلبس قميصاً أحمراً[٤] .

ومن الألبسة الداخلية للرجال الإزار[٥] ، وهو ما يلتحف به أو يستر به البدن من أسفله[٦] ، فكان عبد الله بن عمر لا يدخل الحمام بدون إزار[٧] . ويختلف طول الإزار ، فبينما كان إزار ابن عباس تقع حاشيته على ظهر قدمه[٨] ، نجد عبد الله بن عمر يأتزر بإزار قصير الى نصف ساقه[٩] ، وكذلك إبنه سالم[١٠] . ومما يروى عن الامام علي بن أبي طالب أنه كان يأتزر فوق السرة ، وكان إزاره يصل الى نصف الساقين[١١] .

ويبدو أن إسبال الإزار وإرخاءه كان يعتبر من الخيلاء؛ فيروي ابن عبد الحكم أن عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً على المدينة سار أحسن سيرة ، ومع هذا كان « يسبل إزاره ، ويتبختر في مشيته »[١٢] . وعندما قتل عبد

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٤٦ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٢٩٨ .
(٣) البلاذري ، أنساب الاشراف ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ٢٢ ، ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ .
(٤) العصامي ، سمط النجوم العوالي ، جـ ٣ ، ص ٥٦ .
(٥) الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص ٨٨ .
(٦) العبيدي ، الألبسة ، ص ١٢ .
(٧) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ قسم ١ ، ص ١٢٧ .
(٨) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ٣٥ .
(٩) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ .
(١٠) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ١٤٦ .
(١١) نفس المصدر ، جـ ٣ قسم ١ ، ص ١٧ ـ ١٨ .
(١٢) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٥ .

الرحمن بن خالد بن الوليد قال عروة بن الزبير لابن أخي عبد الرحمن « يا خالد ، أتدع ابن أثال يفني أوصال عمك بالشأم وأنت بمكة مسبل إزارك ، تجره وتخطر فيه متخايلا ؟ »[١] .

ويلبس الإزار بأشكال مختلفة ، فإذا كان الإزار واسعاً توشح به[٢] وإذا كان ضيقاً إتزر به[٣] ، وقد يلبس الإزار محللا فيروي ابن سعد أن سالم بن عبد الله بن عمر كان يصلي في قميص واحد محلل الإزار[٤] ، وأحياناً يرخي الإزار حتى تقع حاشيته على ظهر القدم[٥] . وقد يلتحف بالإزار فيروي الأصفهاني أن معبداً كان يلتحف بإزار وطرفه على رأسه[٦] ، ويبدو أن الإزار أيضاً من الألبسة المشتركة بين الرجال والنساء فتذكر بثينة أنها لم تلبس خماراً مصبوغاً ولا إزاراً بعد أن عرفت بوفاة جميل[٧] .

ومن ألبسة النساء الداخلية الغلالة[٨] ، ويبدو أن هذا اللباس كان خاصاً بالجواري[٩] ، أما الدراعة فكانت من الألبسة الداخلية للمرأة ، وكانت زياً خاصاً بها ، ويعرِّف ابن سيدة الدراعة بأنها قميص المرأة ، وهي جبة مشقوقة

---

(١) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٦ ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) التوشح : أن يتشح بالثوب ثم يخرج طرفه الذي ألقاه على عاتقه الأيسر من تحت يده اليمنى ، ثم يعقد طرفيهما على صدره ، والتوشح بالرداء مثل التأبط وهو أن يدخل الثوب من تحت يده اليمنى فيلقيه على منكبه الأيسر كما يفعل المحرم . ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٤٧٣ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٣ ، قسم ١ ، ص ١٩ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ١٤٦ ، وانظر : جـ ٤ قسم ١ ، ص ١٢٨ .

(٥) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ٣٥ .

(٦) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٤٤ .

(٧) نفس المصدر ، جـ ٨ ، ص ٢٠٤ ، وعن لبس النساء للإزار انظر : نفس المصدر ، جـ ٧ ، ص ٣٠٢ . ويقول دوزي بأن كلمة إزار قد استعملت أيضاً منذ مستهل الاسلام وحتى أيامنا هذه للدلالة على الغطاء الكبير أو الرداء الواسع الذي تلتف به نساء المشرق ، انظر : دوزي ، المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب ، ص ٣١ .

(٨) الغلالة شعار يلبس تحت الثوب ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب جـ ١٤ ، ص ١٥ .

(٩) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٤ ، ص ٢٧٤ .

المقدم[١] . ويروي ابن سعد أن عائشة كانت تلبس الدراعة[٢] . وعلى الرغم من أن الدراعة من الألبسة الخاصة بالنساء ، الا أنه وردت الينا رواية تفيد أن بعض الرجال لبسها ، فيروي الأصفهاني أن المغني ابن سريج كان يلبس دراعة قد صبغها بزعفران[٣] .

تلك هي أهم الألبسة الداخلية ، أما اللباس الخارجي للرجال ، فكان من بينه الجباب ، ويعرِّف ابن منظور الجبة بأنها ضرب من مقطعات الثياب تلبس[٤] ، وتختلف الجباب باختلاف الأقمشة المصنوعة منها ، فهي أحياناً تصنع من الخز كالجبة التي كان يلبسها الحسين بن علي بن أبي طالب[٥] ، والقاسم بن محمد[٦] ، وعروة بن الزبير[٧] ، وعبد الله بن الزبير[٨] ، والعجاج ابن رؤبة[٩] . وقد تكون من الصوف كالجبة التي كان يلبسها عمر بن الخطاب[١٠]، ويروي الأصفهاني أن هلال بن الأسعر التميمي كان يلبس جبة صوف في المدينة[١١]، وكان سعيد الهذلي يلبس جبة صوف في مكة[١٢] . ويبدو أن جباب الصوف من لباس الفقراء والزهاد ، فتذكر المصادر أن

---

(١) ابن سيدة ، المخصص ، جـ ٤ ، ص ٣٦ . ويذكر دوزي أن كلمة دراعة لا تنطبق الا على قميص المرأة ، وكثيراً ما استعمل الشعراء هذه الكلمة للاشارة الى المرأة نفسها . انظر : دوزي ، المعجم المفصل لأسماء الملابس عند العرب ، ص ١٤٤ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٨ ، ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩ ، وعن لبس النساء للدراعة انظر : الاصفهاني ، الأغاني ، جـ٢ ، ص ٢٨١ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٤٦ .

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥ ، ص ٤٥٢ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ١٢ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ ، ابن بدران ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، جـ ٦ ، ص ٥٤ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٣٤ .

(٨) الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١٨٩ .

(٩) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٠ ، ص ١٥٢ .

(١٠) اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ١١ .

(١١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٥٧ .

(١٢) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ٦٦ .

عبد الرحمن بن الضحاك بعد عزله عن المدينة ، ومصادرة أمواله ، كان يطوف في جبة صوف يسأل الناس[(١)] . ويذكر البلاذري ضمن الأسباب التي جعلت الرقيق السغد يقتلون سعيد بن عثمان بن عفان أنه « ألبسهم جباب الصوف وألزمهم السواني والعمل الصعب »[(٢)] . وقد تصنع الجبة من الوشي ؛ فيروي الأصفهاني أن الشاعر نصيب دخل على والي المدينة ابراهيم بن هشام وعليه جبة وشي[(٣)] . وتختلف ألوان الجباب وأشهرها البيضاء[(٤)] ، والصفراء[(٥)] ، والخضراء[(٦)] . ويذكر ابن الجوزي أن عطاء بن أبي رباح كان يلبس جبة دنسة[(٧)] .

ومن الألبسة الخارجية البردة ، وهي من لباس الرسول ﷺ وقد خلعها على الشاعر كعب بن زهير ، عندما قدم اليه تائباً مسلماً وأنشده لاميته المشهورة التي يمدحه فيها[(٨)] ، وكان على عبد الله بن عمر يوم الفتح بردة قصيرة[(٩)] ، ويبدو أن لبس البردة استمر في العصر الأموي حيث أشار الأصفهاني الى فتى في العصر الأموي كانت عليه بردة من برد الأعراب[(١٠)] ومع أن البردة كانت من ألبسة الرجال الا أنه ورد الينا نص يبين أنها كانت من

---

(١) البلاذري ، أنساب الاشراف ، جـ ٧ ، ص ١٨٢ ، الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ ٥ ، ص ٤٠٥ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٨ ، ص ٣٤٨ ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٢٩ ، ابن خلدون ، العبر ، جـ ٣ ، ص ٨٤ .

(٢) البلاذري ، أنساب الاشراف ، جـ ٥ ، ص ١١٧ .

(٣) الاصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ١٣١ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢١٥ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٤٢ .

(٦) نفس المصدر ، ص ١٤٢ .

(٧) ابن الجوزي ، تنوير الغبش ، ص ١٨١ .

(٨) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٢٧٤ ، وانظر القصيدة في السكري ، شرح ديوان كعب بن زهير ، ص ٦ - ٢٣ .

(٩) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٥٤ ، والبردة كساء يلتحف به وقيل إذا جعل الصوف شقه وله هدب فهي بردة ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٥٤ .

(١٠) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ١٣ .

ألبسة النساء أيضاً فيروي الأصفهاني أن المغنية جميلة جلست يوماً في مجلس الغناء « وعلى عاتقها بردة يمانية وعلى القوم أمثالها . . . »[١] .

ويجب ان نفرق بين البرد والبردة فيذكر ابن منظور أن البرد ثوب فيه خطوط ، وخص بعضهم به الوشي ، وثوب أبرد فيه لمع سواد وبياض[٢] وقد لبس البرود عدد من سكان نجد والحجاز فكان عثمان بن عفان يلبس برداً يمانياً ثمنه مئة درهم[٣] ، ويروي ابن سعد أن عبد الله بن عمر كان يلبس بردين معافرين[٤] . وكان علي بن أبي طالب يلبس بردين قطريين[٥] . وكان عبد الرحمن بن عوف يلبس البرد أو الحلة تساوي خمسمائة[٦] ، وكان سعيد ابن المسيب يلبس البرود الغالية البيض[٧] ، وكذلك محمد بن الحنفية[٨] ، ولبس البرود أيضاً عبد الله بن جعفر؛ فيذكر ابن الجوزي أنه كان يلبس بردين يمانيين[٩] . وانتشر استعمال البرود في نجد[١٠] ، وربما كان ذلك عائداً الى أنها كانت تصنع في هذه المنطقة[١١]، ويروي الأصفهاني أن الشاعر ذا الرمة كان يلبس برداً قيمته مائتا دينار[١٢].

وعرف في العصر الأموي نوع من اللباس الخارجي يدعى الخميصة[١٣] وقد

---

(١) نفس المصدر ، جـ ٨ ، ص ٢٢٦ .
(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٥٣ ـ ٥٤ ؛ راجع أيضاً ، العلي ، الأنسجة ، ص ٥٦٠ .
(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٣ ، قسم ١ ، ص ٣٩ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١٢٩ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٣ ، قسم ١ ، ص ١٨ .
(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٣ ، قسم ١ ، ص ٩٢ .
(٧) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ٩٩ .
(٨) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٢٢٤ .
(٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٤١٩ .
(١٠) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٠ ، ص ٧٥ .
(١١) أنظر: صناعة النسيج في الفصل الثالث من الباب الأول .
(١٢) الاصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٨ ، ص ٣٥ .
(١٣) الخميصة ،كساء أسود مربع له علمان ، فإن لم يكن معلماً فليس بخميصة . أنظر: ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ٢٩٧ .

لبس الخميصة من الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان[١] ، وعلي بن أبي طالب[٢] ، ويروي العيني أن علي بن الحسين كان يلبس في الشتاء خميصة من خز قيمتها خمسون ديناراً[٣] ، وهذا يدلنا على أنها كانت من الألبسة الثمينة .

وتعتبر العباءة من اللباس الخارجي للرجال ، وهي تلبس فوق سائر الألبسة الأخرى، وقد لبسها أبو بكر الصديق[٤] وكذلك عمر بن الخطاب،[٥] ويبدو أن العباءة لم تكن من ألبسة الأغنياء في العصر الأموي ، فيروي ابن قتيبة أن معاوية بن أبي سفيان نظر الى النخار العذري في عباءة فازدراه فقال : يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك ، وإنما يكلمك من فيها[٦] ، كما كانت العباءة من لباس الرعاة[٧] . ويروي الأصفهاني أن الحصين بن غرير من بني نصر بن معاوية كان يلبس عباءة عندما جلده محمد بن هشام المخزومي[٨] .

ومن الألبسة الخارجية التي كانت موجودة في الحجاز في العصر الأموي القباء من الثياب ، فيروي ابن سعد أن عروة بن الزبير كان يلبس في الحر قباء من سندس مبطناً بحرير[٩] . وشاع استعمال الطيلسان ، فيروي ابن رستة أن جبيراً بن مطعم كان أول من لبس الطيلسان في المدينة[١٠] . ويروي ابن سعد

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٣ قسم ١ ، ص ٣٩ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ٥ ، ص٣ .
(٢) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٢٠ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ( طبعة بيروت ) ، ص١٨٦ .
(٣) العيني ، عقد الجمان ، جـ١١ قسم٣ ، لوحة ٣٩٧ .
(٤) اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ١٠ .
(٥) نفس المصدر ، ص ١١ .
(٦) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ٣ ، ص ٢٩٧ .
(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٣٢٤ .
(٨) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ١ ، ص ٤٠٣ ، ٤١١ .
(٩) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٥ ، ص ١٣٤ .
(١٠) ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص ١٩٢ . والطيلسان ضرب من الأكسية، انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، جـ٧ ، ص ٤٣١ ، ويقول دوزي: الطيلسان نوع بسيط من الخمار الذي يطرح على الرأس والكتفين ، أو يلقى أحياناً على الكتفين فقط ، انظر : دوزي ، المعجم المفصل، ص ٢٢٩ .

أن عروة بن الزبير كان يلبس طيلساناً مزرراً بالديباج[١] ، وكذلك سعيد بن المسيب[٢] . وقد ورد ذكر الطيالسة الكردية ، ولبسها بعض سكان الحجاز[٣] ، ويبدو أنها كانت متينة ومحكمة النسج ، فيروي ابن سعد أن الطيالسة الكردية كانت تلبس ثلاثين سنة ثم تقلب أيضاً[٤] .

وعرفت الحبرة كلباس خارجي للرجال ، يقول ابن سيدة،الحبرة ضرب من برود اليمن[٥] . ويروي الأصفهاني أن طويس المغني أقبل مرة وعليه قميص قوهي وحبرة قد ارتدى بها[٦] ، وكان الشاعر نصيب يلبس في احدى مجالس الطائف قميصاً قوهياً ورداء وحبرة[٧] .

وشاع استعمال الرداء في العصر الأموي كلباس خارجي للرجال ، فيروي الأصفهاني أن المغني الهذلي في مكة ، كان ينقش الحجارة في جبل أبي قبيس ، ويغني وهو في الجبل ، فلا يلبث أن يرى الجبل الا وقد صار كقرص الخبيص صفرة وحمرة من أردية قريش[٨] . ويروي ابن سعد أن القاسم بن محمد كان يلبس رداء مصبوغاً بزعفران[٩] ، ويبدو أنه كان يصبغ أيضاً بالعصفر كالرداء الذي كان يلبسه عروة بن الزبير[١٠] . وغالباً ما يذكر

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٣٤ .
(٢) نفس المصدر ، ص ١٠٣ .
(٣) نفس المصدر ، ص ١٦١ ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١٢١ .
(٤) نفس المصدر ، ص ١٢١ .
(٥) ابن سيدة ، المخصص ، جـ ٤ ، ص ٧٣ . الحبرة من التحبير أي التزيين فيقال ثوب حبير أي موشى ، أنظر : نفس المصدر ، ص ٦٧ .
(٦) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٥ ، ص ١٥٤ . والقميص القوهي منسوب الى قوهستان من بلاد فارس ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٧ ، ص ٤٢٩ .
(٧) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٣٦٣ .
(٨) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ٦٥ ، ويذكر ابن سيدة أن الأردية من الملاحف ومفردها رداء ، انظر : المخصص ، جـ ٤ ، ص ٧٦ .
(٩) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٤٢ . ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ٤٩ .
(١٠) ابن سعد ،الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٣٤ .

هذا النوع من اللباس مقرونا بالإزار، فيروي ابن سعد أن علي بن أبي طالب كان يخطب وعليه إزار ورداء مرتدياً به غير ملتحف[١] . وقد يلبس الرداء مع القميص ، فقد شوهد سعيد بن المسيب لابساً « قميصاً الى نصف ساقيه . . . ورداء فوق القميص خمس أذرع وشبراً »[٢] . وقد يلبس الرداء مع القميص والحبرة ، فيروي الأصفهاني أن الشاعر نصيب كان يلبس في الطائف قميصاً قوهياً ورداء وحبرة[٣] . كما يلبس الرداء أحياناً مع الإزار والقميص[٤] ، وقد يلبس مع الثياب، فيروي الزبير بن بكار أن حمزة بن عبدالله بن الزبير كان عليه ثوبان ورداء[٥] .

ومن الألبسة الخارجية للرجال الملحفة ، وهي اللباس الذي فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه[٦] . وتختلف الوان الملاحف فقد تكون حمراء كالتي كان يستعملها علي بن الحسين[٧] ، أو صفراء كالتي كان يلبسها محمد ابن الحنفية[٨] ، أو مورسة كالتي كان يلبسها جميل بثينة[٩] . أما الملاحف المعصفرة فيبدو أنها كانت أكثر شيوعاً لدى السكان ، وقد لبسها خارجة بن زيد[١٠]، وعطاء بن أبي رباح[١١]، والقاسم بن محمد[١٢]، وعروة بن الزبير[١٣]. وشاع استعمال الملاءة وهي الملحفة التي لم تبطن أو تحشى ،

---

(١) نفس المصدر ، جـ٣ ، قسم ١ ، ص ١٧ .
(٢) نفس المصدر ، جـ٥ ، ص ١٠٣ .
(٣) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ١ ، ص ٣٦٣ .
(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٣ قسم ١ ، ص ١٨ ؛ انظر أيضاً : العلي ، الألبسة العربية ، ص ٤٧ .
(٥) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ١ ، ص ٨٤ .
(٦) ابن سيدة ، المخصص جـ٤ ، ص ٧٦ ، ابن منظور ، لسان العرب ، جـ١١ ص ٢٢٥ .
(٧) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٥ ، ص ١٦١ .
(٨) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٥ ، ص ٨٤ .
(٩) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، جـ١ ، ص ٥٤٦ .
(١٠) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ .
(١١) الاصفهاني ، الاغاني ، جـ١ ، ص ٢٧٨ .
(١٢) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٥ ، ص ٤٢ .
(١٣) نفس المصدر ، ص ١٣٤ .

فاذا حشيت أو بطنت فهي ملحفة[١] . وقد تكون الملاءة صفراء كالتي كان يلبسها عثمان بن عفان [٢] ، أو موردة كالتي كان يلبسها مروان بن الحكم[٣] ، ويروي ابن سعد أن سعيد بن المسيب كان يلبس ملاءة شرقية[٤] . وقد تكون الملاءة رقيقة ومصقولة كالتي كان يلبسها المغني طويس عندما دخل على ابان بن عثمان والي المدينة [٥] . ويروي الأصفهاني أن المغني محمد بن عائشة كان يلبس ملاءة مدلوكة[٦] .

كما استعملت الريط[٧] كلباس خارجي للرجال في العصر الأموي ، فيروي الأصفهاني أن كُثَيِّر عزة جاء يوماً وقد أخذ بطرف ريطته وألقى طرفها الآخر[٨] . وتذكر المصادر أن الامام مالك كان يلبس ريطة عدنية[٩] ويبدو أن الريطة ليست غالية الثمن ، فيروي الطبري أن سعيد بن المسيب كان عليه ريطتان ما تساويان الا خمسة دراهم[١٠]. ويروي الامام مالك أن الريط في الحجاز كانت من نسج الولائد[١١].

ومن الألبسة الخارجية الأخرى للرجال المطرف ، وهو ثوب مربع من خز له أعلام[١٢]. وقد اشتهر هذا اللباس بين السكان في الحجاز في العصر

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١١ ، ص ٢٢٥ ، ويقول دوزي : الملحفة في القديم معطف لا يلبسه الا الرجال ، دوزي ، المعجم المفصل ، ص ٣٣٠ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ٤ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٢٢ ، ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٩٩ . (٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٢٨ .

(٦) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ .

(٧) الريطة هي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ، وقيل الريطة الملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد ، ولا تكون الريطة الا بيضاء ، أنظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٩ ، ص ١٧٨ ، ويروي ابن سيدة نقلاً عن الأصمعي ، الريطة كل ملاءة لم تكن لفقين ، انظر : المخصص جـ ٤ ، ص ٧٧ .

(٨) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ١٢٥ .

(٩) عياض ، ترتيب المدارك ، جـ ١ ، ص ١١٤ ، ابن فرحون ، الديباج المذهب، ص ١٩ .

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٦٦ ، الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ ٥ ، ص ٢١٠ .

(١١) مالك ، المدونة ، جـ ٩ ، ص ٢٤ ، ١٣١ .

(١٢) ابن سيدة ، المخصص ، جـ ٤ ، ص ٦٨ .

الأموي ، ويبدو أنه كان من لباس الأغنياء ، حيث أن معظم النصوص التي وصلت الينا تذكر أنه يصنع من الخز ، فيروي الذهبي أن عبدالله بن عمر كان يلبس مطرف خز ثمنه خمسمائة درهم[١] ، وكان عمر بن عبد العزيز يلبس مطرف خز ثمنه ثمانمائة درهم[٢] . وممن ذكر أنه لبس مطرف الخز من أهل الحجاز : الحسين بن علي[٣] ، والقاسم بن محمد[٤] ، ومحمد بن الحنفية[٥] ، ومحمد بن عمرو بن حزم[٦] .

أما المستقة فهي جبة فرو طويلة الكم ، وقد استخدمت كلباس خارجي للرجال ، وكانت موجودة عند العرب في مستهل الإسلام[٧] ، وقد استمر وجودها خلال العصر الأموي ، فيروي ابن سعد أنه أهديت لعليّ بن الحسين مستقة من العراق ، فكان يلبسها ، وإذا أراد أن يصلي نزعها[٨] .

ومن الألبسة الخارجية البرنس ، وهو كل ثوب رأسه منه ملتزق به[٩] ، ويبدو أنها كانت تصنع من الخز ، فيروي الدينوري أن الحسين بن علي كان يلبس برنسا من خز قبل مقتله[١٠] ، كما كان يصلي فيه بعض الصحابة ، فيروي ابن سعد أن ابن عمر كان يخرج يديه من البرنس إذا سجد[١١] ويذكر العصامي أن مروان بن الحكم كان يلبس البرنس فوق القميص[١٢] ، ومع أن

---

(١) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .
(٢) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٥٠ .
(٣) الذهبي ، المصدر السابق ، ص ١٢ .
(٤) ابن بدران ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، جـ ٦ ، ص ٥٤ .
(٥) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٨٤ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٢٢٤ .
(٦) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٥٠ ، ويذكر وكيع أن أبا بكر بن محمد بن حزم كان يلبس المطرف ، انظر : وكيع ، أخبار القضاة ، جـ ١ ، ص ١٤٣ .
(٧) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ .
(٨) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٦١ .
(٩) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٧ ، ص ٣٢٤ .
(١٠) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٥٨ .
(١١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١٢٨ .
(١٢) العصامي ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .

البرانس تعتبر من الألبسة الخارجية للرجال الا أنه وصلتنا روايات تبين أن النساء أيضا كن يلبسن البرانس؛ فيروي الأصفهاني أن المغنية جميلة لبست برنساً طويلا ، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك[١] .

أما الشملة[٢] ، فهي أيضا من الألبسة الخارجية التي ذكرت في العصر الأموي ، فيروي الأصفهاني أن الشاعر العرجي كان « يستقي على إبله في شملتين ثم يغتسل ويلبس حلتين بخمسمائة دينار »[٣] . وقد ذكرت مقطعات الخز في نجد كألبسة خارجية للرجال ، فيروي الأصفهاني أن عبد العزيز الكلابي كان يلبس مقطعات الخز في سوق حجر باليمامة في نجد[٤] .

تلك هي أهم الألبسة الخارجية للرجال ، أما لباس البدن الخارجي للنساء فعرف منه نوع يسمى المُرْط ، وهو كساء من خز أو صوف أو كتان وقيل هو الثوب الأخضر[٥] . وقد استعملت النساء المروط منذ مستهل الإسلام[٦] واستمر استعمالها خلال العصر الأموي[٧] ، فيروي الأصفهاني أن بثينة صاحبة جميل أقبلت في نسوة من قومها وهي تتعثر في مرطها[٨] .

لقد ذكرت المصادر لباس المشهورين في المجتمع كالعلماء والشعراء

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٢٢٦ ، انظر : العلي ، الألبسة العربية ، ص ٦٠ .

(٢) الشملة ثوب يشتمل به ، واشتمل بالثوب إذا أداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده ، والشملة مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به فاذا لفق لفقين فهي مشملة يشتمل بها الرجل، انظر: بن منظور ، لسان العرب ، جـ١٣ ، ص ٣٩١ . وقد لبس الشملة أبو بكر الصديق، انظر : اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ٩ .

(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٣٩٥ .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ١٠٩ ، والمقطعات من الثياب هي القصار، انظر: ابن سيدة ، المخصص ، جـ ٤ ، ص ٨٦ .

(٥) ابن منظور ، لسان العزب ، جـ ٩ ، ص ٢٧٨ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٧٨ .

(٧) لقد ورد ذكر المرط على لسان الشاعر عمر بن أبي ربيعة ، أنظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة ، جـ ١ ، ص ٨١ .

(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ١٥٤ .

والمغنيين ، ولاريب أن ملابس الناس في نجد والحجاز كانت تختلف باختلاف ثرواتهم وأذواقهم التي تغيرت كثيراً على أثر الفتوحات الإسلامية وخروج العرب من الجزيرة واحتكاكهم بالشعوب الأخرى المفتوحة . أما ملابس الزهاد والفقراء فيبدو أنها كانت مصنوعة من المواد الأولية الرخيصة كالقطن أو الصوف ، فتذكر المصادر أن سالم بن عبدالله بن عمر كان يلبس الألبسة المصنوعة من الصوف[1] . وكان سعيد بن عثمان يلبس رقيقة جباب الصوف ، ويشق عليهم في العمل مما أدى الى مقتله[2] ، ويبدو أن العباءة كانت من ألبسة الفقراء[3] ، أما لباس البادية فلقد كان البدو من أهل الحجاز يوصفون بخشونة الملبس[4] ، ويبدو أن هذه الأوصاف تنطبق أيضاً على باقي البدو الرحل في نجد .

وينحصر لباس الأقدام في الخفاف والنعال ، فيروي الإمام مالك أن عروة بن الزبير كان يلبس خفين ، يمسح على ظهورهما عندما يتوضأ[5] ويبدو أن بعض الخفاف كانت تستورد من اليمن؛ فيروي ابن سعد أن علي بن الحسين بن أبي طالب كان يلبس خفين غليظين من اليمن[6] ، كما يروي أن محمد بن الحنفية كان يلبس الخفاف[7] . وورد ذكر النعال كلباس للقدم فيروي ابن سعد أن سالم بن عبدالله كان يلبس النعال وربما جعل شسع نعله من سعف النخل[8] ، وكانت نعال علي بن الحسين مدورة الرأس ليس لها لسان[9] ، ويذكر ابن سعد نقلا عن أبي المغيرة قوله « كنا لنطلب الخف لعلي

---

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٢٢٦ ، الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ٧٥ ، ابن بدران ، تهذيب تاريخ بن عساكر ، جـ ٦ ، ص ٥١ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ١١٧ .

(٣) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ ٣ ، ص ٢٩٧ . وانظر : العلي ، التنظيمات الاجتماعية ، ص ١٩٣ .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٤٩ .

(٥) مالك ، الموطأ ، ص ٤٤ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٦١ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٨٥ .

(٨) نفس المصدر ، ١٤٧ .

(٩) نفس المصدر ، ص ١٦١ .

ابن عبدالله بن عباس فما نجده حتى نصنعه له صنعة والنعل فما نجدها حتى نصنعها له صنعة »[1] . وكان عبدالله بن عمر يلبس نعلين في كل واحدة شسعان[2] . وقد ورد لبس النعال في عدد من المصادر مما يدل على شيوعها لدى السكان[3] .

## الأطعمة :

لقد كان طعام العرب قبل الإسلام في غاية البساطة ،فكان يقتصر على الألبان وما يستخرج منها كالسمن والزبد والجبن ، ومن التمور والحبوب ، وكان خير أدمهم اللحم ، وعندما جاء الاسلام واتصل العرب بالأمم التي خضعت لهم تعرفوا على ألوان من الأطعمة لم تكن مألوفة لديهم ، وبالغ الناس في الإنفاق والكرم حتى وصل الى درجة الاسراف، فيروي الزبير بن بكار ، أن أبا عبيدة ابن عبدالله بن زمعة ذبح في ليلة واحدة سبعين رأساً من الغنم[4] . وتفننوا في عمل الأطعمة المتنوعة ، فكانوا يذبحون الشاة ويعملون منها ألوانا من الأطعمة[5] ، وأحياناً يصلونها على النار حتى تنضج[6] . ويذكر ابن الفقيه أن اليمامة في نجد امتازت بجودة لحومها ، وطيب الأطعمة المصنوعة من حنطتها[7] . وعندما نزل الفرزدق ضيفاً على الشاعر الأحوص قال له : ما تحب أن يكون قراك . قال : « شواء رشراش ونبيذ سعير وغناء حسن »[8] .

---

(١) نفس المصدر ، ٢٣٠ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١٢٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٢٧ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٢٣ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ١ ، ص ١٣٢ ، الكتاني ، التراتيب الادارية ، جـ ١ ، ص ٣٦ .

(٤) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٤٨٦ ، البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٣ ، ص ٨٧٩ .

(٥) ابن بكار ، المصدر السابق، ص ٣٠٢ .

(٦) ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، جـ ١ ، ص ٣٩٩ .

(٧) ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٢٩ .

(٨) أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، جـ ٢ ، ص ١٠٤٨ .

ومن أنواع الأطعمة التي كانت موجودة لدى أهل الحجاز ونجد ، الثريد ، وهو الخبز يفت ويبل بالمرق ويوضع فوق اللحم[١] ، وكان من ضمن طعام أبي هريرة عندما كان في المدينة[٢] . ويروي ابن سعد أنه كان لعبدالله ابن عمر جفنة من ثريد يجتمع اليها وبنوه وأصحابه[٣] . ومن الأطعمة الأخرى الحريرة وهي ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق الذي يطبخ بلبن أو دسم[٤] ، وكانت من بين الأطعمة التي قدمها الشمردل وكيل آل عمرو بن العاص في الطائف ، لسليمان بن عبد الملك عندما زاره[٥] . أما الخزيرة فكانت طعاماً يتكون من طهي القطع الصغيرة من اللحم بالماء والملح ، ثم يضاف اليها الدقيق بعد نضوجها ، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة ، ولا تكون الخزيرة الا وفيها لحم[٦] . وكانت الخزيرة من الأطعمة التي يفضلها عثمان بن عروة ابن الزبير ، فكان يعملها دائماً في منزله[٧] .

ومن الأطعمة الأخرى في العصر الأموي الهريسة[٨] ، وكان غالباً ما يعملها سالم بن عبدالله في منزله[٩] ، وسأل عبد الملك بن مروان عمر بن حريث المخزومي عن طعامه فقال « لباب الحنطة ،وصغار المعز » [١٠] وكانوا

---

(١) انظر: ابن سيدة ، المخصص ، جـ ٥ ، ص ١٣ ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، جـ ١ ، ص ٥٨٥ .

(٢) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ ٣ ، ص ٣١٥ ، المعارف ، ص ٢٧٨ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٦١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ١١٣ .

(٣) ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ ٤ قسم ١ ، ص ١٠٩ ، وانظر : الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٧٠ .

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٢٥٧ .

(٥) الدينوري ، عيون الأخبار ، جـ ٩ ، ص ٢٢٧ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٣٠١ .

(٦) ابن سيدة ، المخصص ، جـ ٤ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٧) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ص ٣٠٦ .

(٨) الهريسة هي البر يدق ثم يطبخ مع أشياء أخرى ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ١٣٣ .

(٩) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٩ ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

(١٠) ابن بكار ،الأخبار الموفقيات ، ص ٨٣ .

يعملون من اللحم ، المرق ويتناولونه مع الخبز الرقاق[١] . ولم يقتصر طعامهم على لحوم الغنم ، بل تناولوا لحم الدجاج[٢] والسمك[٣] .

ومن الأكلات التي ذكرتها المصادر الحيسة والسميذة[٤] ، والكَشْكِيَّة[٥] والفريك[٦] ، والشواء[٧] ، والجشيشة[٨] ، والمضيرة[٩] .

وكانوا يتناولون بعض الحلويات والفواكه والخضروات مع وجباتهم ، ويبدو أن الفاكهة كانت تقدم قبل وجبات الطعام ؛فيروي التنوخي أن عبيد الله بن عباس كان عنده ضيوف ، فأمر بشراء فاكهة وأمر قوماً أن يطبخوا ويخبزوا فقدم الفاكهة للضيوف ، فلم يفرغ القوم منها حتى وضعت الموائد[١٠]. ومن الفواكه

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٣٢ ، ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٣٠٢ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١١٠ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٧ ، ص ١٢٣ ، الدينوري ، عيون الأخبار ، جـ ٩ ، ص ٢٢٧ ، الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ١٦٦ .

(٣) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٤٨٧ ، الأخبار الموفقيات ، ص ٢٢٤ ، الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٦ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ .

(٤) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ ٩ ، ص ١٩٧ ، والحيس طعام يتخذ من الإقط والتمر والسمن ، وقد يجعل عوض الإقط الدقيق والفتيت . انظر ابن منظور ، لسان العرب ، ، جـ ٧ ، ص ٣٦١ ، والسميذة الحوارى وهي لباب الدقيق .

(٥) ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ ، ويقول ابن منظور : الكشك ماء الشعير . انظر : لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ٣٧٠ ، والكشك يصنع من القمح والشعير والزبد واللحم ، انظر: عيون الأخبار ، ص ٦٩٨ .

(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٦ ، ص ١٦ . والفريك طعام يفرك ثم يلت بالسمن أو غيره . انظر : لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ٣٦١ .

(٧) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ٥٦ . والشواء هو اللحم الذي يشوى على النار، انظر: ابن سيدة ، المخصص ، جـ ٤ ، ص ١٢٧ .

(٨) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ٣٦٢ ، الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٧. والجشيش دقيق مجروش يوضع في قدر ويلقى عليه لحم أو تمر ثم يطبخ . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ١٦١ .

(٩) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٩ ، ص ١٤١ . والمضيرة طبخ اللحم باللبن البحت الصريح حتى ينضج اللحم وتخثر المضيرة . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٧ ، ص ٢٦ .

(١٠) التنوخي ، المستجاد من فعلات الأجواد ، ص ١٦ .

التي كانوا يتناولونها التفاح[١] ، والعنب[٢] ، والرمان[٣] ، والموز[٤] وبعض الفواكه الأخرى التي كانوا يجلبونها من الشام[٥] . ومن الخضروات القثاء والبطيخ[٦] .

أما الحلويات فمنها الفالوذج[٧] ، وكان يعمل من لباب البر المخلوط مع السمن والعسل[٨] ، وكذلك الخبيص[٩] ، وهو نوع من الحلواء معمول من التمر والسمن ، فيروي الزبير بن بكار أن عثمان بن عروة كان يأكل كل يوم خبيصاً معصوداً مع طعامه[١٠] . ويذكر ابن سعد أن عبدالله بن عمر كان يأكل الخبيص ضمن وجبة طعامه[١١] . ومن المأكولات التي كانوا يتناولونها الكعك، فيروي الطبري نقلا عن الواقدي أن بعض سكان الحجاز كانوا يأكلون الكعك ضمن طعامهم[١٢] .

واقتصرت أطعمة الزهاد والفقراء على صنف أو صنفين من الأطعمة إضافة الى التمر[١٣]، كالخبز والزيت فيروي ابن سعد أن طعام سالم بن

---

(١) الجزري ، غاية النهاية ، جـ٢ ، ص ٢٦٣ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٦ ، ص ١٧٩ .
أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ١ ، ص ٢٩٧ .
(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ٧ ، ص ١٢٣ .
(٤) عياض ، ترتيب المدارك ، جـ١ ، ص ١١٥ .
(٥) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ٢ ، ص ٢٥٩ .
ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ٦ ، ص ٢٨ .
(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٤ قسم ١ ، ص ١٢٠ .
(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٩ ، ص ١٥٤ ، الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف، ص ١١١ ، القيرواني ، جمع الجواهر ، ص ٦٧ .
(٨) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ٩ ، ص ٢٠٣ .
(٩) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٩ ، ص ١٧٦ ، وانظر: عن الخبيص ، ابن سيدة، المخصص ، جـ٥ ، ص ٢٠ ، ابن منظور ، لسان العرب ، جـ٨ ، ص ٢٨٦ .
(١٠) الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ١ ، ص ٣٠٦ .
(١١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٤ ، قسم ١ ، ص ١١٠ .
(١٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٦ ، ص ١٧٥ ، الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .
(١٣) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ١ ، ص ٢٦٦ .

عبدالله بن عمر كان الخبز والزيت[1] ، كما كان الخبز والزيت طعام ابن أبي وداعة[2] ، صهر سعيد بن المسيب ، وصفوان بن سليم[3] . وعندما يأتي الجراد الى المدينة كانوا يقلونه بالزيت ويأكلونه[4] . كما كانوا يتناولون الحنطة مع العدس[5] ، والقرع مع الشحم[6] .

أما أطعمة البادية في نجد والحجاز فامتازت ببساطتها وباعتمادها على ما ينتجه الحيوان كالزبد واللبن وغيرها . ولقد اشتهر العربي في الصحراء بالكرم حتى أنه كان يذبح حيوانه الوحيد لضيوفه، فيروي التنوخي نقلاً عن المدائني أن الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر خرجوا حجاجا ، ففاتتهم أثقالهم ، فقصدوا عجوزاً في خباء ، وكان عندها شاة وحيدة فذبحتها لهم وهيأت لهم منها طعاما[7] . ومن أشهر أطعمة البادية التمر والزبد ، واللبن[8] والشواء[9] ، والرثيئة ؛وهي اللبن الحامض يحلب عليه الحليب[10] ،والخلاصة ؛ وهي تعمل من التمر والسويق المخلوط بالسمن[11] ، كما كانوا يخلطون الإقط[12] المطحون بالتمر والسمن ويأكلونه[13] .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٤٨ ، وانظر : البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٧ ، ص ١١٣ ، ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، جـ ٢ ، ص ٧٨ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٤٧١ - ٤٧٢ ، صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ٥١ ، ابن بدران ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، جـ ٦ ، ص ٥٠ .

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٤٤٢ . أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٢ ، ص ١٦٨ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٨ ، ص ٣٦٣ .

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٦٠ .

(٦) المبرد ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧ ، البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٢ ، ص ٦٥٧ .

(٧) التنوخي ، المستجاد من فعلات الأجواد ، ص ١١ - ١٢ ،وانظر: ابن كثير ، البداية ، جـ ٨ ، ص ٦٠ .

(٨) أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ج١ ، ص٣٢ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٣٨٩ ، جـ ٤ ، ص ٣٦٩ ، السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٣ ، ص ١٠٦٢ .

(٩) الوشاء ، الموشي ، ص ٩٩ .

(١٠) أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ ، ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ ٩ ، ص ٢٠٨ .

(١١) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ٢٩٣ .

(١٢) الإقط اللبن حين يطبخ ثم يوضع في وعاء خوص أو خرق حتى يقطر ماؤه ، أنظر: ابن سيدة ، المخصص ، جـ ٥ ، ص ٥٠ . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٩ ، ص ١٢٥ .

(١٣) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، جـ ١ ، ص ٤٤٠ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ١٥ .

أما عن **أطعمة المناسبات** ، فإنه كان لكل مناسبة إسم خاص بها ، فكان يطلق لفظ الوليمة على طعام العرس ، والاعذار على طعام الختان ، والخرس على طعام الولادة ، والنقيعة على طعام القادم من السفر ، والوكيرة على طعام الاحتفاء ببناء الدور ، والمأدبة على طعام الضيوف[١] .

وقد ذكرت بعض الأطعمة التي كانت تقدم في بعض المناسبات كالزواج فكانت العادة أن الزوج يولم ، ويدعو الناس للمشاركة في هذه الوليمة ، فيحضرون ويأكلون ثم يباركون له الزواج[٢] . يروي الأصفهاني أن صدقة بن عبيد المازني أولم عندما تزوج بعشر جفان ثريداً من لحم الجزور[٣] . وقد وجد في الحجاز من كان يصنع طعام العرس فيشتريه من أراد أن يتزوج ويولم ، فيروي الأصفهاني أن أبا اسماعيل بن يسار النسائي كان يصنع طعام العرس ويبيعه[٤] .

وكانت تقام الاحتفالات وتقدم الأطعمة في حفلات الختان التي كان يصاحبها الغناء أحيانا[٥] ، فيروي الفاكهي أن المغيرة الجمحي عندما ختن ابنه موسى عمل طعام الاعذار ، وكان القوم يضربون بالعود ويغنون[٦] . ويقول عكرمة مولى ابن عباس : « ختن ابن عباس ابناً له فأرسلني فدعوت اللعابين فأعطاهم أربعة دراهم »[٧] . وعندما ختن زيد بن ثابت الأنصاري بنته دعا المهاجرين والأنصار وعامة أهل المدينة على الثريد والشواء[٨] . كما ختن

---

(١) ابن سيده ، المخصص ، جـ ٤ ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٢٩٢ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ١٢٣ .

(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٧٠ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٤٠٨ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٢٥١ . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٣٠ .

(٦) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٧ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٨ .

(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٧ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ٤ ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

عطاء بن أبي رباح ابنه ، فعمل الأطعمة ودعا الناس لتناولها بهذه المناسبة[١] .

أما العقيقة فكانت تذبح للمولود في اليوم السابع من ولادته ، وكانت في الغالب شاة[٢] ، الا أنه مع اتساع الثراء ، كان بعض الناس يسرف في عمل الأطعمة بهذه المناسبة ، فيروي الرشيد بن الزبير أن عبد الله بن عامر ابن كريز لما ولد له ولد ، أطعم فالوذجاً على ألف خوان لمدة سبعة أيام ، فلما كان اليوم السابع عق عنه بألف شاة[٣] .

## الأشربة :

لقد كان هناك عدة أشربة يعملها السكان في نجد والحجاز فيروي وكيع أن سعد بن ابراهيم بن عوف قاضي المدينة قال عن شراب عمله : « إني آمر الجواري فيعمدن الى الزبيب فينقينه عن أقماعه وحبه ، ثم آمر به فيدق في المهراس[٤] ثم يصب عليه الماء ، ثم أصفيه ، فآخذه »[٥] . ومن الأشربة الأخرى العسل[٦] واللبن[٧] ، ويقول ذو الرمة كان إذا نزل بنا نزيل قلنا له : الحليب أحب اليك أم المخيض[٨] . وكان بعض السكان يضيفون السكر الى الحليب ويشربونه ، ويسقونه لضيوفهم[٩] .

---

(١) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٨ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ - ٢٨١ .

(٢) مالك ، الموطأ ، ص ٢٢٦ .

(٣) الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ١١١ .

(٤) المهراس هي الآلة التي يدق بها . أنظر: ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ١٣٣ .

(٥) وكيع ، أخبار القضاة ، جـ ١ ، ص ١٦٦ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٥ ، ص ٤٩٢ . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٢٣ . الجزري ، غاية النهاية ، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ .

(٧) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، جـ ١ ، ص ٤٤٠ ، أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، جـ ١ ، ص ٣٢ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٣٨٩ ، التنوخي ، المستجاد من فعلات الأجواد ، ص ١١ .

(٨) الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ .

(٩) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

ويعتبر السويق[١] من الأشربة المنتشرة بين السكان في الحجاز بدليل ورود ذكره في عدد من المصادر[٢] . يروي الأزرقي أن رملة بنت عبد الله بن عبد الملك بن مروان اشترت داراً في مكة ، وتصدقت بها على الحجاج والمعتمرين ، وكان في دهليز هذه الدار أشربة من أسوقة محلاة ومحمضة تسقى في الموسم ، وقد ظلت هذه الدار حتى سقوط الدولة الأموية[٣] . كما كان الخليفة هشام بن عبد الملك يقدم في موسم الحج أشربة من أسوقة محلاة ومحمضة[٤] . وعندما سئل الإمام مالك عن شرابه قال : في الصيف السكر وفي الشتاء العسل[٥] . وكان بعض السكان يشربون السمن، فيروي الزبير بن بكار أن عامر بن عبدالله بن الزبير كان يشرب السمن[٦] .

## مظاهر الزينة :

أما عن مظاهر الزينة ، فقد شاع استعمال الخضاب عند الرجال الذين كانوا يخضبون رؤوسهم ولحاهم بالحناء للحمرة ، كما كان يفعل محمد بن الحنفية[٧] ، وعلي بن الحسين[٨] ، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق[٩] وعبد الله بن عباس[١٠]، والحسين بن علي[١١]، ومحمد بن المنكدر[١٢]

(١) السويق ، شراب يتخذ من الحنطة والشعير ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ١٢ ، ص ٣٦ . وانظر : ابن سيدة ، المخصص ، جـ٥ ، ص ٨ - ٩ .

(٢) انظر : ابن سعد ، الطبقات ، جـ٤ ، قسم ١ ، ص ١٠٩ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ٨ ، ص ٢٢٤ ، جـ١٧ ، ص ٢٥ ، جـ٢٠ ، ص ٢٠٣ .

(٣) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٦١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٤٦١ .

(٥) عياض ، ترتيب المدارك ، جـ١ ، ص ١١٥ ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ص ١٩ .

(٦) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ١ ، ص ٢٧٧ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٥ ، ص ٨٤ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٨٤ .

(٩) البستي ، كتاب مشاهير علماء الامصار ، ص ١٥ .

(١٠) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ٣ ، ص ٣١ ، معرفة القراء الكبار ، جـ١ ، ص ٤١ .

(١١) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ٣ ، ص ١٢ .

(١٢) البستي ، المصدر السابق ، ص ٦٥ .

وثعلبة بـن أبي مالك[1] . كما كان البعض يستعمل الكتم[2] إضافة الى الحناء[3] . واستعمل البعض للخضاب الوَسْمة[4] ، كما كان يفعل نافع بن جبير بن مطعم[5] . ومن الألوان التي كانت شائعة الخضاب بالزعفران للصفرة كما كان يفعل عبد الله بن جعفر[6] ، وعبد الله بن كثير[7] . ويروي ابن سعد أن عبد الله بن عمر كان يصفر لحيته بخلوق الورس[8] حتى يملأ منه ثيابه[9] بينما كان البعض يصبغون بالسواد ، كعمرو بن عثمان بن عفان[10]. وكان بعض الرجال يخضب يديه أو أطراف أصابعه بالحناء ، كما كان يفعل المغني عبيد بن سريج[11]. ويقول ربيعة الرأي الذي توفي سنة **١٣٦ هـ / ٧٥٣م** : « لقد رأيت مشيخة بالمدينة ، وإن عليهم الغدائر ، وإن عليهم الممصر والمورد ، وفي أيديهم المخاصر ، وفي أيديهم أثر الحناء في هيئة الفتيان ودين أحدهم أبعد من الثريا إن أريد على دينه »[12].

وقد كان بعض الفتيان يجعلون لهم غدائر، فيروي الزبير بن بكار أن

---

(١) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(٢) الكتم: نبت فيه حمرة يخلط مع الحناء ويصبغ به، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٥ ، ص ٤١١ .

(٣) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٦١ ، البستي ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

(٤) الوسمة شجر له ورق يختضب به . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٦ ، ص ١٢٣ .

(٥) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ ، البستي ، المصدر السابق ، ص ٧٨ . وانظر: عمن كان يختضب بالوسمة، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، جـ ٥ ، ص ٤٥٢ ، البستي ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٩ .

(٧) الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، جـ ١ ، ص ٧٢ .

(٨) الورس نبت أصفر باليمن يصبغ به . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٨ ، ص ١٤١ .

(٩) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ قسم ١ ، ص ١٣٢ .

(١٠) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١١٢ ، وانظر : الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ١٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٣٠٦ .

(١١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ .

(١٢) الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص ٥١٧ ، وانظر : أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ٢٦٢ .

محمد بن عروة بن الزبير كانت له غديرتان[١] ، بينما كان البعض الآخر يفرقون شعورهم ويرجلونها[٢] ، فيروي ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز كان إذا صلى الجمعة ، أمر الحرس أن يقفوا على أبواب المسجد ، ولا يمر عليهم رجل مصفف شعره لا يفرقه الا جزوه[٣] . ويروي الأصفهاني أن سكينة بنت الحسين كانت أحسن الناس شعرا ، وكانت تصفف جمتها تصفيفاً لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك ، وكانت تلك الجمة تسمى السكينية ، وكان عمر ابن عبد العزيز إذا وجد رجلا يصفف جمته السكينية جلده وحلقه[٤] .

وانتشر بين السكان استعمال الطيب كالمسك والكافور والعنبر والغالية[٥] ، فكان عبد الله بن عباس يكثر من استعمال المسك[٦] حتى أنه إذا مر في الطريق قال الناس هذا ابن عباس أو رجل معه مسك[٧] . وكان عبد الله بن الزبير يكثر من استعمال المسك أيضاً[٨] . ويروي الزبير بن بكار أن عثمان بن عروة بن الزبير كان يكثر من وضع الغالية ، وكان حين يقوم من مصلاه ، يأتي الناس الى مكانه يسلتون الغالية من على الحصباء مما أصابها من لحيته[٩] . وكان عبد الله بن عمر يتطيب للجمعة[١٠]والعيدين ، كما كان يأمر بثيابه أن تجمر بالطيب كل جمعة[١١]. وكانت رائحة العطر تفوح من

---

(١) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٢٧٧ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٤٤ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٨٢ .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٦ ، ص ١٤٤ .

(٥) الغالية نوع من الطيب يركب من المسك والعنبر والعود والدهن ، انظر: صناعة الطيب في الفصل الثالث من الباب الأول .

(٦) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ ٣ ، ص ٣٠٤ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٣٠٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٣٠٦ .

(٨) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ ٣ ، ص ٣٠٣ .

(٩) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ .

(١٠) مالك ، الموطأ ، ص ٨٧ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ قسم ١ ، ص ١١٢ .

(١١) نفس المصدر ، ص ١١٢ ، ١١٧ .

محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان[١] ، وكذلك عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً على المدينة ، فيذكر ابن عبد الحكم أنه كان يعصف ريحه[٢] ويروي الأصفهاني أن عمر بن عبد العزيز بالمدينة كان يكثر من الطيب ، حتى أن بعض الأهالي كان يعطي الغسال الدراهم الكثيرة لكي يغسل ثيابهم في أثر ثياب عمر من كثرة الطيب فيها[٣] .

وكان شد الأسنان بالذهب معروفاً ؛ فيروي ابن سعد أن نافع بن جبير بن مطعم كان يشد أسنانه بخرصان الذهب[٤] . كما كانوا يلبسون الخواتم الفضية للزينة ، فيروي ابن بكار أن حمزة بن مصعب بن الزبير كان يلبس خاتماً من فضة فصه ياقوتة صفراء[٥] . وكان خاتم القاسم بن محمد من الفضة[٦] ، أما الإمام مالك فكان فص خاتمه حجراً أسود[٧] . وكانوا يتختمون في اليد اليسرى ، وقد فعل قوم آخرون مثل هذا ، كالحسين بن علي[٨] ، ومحمد ابن الحنفية[٩] ، ومالك بن أنس[١٠] ، والقاسم بن محمد[١١] . كما كان بعض الرجال يكتحل بالإثمد وغيره للزينة والعلاج[١٢] .

أما مظاهر الزينة للنساء فقد أخذت المرأة بنصيب وافر من العناية بزينتها

---

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ١٢٣ .
(٢) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٥ .
(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ٢٦٢ ،
(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٥٢ .
(٥) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ .
(٦) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .
(٧) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، جـ ١ ، ص ١١٤ .
(٨) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ١٢ .
(٩) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٨٥ .
(١٠) عياض ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .
(١١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٤١ .
(١٢) نفس المصدر ، ص ٨٥ ، مالك ، المدونة ، جـ ٢ ، ص ٤٥٧ ، عياض ، المصدر السابق ، ص ١١٤ ، ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٦٨ .

وهيئتها ، ففي هذا العصر كانت المرأة تمتشط وتختضب بأنواع الزينة[1] المختلفة . بل إن بعض النساء كانت لها ماشطة خاصة ، فيروي الأصفهاني أن عائشة بنت طلحة كانت لها ماشطة خاصة[2] ، وكانت تعتني بطيبها وعطرها ، فقد دعت يوماً نسوة من قريش ، وأجلستهن في مجلس نضد فيه الريحان والفواكه والطيب والمجمر[3] . ويروي ابن سعد أن بعض النساء كنَّ يسوِّدْن شعورهن باللون الأسود[4] ، كما كن يكتحلن[5] . ويمكن معرفة مظاهر الزينة من دراسة ما منعت منه المرأة ابان فترة الحداد ، فقد قال الإمام مالك : «إن المحتدة لا تلبس من الثياب المصبغة ولا من الحلي شيئاً ولا يطيبوها بشيء من طيب وأما الزيت فلا بأس به . . . ولا بأس أن يلبسوها من الثياب ما أحبوا رقيقه وغليظه »[6] .

ومن مظاهر التزين عند النساء لبس الحلي ، وقد تعددت الحلي وتنوعت أصنافها لكل عضو من الأعضاء التي توضع فيها الزينة ، كالخواتم والخلاخل والأساور والأقراط[7] ، والقلائد[8] ، والعقود[9] . وتزينت النساء بأجمل الحلي والمجوهرات المصنوعة من الذهب والفضة ، فقد بعث معاوية ابن أبي سفيان الى عائشة ـ رضي الله عنها ـ طوقاً من ذهب فيه جوهرة قوّمت بمئة الف دينار[10]. وكانت سكينة بنت الحسين تلبس سوارين من ذهب في

---

(1) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ .
(2) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١١ ، ص ١٨٩ .
(3) نفس المصدر ، ، ص ١٨٣ .
(4) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٨ ، ص ٣٥٧ .
(5) مالك ، المدونة ، جـ ٥ ، ص ٤٣١ ، عمر بن أبي ربيعة ، ديوان عمر بن أبي ربيعة ، جـ ١ ، ص ٨٨ ، ، ٩٧ .
(6) مالك ، المدونة ، جـ ٥ ، ص ٤٣١ .
(7) نفس المصدر ، ، ص ٤٣٢ .
(8) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٨ ، ص ٤٣٢ ، ٣٤٣ . وانظر : الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، جـ ٢ ، ص ٢٨ .
(9) مالك ، المدونة ، جـ ٢ ، ص ٢٤٧ .
(10) الأبشيهي ، المصدر السابق ، ، ص ٢٨ .

عضديها وزن الواحد أربعون مثقالا[١] ، كما كانت تلبس ابنتها الرباب اللؤلؤ[٢] . ويروي ابن سعد أن فاطمة بنت علي بن أبي طالب كانت تلبس مسكاً غلاظاً في كل يد اثنين اثنين وفي يدها خاتماً وفي عنقها خيطاً فيه خرز[٣] . ويروي الطبري أن فاطمة وزينب ابنتي علي بن أبي طالب كانتا تضعان الأسورة والدمالج في عضديهما[٤] وكانت زينب بنت فاطمة تضع الأقراط في أذنيها[٥] . ويروي الإمام مالك أن عبد الله بن عمر كان يحلي بناته وجواريه ، فلا يخرج من حليهن الزكاة[٦] . وكانت عائشة بنت سعد بن أبي وقاص تلبس قلائد من الذهب ، وخاتمين من الفضة في اللتين تليان الخنصر[٧] . وكانت الثريا بنت علي بن عبد الله بن أمية تتختم في أصابعها العشر[٨] ، ويعلق أحد الرواة على ذلك بقوله : بأن النساء في العصر الأموي كن يتختمن في أصابعهن العشر[٩] . ولم تقتصر الزينة على الرجال والنساء ، بل كانوا يحرصون على تزيين الأطفال بجميع أنواع الحلي ، كالخلاخل في الأرجل والأساور من الذهب[١٠]، وعقود اللؤلؤ[١١] .

**الأعياد :**

إحتفل سكان نجد والحجاز كالمسلمين الآخرين **بعيدي الأضحى**

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١٧ ، ص ٤٥ - ٤٦ .
(٢) نفس المصدر ، جـ١٩ ، ص ١٢٧ الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٤٢ .
(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٨ ، ص ٣٤٢ .
(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ، جـ٥ ، ص ٤٦٣ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٤٥٢ .
(٦) مالك ، الموطأ ، ، ص ١١٦ .
(٧) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٣٤٣ .
(٨) الأصفهاني ، الأغاني ، ، جـ١ ، ص ٢٣٠ .
(٩) نفس المصدر ، ص ٢٣٠ .
(١٠) مالك ، المدونة ، جـ٢ ، ص ٣٦٩ . وأنظر : الموطأ ، ص ١١٦ .
(١١) الأصفهاني ،الأغاني ، جـ١٩ . ص ١٢٧ . الاربلي . خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٤٢ .

**والفطر** ، فكان الوالي يخرج لصلاة العيدين في المسجد ، وبعد انتهاء الصلاة يتبادل السكان التهنئة بالعيد ، وكانوا يلبسون أحسن الملابس ويتطيبون[١] . كما كانت تعمل الأطعمة والأشربة في العيدين[٢] . وفي عيد الأضحى كانوا يذبحون الأضاحي ، فيروي الإمام مالك أن عبد الله بن عمر اشترى كبشاً أقرن من المدينة في عيد الأضحى ، ثم ذبحه بعد الصلاة[٣] . ولم تقتصر الزينة في الأعياد على حواضر المدن ، بل كان سكان البادية يتزينون ، في الأعياد ، فيروي الأصفهاني نقلا عن الزبير بن بكار أن نساء البادية في العصر الأموي كن « يتزين ويبدو بعضهن لبعض ، ويبدون للرجال في كل عيد[٤] » .

أما الألعاب والاحتفالات التي كانت تقام بمناسبة الأعياد ، فلا تفصّل لنا المصادر ذكرها ، الا أن الفاكهي يروي أن أهل مكة كانوا يلعبون بالكُرَّك[٥] في الأعياد ، فكان لكل حارة من حارات مكة كرك يعرف بهم ، يجتمعون له ويلعبون به في كل عيد[٦] .

## الحمامات :

وعرف سكان الحجاز في العصر الأموي **الحمامات** ، وقد شيدت على نظام لا يسمح للمستحم التعرض للهواء نتيجة الانتقال السريع من البرد الى الحر أو العكس ، فكانت تتكون من ثلاثة أقسام[٧] ، فيروي ابن سعد أن عبد الله بن عمر ذهب الى الحمام في المدينة فدخل البيت الأول ، ثم دخل البيت الثاني ، ثم دخل البيت الثالث ، وكانت المياه التي تستخدم

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١١٢ .
(٢) نفس المصدر ، جـ ٥ ، ص ١٦١ .
(٣) مالك ، الموطأ ، ص ٢١٣ .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٩٨ .
(٥) الكرك هو الكرج الذي يلعب به كما يقول ابن منظور ، انظر: لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ٣٦٩ .
(٦) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ١٠ .
(٧) ابن سعد ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١١٣ .

للاستحمام دافئة[1] . وكان عبد الله بن عمر يقول : « الحمام من النعيم الذي أحدثوه »[2] وقد أصدر عمر بن عبد العزيز أوامره الى أصحاب الحمامات بمنع دخول أي شخص الى الحمام بدون إزار[3] والا تعرضوا للعقاب ، وكان عبد الله بن عمر لا يدخل الحمام بدون إزار[4] .

## - وسائل الإنتقال :

أما عن **وسائل الإنتقال** ، فقد استخدم سكان نجد والحجاز في تنقلاتهم الإبل[5] ، لأنها سفينة الصحراء ، تتحمل الجوع والعطش وتلائم الظروف الطبيعية القاسية . وتذكر المصادر أن عمر بن عبد العزيز عندما وُلي المدينة حمل متاعه على ثلاثين بعيراً لنقلها الى المدينة[6] . وكانت النجائب من الإبل من وسائل الانتقال التي يستخدمها الأغنياء ، فيروي الأصفهاني أن عمر بن أبي ربيعة كان يركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع الديباج[7] وكذلك المغني ابن سريج[8] . وكانت النجائب تكرى للتنقل ما بين مكة والمدينة[9] .

وتعتبر الخيل من مراكب الأغنياء أيضاً ، وكانوا يهتمون بزينتها حتى أسرفوا في ذلك ، فيروي الأصفهاني أن عمر بن أبي ربيعة كان له فرس أدهم

---

(١) نفس المصدر ، ص ١١٣ .

(٢) الكتاني ، ، التراتيب الادارية ، جـ ١ ، ص ٩٥ .

(٣) ابن سعد ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٦٣ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١٢٧ .

(٥) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ص ٣٦٩ ، البلاذري ، أنساب الأشراف، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ١٣٦ ، جـ ٥ ، ص ١٢٦ ، ١٣٠ ، ٣٦٠ ، البستي ، مشاهير علماء الأمصار ، ص ٧٨ ، عمر بن أبي ربيعة ، الديوان ، جـ ١ ، ص ٨٩ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٢٧ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ، ص ٢٨٤ ، الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ ٥ ، ص ١٨٨ ،

(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٢٢١ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٢٥٨ .

(٩) نفس المصدر ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

في عنقه طوق من ذهب[1] . ولم يكن بمكة أحد أحسن هيئة من الأبجر « كانت حلته بمائة دينار وفرسه بمائة دينار ومركبه بمائة دينار »[2] . وكانت الخيل من المراكب المهمة في نجد، فيروي الفيروزأبادي نقلاً عن الأصمعي أن رجلاً من نجد وفد على الوليد بن عبد الملك ،وكان معه فرس له أعرابية .[3] .

ومن مراكبْ الأغنياء أيضاً البراذين ؛فيروي ابن قتيبة أن سعيداً بن العاص كان له برذونان أشهبان[4] . ويذكر الزبيري بأن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب عندما أوصى بأولاده، ابراهيم بن محمد بن طلحة، كان يوسع عليهم في النفقة ويحملهم على البراذين ويكسوهم الخز[5] . ومن المراكب الأخرى البغال ؛ فيروي ابن الجوزي أن جعفر بن محمد كانت له بغلة يستخدمها في تنقلاته[6] ، وممن كان يركب البغال أيضاً علي بن الحسين[7] ، وعبيد بن سريج[8] . وتذكر المصادر أن عائشة بنت طلحة عندما حجت في إحدى السنوات كان معها ستون بغلاً تحمل الأثقال[9] . وقد استخدمت الحمير في الركوب والتنقل[10] ، كما استخدمها التجار في نقل السلع[11] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٥٩ .

(٢) نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٣٤٥ .

(٣) الفيروز أبادي ، المغانم المطابة ، ص ٩٦ .

(٤) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ ٤ ، ص ٤٣ ،ويقول ابن قتيبة : بأن البراذين ضأن الخيل . انظر : نفس المصدر ، ص ٧٣ .

(٥) الزبيري ، نسب قريش ، ص ٢٨٥ .

(٦) ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ، جـ٢ ، ص ٦٢ .

(٧) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ٣٩ .

(٨) الأصفهاني ، ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٢٥٩ .

(٩) نفس المصدر ، جـ ١١ ، ص ١٨٨ . السبكي ، طبقات الشافعية ، جـ ١ ، ص ٣١٣ .

(١٠) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ٣ ، ص ٣١٥ ، المعارف ، ص ٤٧٩ ، ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٦٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ١١٣ ، ابن الجوزي ، تنوير الغبش ، ص ١٨١ .

(١١) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٢٦ .

## عادات الزواج والطلاق :

كان الزواج يتم عن طريق الخطوبة ثم عقد القران[١] وكانت العادة أن يخطب الشخص لنفسه ، أو يرسل من يقوم بهذا العمل نيابة عنه ، فيروي ابن سعد أن عروة بن الزبير خطب من عبد الله بن عمر ابنته سوده فزوجه إياها[٢] . وقد عرف مجتمع الحجاز ما يعرف الآن بالخاطبات، فيروي البلاذري أن مصعب بن الزبير طلب من حبَّى المدينيَّة أن تبحث له عن زوجة فدلته على عائشة بنت طلحة[٣] .

لقد أوجب الاسلام على الرجل دفع مهر أو صداق ، لكنه لم يحدد مقداره ، لذلك اختلفت المهور في العصر الأموي ، حسب المكانة الاجتماعية ، والغنى والفقر للزوجين . وقد ذكرت المصادر بعض مهور الأغنياء ، فقد أمهر مصعب بن الزبير سكينة بنت الحسين مليون درهم[٤] . كما أمهر عائشة بنت طلحة نصف مليون درهم وأهدى لها مثل ذلك[٥] . وأمهر الفرزدق النوار في مكة عشرة آلاف درهم[٦] ، وتزوج سعيد بن العاص أم كلثوم بنت عليّ على مئة ألف درهم[٧] . وتزوج طلحة بن عمر فاطمة بنت القاسم بن محمد فأصدقها ثلاثمائة ألف درهم[٨] . وتزوج الجعد بن مِهْجع من بني عذرة بمهر قدره ألف دينار[٩] ، وتزوج عبد العزيز بن مروان ليلى بنت

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ قسم ١ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، وانظر : ابن بكار، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٢٢٣ .

(٢) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٢٨٢ ، وانظر أيضاً : أبو سرحان ، المرجع السابق ، ص ٣٨١

(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، ، جـ ١٦ ، ص ١٥٠ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ١١ ، ص ١٨١ . ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ص ٢٥٨ ، المعارف ، ص ٢٣٣ .

(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ٣٣٠ .

(٧) ابن بدران ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، جـ ٦ ، ص ١٤٢ .

(٨) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٦١ .

(٩) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١١ ، ص ١٧٤ .

عاصم بن عمر بن الخطاب على مهر قدره أربعمائة دينار[١] . وأمهر محمد بن خالد بن الزبير مريم بنت مسكين بـن عبد الله بن أبي معقل عشرين ألف درهم[٢] . وتزوج يزيد بن عبد الملك سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان على عشرين ألف دينار ، وربيحة بنت محمد بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك[٣] . وأمهر الحجاج بـن يوسف ابنة عبد الله بن جعفر تسعين ألف دينار[٤] . وتزوج رجل من أهل مكة على ابنة عم له على مهر قدره أربعمائة دينار[٥] . وكان المغـيرة بن عبد الرحمن لا يزوج بناته في المدينة إلّا على مهر قدره ألف دينار[٦].وتزوج يحي بن أبي حفصة مولى عثمان على ابنة ابراهيم بن النعمان الأنصاري على مهر قدره عشرون ألف درهم[٧] .

وأحياناً يدفع المهر عيناً، فيروي أبو عبيدة أن الفرزدق الشاعر تزوج حدراء بنت زيق بن بسطام على مئة من الإبل[٨] . وتزوج يحي بن أبي حفصة خولة بنت مقاتل بن قيس بن عاصم من حجر في نجد وأمهرها أثواباً وكسوة[٩] .

ويبدو أن الطبقات الفقيرة كانت تدفع مهراً أقل بكثير من مهور الأغنياء ، فقد يتزوج الرجل بشق درهم[١٠]. وتذكر المصادر أن سعيد بن المسيب زوج ابنته ، وكانت من أحسن النساء على صداق قدره درهمان من كثير بن أبي

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص٢٤٣ - ٢٤٤ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص٦٣ - ٦٤ ، المنتظم ، ص٤٥٣ ، الاربلي ، المصدر السابق ص١٨ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٤ ، ص١٣ .

(٣) البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٧ ، ص١٨٦ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٥ ، ص ١٢٤ .

(٤) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ١٢٢ .

(٥) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٤٥ .

(٦) الزبيري ، نسب قريش ، ، ص٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٧) المبرد ، الكامل ، جـ ٢ ، ص٧٣ .

(٨) أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، جـ ٢ ، ص ٨٠٦ .

(٩) المبرد ، ، الكامل ، جـ ٢ ، ص٧٣ .

(١٠) ابن قتيبة ،عيون الأخبار ، جـ ٢ ، ص ٢٢١ .

وداعة[1] .

وكانت العادة المتبعة أن يولم الشخص المتزوج ، ويدعو الناس لهذه الوليمة[2] . كما كان الغناء يصاحب حفلات الزواج أحياناً ، فيروي ابن عبد ربه نقلا عن الأصمعي أن طويس المغني كان يتغنى في عرس رجل من الأنصار[3] . وعندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة نهى عن الضرب ببعض الآلات الموسيقية ولم يأذن الا بالدفاف على أن يقتصر ذلك على حفلات الزواج[4] .

وإذا حدث أن طلق الرجل زوجته كان عليه أن يمتعها عملاً بالآية الكريمة ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتّقين ﴾[5] . وقد اختلف في تحديد المتعة فقال ابن عباس أعلاها خادم وأدناها كسوة[6] ، وقال مالك ليس لها حد لا في قليل ولا في كثير[7] ، الا أن بعض الفقهاء جعلها ثلاثة دنانير على من يتسلم العطاء[8] . وقد متع عبد الله بن عمر زوجته حين طلقها خادماً[9] ، ومتع عروة بن الزبير زوجته حين طلقها جارية سوداء[10]. ويروي ابن كثير أن الحسن بن علي بن أبي طالب متع زوجته بعشرة آلاف درهم ، وزِقٍ

---

(١) الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ ٥ ، ص ٤٢٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٤٤٢ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٣٧٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ١٠٠ . وفي رواية اخرى أنه زوجها من ابن أخيه على صداق قدره درهمان . انظر : ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٠٢ .

(٢) أنظر: طعام المناسبات في هذا الفصل .

(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٢٩ .

(٤) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٢٥ ، الخربوطلي ، المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

(٥) البقرة ، أية ٢٤١ .

(٦) مالك ، المدونة ، جـ ٥ ، ص ٣٣٤ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٨) نفس المصدر ص ٣٣٤ .

(٩) نفس المصدر ، ص ٣٣٤ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٣٣٤ .

من عسل[١] . أما الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان فقد متع سكينة بنت الحسين بعشرين الف دينار[٢] .

## عادات الوفيات والجنائز :

أما عن التقاليد التي كانت متبعة في الوفيات ، فقد كان الميت يغسل ويوضع في جسمه الحنوط[٣] ، ثم يكفن بالثياب ، ويصلى عليه ، ثم يوارى في قبره . فيروي ابن سعد أن واقد بن عبد الله بن عمر توفى بالسقيا ، فكفنه أبوه في خمسة أثواب فيها قميص وعمامة[٤] . وكفن سعد بن أبي وقاص في جبة لقي فيها المشركين يوم بدر[٥] . وكفن محمد بن علي بن الحسين في قميص وإزار وبرد يماني[٦] . وكانت العادة أن يوضع الحنوط على جسم الميت ، الا أن البعض كان يوصي قبل موته بعدم وضعه على كفنه أو جسمه ، فيروي ابن سعد أن عروة بن الزبير أوصى ابنه هشام بن عروة بأن لا يذروا عليه الحنوط[٧] .

وعندما تشيع الجنازة كان يصاحبها بعض الرجاز وحملة المجامر ، فيروي ابن سعد أن سعيد بن المسيب أوصى أهله بأن لا يضرب على قبره فسطاط ، ولا يمشي في جنازته راجز أو حامل مجمر[٨] . وكانت الأسواق تتوقف عند موت الأشراف ، فيروي الأصفهاني أن الأسواق رفعت عندما توفيت إبنة الحسين بن علي[٩] . وعندما توفي الحسن بن علي بن أبي طالب مكث

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٣٨ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٦ ، ص ١٥١ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، ، جـ ٥ ، ص ١٣٥ ، ص ٣٠٠ ، ابن كثير ، المصدر السابق جـ ٨ ، ص ٣٤٢ .

(٤) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٥١ .

(٥) ابن كثير ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٦) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

(٧) نفس المصدر ، ص ١٣٥ .

(٨) نفس المصدر ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٩) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٩ ، ص ١٤٦ .

الناس يبكون سبعاً ما تقام الأسواق[١] .

ومع أن الاسلام حرم النياحة ، وشق الجيوب ، وضرب الخدود الا أنها كانت من العادات الموجودة في العصر الأموي[٢] . فيروي ابن عبد الحكم أن عمر بن عبد العزيز كتب الى بعض عماله يقول : « ذكر لي أن نساء من أهل السفه والجفاء يخرجن الى الأسواق عند موت الميت ، ناشرات رؤ وسهن ينحن نياحة أهل الجاهلية ، ولعمري ما رخص للنساء في وضع خمرهن مذ أمرن أن يضربن ( بخمرهن ) على جيوبهن ، فانه عن هذه النياحة نهياً شديداً ، وتقدم الى صاحب شرطكم فلا يقرن نوحاً في دار ولا طريق . . . »[٣] وتذكر المصادر أنه بعد موقعة قديد سنة **١٣٩ هـ / ٧٤٦م** ، والتي قتل فيها عدد كبير من أهل المدينة ، كانت كل امرأة تقيم النوائح على زوجها المقتول ومعها النساء[٤] . ومن عادات الحزن التي كانت موجودة في الحجاز نياحة المرأة على زوجها وهي قائمة ، فيروي الأصفهاني أن عائشة بنت طلحة ناحت على زوجها عمر بن عبيد الله بن معمر وهي قائمة ، وكانت المرأة في ذلك العصر إذا ناحت على زوجها وهي قائمة ، عرف أنها لا تريد أن تتزوج بعده[٥] .

وكانت القبور مجرد حفر يوضع فيها جسد الميت ثم يوارى بالتراب ولا

---

(١) الطبري ، المنتخب من كتاب ذيل المذيل ، ص ١٢١ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ، جـ ٢٤ ، ص ١٦٤ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، جـ ٥ ، ص ١١٠ ، ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ، جـ ١ ، ص ٤٩٥ . وعن النياحة ، انظر : ابن فهد ، اتحاف الورى ، ص ٣٩٣ ، الأصفهاني ، ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٣٦٠ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ص ٣١٤ .

(٣) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٠٦ ، وانظر نفس المعنى تقريباً في ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٩٠ .

(٤) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٣١٥ - ٣١٦ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢٣ ، ص ٢٣٠ ، النويري ، نهاية الأرب ، جـ ١٩ ، لوحة ١٥٣ ، ابن فهد ، اتحاف الورى ، ص ٣٩٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ص ٣١٤ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٣٨١ .

يبنى عليه شيء ، الا أنه يرش بالماء بعد دفنه ، فيذكر ابن سعد عمن رأى قبر سعيد بن المسيب وقد رش بالماء[١] . ويروي أنه كان على قبر عبيد الله ابن عبد الله بن عمر فسطاط ، وقد رش على قبره الماء[٢] . ويروي ابن سعد عن زيد بن السائب قوله : « شهدت خارجة بن زيد فرأيت الماء يرش على قبره »[٣] .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، ، جـ ٥ ، ص ١٠٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٩٤ .

# الفصل الثالث

# المجالس الاجتماعية ووسائل التسلية

- مجالس العلماء
- مجالس القصّاص
- مجالس الشعر والأدب
- مجالس الطرب والغناء
- مجالس المنادرة والمفكاهة
- وسائل التسلية :
  - الشطرنج
  - الكرّك
  - الصنج
  - سباق الخيل
  - المسابقة والمناضلة والمصارعة
  - الصيد
  - وسائل التسلية للأطفال

# الفصل الثالث

## المجالس الاجتماعية ووسائل التسلية

عرف المجتمع في الحجاز ونجد عدة أنواع من المجالس الاجتماعية ، كمجالس العلماء والفقهاء ، ومجالس القصاص ، ومجالس الأدب والشعر ، ومجالس الطرب والغناء ، ومجالس المرح والتنادر ، إضافة الى مجالس الأنس والتسلية والتي قصد منها السمر البريء . وقبل أن نتناول هذه المجالس الاجتماعية نود أن نبين أن المجتمع في الحجاز في العصر الأموي ، كان ينقسم تقريباً الى قسمين ، القسم الأول ويمثله العلماء كالمحدثين والمفسرين والفقهاء والأدباء ومن جرى مجراهم ، ممن نذروا حياتهم للحياة العلمية الجادة الوقورة . أما القسم الثاني فهم المغنون وأصحاب الترف واللهو والتنادر ومن جرى مجراهم مما سنوضحه فيما بعد .

كان المسجد خلال العصر الأموي ، كما كان على عهد الخلفاء الراشدين مركزاً من مراكز الحياة العامة ، يجتمع فيه الناس ، وتدرّس فيه العلوم والآداب والتفسير والحديث والفقه[1] . لهذا أصبحت المساجد مراكز تهذيبية وتعليمية كان لها أكبر الأثر في نشر الوعي الديني الصحيح عن طريق المجالس العلمية التي كانت تعقد فيها . لقد قام العلماء بعقد المجالس

---

(١) البسوي ، المعرفة والتاريخ ، جـ١ ، ص٥١٢ ، ابن سعد ، الطبقات جـ٢ ، قسم ٢ ، ص ١٢٢ ، جـ٥ ، ص٩٦ ، ١٤٠ .

العلمية في المساجد لتعليم المسلمين وتفقيههم في شؤون الدين ، فكان العالم يقوم مقام المدرس ويحضر حلقته جميع أفراد المجتمع دون تمييز ، فيشرح لهم المسائل الشرعية ، .ويجيب على الأسئلة التي كانت توجه اليه[١] . وساعد على كثرة المجالس العلمية أن اقليم الحجاز في العصر الأموي ، امتلأ بجمهرة كبيرة من العلماء ، الذين هرعوا اليه ينشدون الاطمئنان بعيداً عن الفتن والقلاقل فكثر عددهم ، حتى امتلأت بهم حلق الدروس في المساجد . وخير مثال على ذلك ، سعيد بن جبير الذي فر من الحجاج في العراق واستقر في مكة[٢] .

وخلال الفتنة التي حدثت بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان عاد عبد الله بن عباس الى مكة واستقر بها ، وتفرغ للحياة العلمية دون أن تشغله الخلافات أو الفتن ، فإتخذ مقعده في المسجد الحرام يلقي دروسه في مجالسه العلمية في التفسير والحديث والأدب والفقه والتاريخ[٣] . واتسعت حلقة ابن عباس في المسجد الحرام ، وهرع الظامئون الى مناهل العلم المختلفة ،وكثر رواد هذا المجلس العلمي ، فيروي ابن سعد أن بعض رواد هذا المجلس كانوا يأتون ابن عباس للشعر والأنساب ، وآخرين لأيام العرب ووقائعها[٤] ، ويروي البسوي نقلا عن عطاء بن أبي رباح قوله : ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس ، أصحاب الفقه يسألونه ، وأصحاب القرآن يسألونه ، وأصحاب العربية يسألونه ، وأصحاب الشعر يسألونه ، كلهم يصدر في واد واسع[٥] . ونتيجة لكثرة رواد مجلس ابن عباس في المسجد

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٢ قسم ٢ ، ص١٢٢ ، جـ٥ ، ص٩٦ ، ١٤٠ ، البسوي، المعرفة والتاريخ ، جـ١ ، ص ٥٢٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨، ص ٣٠١ ، وانظر : مليحة رحمة الله ، الحالة الاجتماعيةفي العراق ،ص ١٢٨ . (٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٦ ، ص ٤٨٨ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٢ ، قسم ٢ ، ص ١٢٢ ، البسوي ، المصدر السابق ، ص ٥١٢ ، ٥٢٠ . وانظر : أحمد السباعي ، تاريخ مكة، جـ١ ، ص ١٠٥ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٢ ، قسم ٢ ، ص ١٢١ .

(٥) البسوي ، المعرفة والتاريخ ، جـ١ ، ص٥١٢ ، ٥٢٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٨ ، ص ٣٠١ .

الحرام ، خصص يوماً كان يجلس فيه لتدريس الفقه ، ويوماً للتفسير ، ويوماً للمغازي ، ويوماً للشعر ، ويوماً لأيام العرب ووقائعها[1] .

وتخرّج من مجلس ابن عباس عدد من العلماء ، الذين ساروا على نهج ابن عباس ، فكانوا يجلسون في المساجد ويلقون دروسهم في مجالسهم العلمية ، ومن هؤلاء مجاهد بن جبر ، وعطاء بن أبي رباح ، وطاووس بن كيسان ، وسعيد بن جبير ، وجابر بن زيد ، وعمرو بن دينار ، وعكرمة مولى عبد الله بن عباس[2] . وإضافة الى المجالس العلمية التي كان يعقدها هؤلاء العلماء في رحاب المسجد الحرام ، فقد كانت هناك مجالس خاصة يجتمع فيها هؤلاء العلماء يتناقشون فيما بينهم ، فتذكر المصادر نقلا عن حبيب بن أبي ثابت قوله : « إجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم أبدا ، عطاء ، وطاووس وسعيد بن جبير ، وعكرمة ومجاهد ، فأقبل سعيد ومجاهد يلقيان على عكرمة التفسير فلم يسألاه عن آية إلا فسرها لهم »[3] .

أما في المدينة المنورة فكثرت المجالس العلمية ، وممن اشتهر فيها زيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقد كان زيد بن ثابت كما يقول قبيصة فيما يرويه ابن سعد « مترئساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض » حتى توفي سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م[4] . فكان يعقد المجالس العلمية في الفقه ليفتي أهل المدينة وغيرهم من المسلمين الآخرين[5] . أما عبد الله ابن عمر فكان بارزاً في علم الحديث[6] ، وكانت المجالس التي يعقدها تدور حول ذلك . وتخرج على أيدي هؤلاء العلماء وغيرهم من الصحابة ، عدد

---

(١) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص١٢٢ .
(٢) البسوي ، المصدر السابق ، ص٧١٣ - ٧١٤ .
(٣) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ٣ ، ص٣٢٦ .
ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٩ ، ص٢٤٥ .
(٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٢ ، قسم ٢ ، ص١١٦ .
(٥) نفس المصدر ، ص١١٧ .
(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٢ ، قسم ٢ ، ص ١٢٥ ، أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ١٧٥ .

من العلماء الذين ساروا على نهجهم في عقد المجالس العلمية في المساجد ، والإجابة على أسئلة الناس ، لذلك أصبح المسجد النبوي من أهم مراكز العلم في الدولة الأموية ، فصار مقراً لمجالس العلم ، ومنطلقاً مهماً لدراسات الفقه والأصول[١] ، حتى أصبح الناس يفضلون مجالس العلم في المدينة على غيرها من الأمصار الأخرى لشهرة علمائها . فعندما عين عبد العزيز بن مروان والياً على مصر أبقى ابنه في المدينة التي ولد فيها[٢] ، لتلقي العلم ولم يحضره الى مصر[٣] . كما كتب الى صالح بن كيسان ، مولى معيقيب ، لكي يتعهده ويشرف عليه[٤] .

ومن أشهر علماء التابعين في المدينة المنورة سعيد بن المسيب ، وكان من تلاميذ زيد بن ثابت . فيروي ابن سعد نقلاً عن سليمان بن يسار أن سعيد ابن المسيب كان يجالس زيد بن ثابت وابن عباس وأبا هريرة ، ويستفيد من علمهم[٥] . لقد كانت حلقة سعيد تعقد في المسجد النبوي في المدينة[٦]

---

(١) البسوي ، المصدر السابق ، ص ٤٧٠ ، حسين الأمين ، المسجد المعهد الأول للتعليم عند المسلمين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية، العدد ٢٢ ، ١٩٦٨ م ، ص ١٧ .

(٢) اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها عمر بن عبد العزيز كما اختلفوا في البلد التي ولد فيها أيضا ، فبينما تذكر بعض الروايات أنه ولد سنة ٦١هـ/ ٦٨٠ م ( ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ ، الذهبي، تاريخ الاسلام ، جـ ٤ ، ص ١٦٤ ، الأزدي ، تاريخ الموصل ، ص ٥ ) نجد روايات أخرى تذكر أنه ولد سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م ( ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٤٣ ، ابن الجوزي ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٤ ) ، بينما يروي الطبري أنه ولد سنة ٦٢هـ/٦٨١م ( تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٢٧ ) .أما عن البلد التي ولد فيها فتذكر المصادر أنها مصر ، ( ابن خياط،المصدر السابق ، ص ٣٢٨ ،ابن كثير ،البداية والنهاية ،جـ٩،ص ١٩٢). بينما يذكر ابن عبد الحكم أنها المدينة المنورة ، ( ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٤ ) . والذي يبدو أن مولده كان في المدينة لأن والده عبد العزيز بن مروان لم يتقلد ولاية مصر الا في سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م كما يقول ذلك الكندي . انظر : ولاة وقضاة مصر ، ص ٤٨ .

(٣) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٤ .

(٤) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٤ ، ص ١٦٤ ، ابن الجوزي ، سيرة عمر ، ص ٧ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٢ ، قسم ٢ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٩٧ .

ويبدو أن هذه الحلقة استمرت أربعين سنة[١] ، كما يبدو أنه خصص يوم الجمعة للأسئلة ، فيروي ابن سعد أنه كان إذا صلى الجمعة أقبل على جلسائه فيسألونه[٢] . ويدلنا على كثرة المجالس العلمية في المسجد النبوي ، وقيمة مجلس سعيد بن المسيب ما رواه البسوي من قول أبي اسحق : « كنت أرى الرجل في ذلك الزمان وإنه ليدخل المسجد يسأل عن الشيء من فقه ، . . . فيدفعه الناس من مجلس الى مجلس . . . حتى يدفع الى مجلس ابن المسيب »[٣] . أما القاسم بن محمد فكان يجلس بين القبر والمنبر في المسجد النبوي ، فيأتيه الناس ، فيجلسون اليه ، يأخذون عنه العلم ، ويسألونه عن مشكلاتهم[٤] . ويذكر ابن سعد أن مجلس القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر كان واحداً ، ثم جلس فيه بعدهما عبد الرحمن بن القاسم وعبيد الله بن عمر ، ثم جلس فيه بعدهما مالك بن أنس[٥] .

وترتب على تطور الحياة الاجتماعية في أواخر القرن الأول الهجري ، وازدياد القضايا الفقهية التي تحتاج الى اجتهاد العلماء فيها أن تكوّن مجلس فقهي من سبعة من أبرز فقهاء المدينة ، كان يطلق عليهم الفقهاء السبعة . ففي هذا المجلس كانت تطرح المسائل الفقهية ، كما كان القضاة يرجعون اليهم في المسائل القضائية المهمة ، فكانوا يجتمعون ويتداولون القضايا الفقهية ليجتمعوا فيها على رأي موحد . فيروي البسوي نقلاً عن عبد الله بن المبارك قوله : « كان فقهاء أهل المدينة الذين كانوا يصدرون عن رأيهم سبعة : سعيد ابن المسيب وسليمان بن يسار وسالم بن عبد الله والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عتبة وخارجة بن زيد بن ثابت . . وكانوا إذا جاءتهم المسألة دخلوا جميعاً فنظروا فيها ، ولا يقضي القاضي حتى ترفع اليهم

---

(١) نفس المصدر ، ص ٩٨ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٩٨ .
(٣) البسوي ، المعرفة والتاريخ ، جـ ١ ، ص ٤٧٠ .
(٤) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .
(٥) نفس المصدر ، ص ١٤٠ .

فينظرون فيها فيصدرون »[1] . ويروي ابن سعد أن القاسم بن محمد كان يجلس بعد العشاء مع أصحابه يتحدثون[2] . وربما كان هؤلاء الأصحاب هم بقية الفقهاء السبعة ، ومن المحتمل أنه كانت تدور في هذا المجلس مباحثات الفقهاء السبعة الفقهية ، الا أن ابن سعد لم يوضح ذلك . ولقد صدر عن هذا المجلس الفقهي عدة آراء فقهية عالجت كثيراً من القضايا المتجددة في الحجاز في ذلك العصر ، وكان لها أهمية بالغة .

ونظرا لأهمية الآراء الفقهية التي صدرت عن مجلس الفقهاء السبعة نجد المستشرق شاخت Schacht ، ينفي وجود هذا المجلس الفقهي ، ويبذل قصارى جهده في نسف الآراء الفقهية التي صدرت عنه معتبراً أن نسبتها الى هؤلاء الفقهاء السبعة لا يمكن أن يكون صحيحا[3] . ونفيه لوجود هذا المجلس لا يستند على أساس ، والأدلة الكثيرة تؤكد وجوده ، ومن هذه الأدلة أن عبد الله بن المبارك الذي عاش ما بين سنة ١١٨ - ١٨١هـ/ ٧٣٦ - ٧٩٧م ، يشير الى هذا المجلس الفقهي ، ويؤكد بأن الفقهاء السبعة كانوا يجتمعون لمناقشة القضايا الفقهية المتجددة ، ليصدروا فيها عن رأي موحد ، كما يؤكد بأن القضاة كانوا يرجعون الى هذا المجلس في القضايا الفقهية المهمة[4] .

ثم إن المجالس الفقهية كانت موجودة في المدينة قبل مجلس الفقهاء السبعة ، فقد ظهرت هذه المجالس في وقت مبكر ، مثل المجالس التي كان يعقدها أبو بكر الصديق ، فيروي الدارمي أن أبا بكر الصديق كان إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله ، فإن لم يجد نظر في سنة رسول الله . فإن أعياه أن يجد في كتاب الله ، أو سنة رسول الله (ﷺ) ما يقضي به بين

---

(١) البسوي ، المعرفة والتاريخ ، جـ ١ ، ص ٤٧١ . وانظر نفس المعنى في: ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، جـ ٣ ، ص ٤٣٧ . ابن بدران ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ، جـ ٦ ، ص ٥١ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٤٠ .

(٣) Schacht , The Origins of Muhammedan Jurisprudence , p . 225 .

(٤) البسوي ، المعرفة والتاريخ ، جـ ١ ، ص ٤٧١ ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، جـ ٣ ، ص ٤٣٧ .

الخصماء « جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به . . »[1] .

ومما يؤيد وجود مجلس الفقهاء السبعة كذلك ، وجود آراء فقهية مروية عنهم ، ولقد قام أحد الباحثين بجمع هذه الآراء ، وتتبع سندها حتى أثبت صحة نسبتها الى مجلس هؤلاء الفقهاء السبعة . ويقول صاحب البحث « أما فقه جماعة السبعة فقد وجدنا أن أبا الزناد ألف كتاباً في هذا الموضوع وإنه لمن المؤسف حقاً أننا لم نجد هذا الكتاب مستقلاً في وقتنا الحاضر ، بل نرى أن نصوصه قد بثت في كتاب السنن الكبرى للبيهقي (ت٤٥٨) وفي المدونة الكبرى لسحنون ( ت ٢٤٠ ) . . . ولذا فإن المدونة والسنن الكبرى هما أكبر المصادر في فقه جماعة السبعة »[2] .

وعندما تولى عمر بن عبد العزيز إمـرة المدينة في عهد الوليد بن عبد الملك كون مجلساً استشارياً رسمياً من عشرة من فقهاء المدينة ، كان من بينهم ستة من الفقهاء السبعة وهم : عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله ابن عتبة وأبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عامر بـن ربيعة ، وخارجة بن زيد . وتذكر المصادر أن عمـر بن عبد العزيز قال لهم : « ما أريد أن أقطع أمراً الا برأيكم أو برأي من حضر منكم »[3] . وعلى الرغم من أن الفقيه السابع سعيد بن المسيب كان غير موجود ضمن هؤلاء الفقهاء ، الا أن عمر بن عبد العزيز اعتاد أن يستفيد من

---

(١) الدرامي ، سنن الدرامي ، جـ ١ ، ص ٥٨ .
(٢) عبد الله صالح الرسيني ، فقه الفقهاء السبعة وأثره في فقه الامام مالك ، ص ٩٤ .
(٣) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .
الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٦ ، ص ٤٢٧ ، وانظر :
الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٣٢٦ ،
ابن الجوزي ، سيرة عمر ، ص ٢٥ ،
الكتبي ، عيون التواريخ ، جـ ٥ ، ص ١٨٨ .

آرائه من غير أن يأتي اليه ، فيروي ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز كان لا يقضي بقضاء ، حتى يسأل سعيد بن المسيب[١] .

واستمرت مجالس العلماء في الحجاز ، فتذكر المصادر أن علي بن عبد الله بن عباس كان إذا قدم الى مكة جلس في المسجد الحرام ، فتعطل قريش مجالسها في المسجد الحرام وتلزم مجلسه[٢] . وفي بداية القرن الثاني الهجري كان مجلس ربيعة بن أبي عبد الرحمن ( ربيعة الرأي ) في المسجد النبوي . وكان يحضر هذا المجلس مالك والحسن بن زيد ، وأشراف أهل المدينة[٣] . ولم تقتصر المجالس العلمية على المساجد ، إنما كانت تعقد في سوق المدينة، فيروي السمهودي أن يحيي بن سعيد ، كان يحدث عن سعيد بن المسيب عند أصحاب العباء في السوق[٤] .

أما عن المجالس العلمية في منطقة نجد ، فإن ابن سعد يذكر لنا أنه نزل اليمامة عدد من الفقهاء المحدثين ، كضمضم بن حوس الهفاني ، وهلال ابن سراج الحنفي ، ويزيد بن عبد الرحمن السحيمي ، وعبد الله بن أسود، ويحي بن أبي كثير ، وعكرمة بن عمار العجلي ، وأيوب بن عتبة[٥] . ومن المحتمل أن هؤلاء الفقهاء كانوا يعقدون المجالس العلمية ،ويحضر دروسهم بعض أفراد المجتمع في نجد ، ليسألوهم عن المسائل الشرعية التي كانت تواجههم .

أما مجالس القصاص ، فكانت إحدى المجالس الاجتماعية في الحجاز ، وكانت غالباً ما تعقد في المساجد[٦] ، حيث يلتف الناس حول

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٢ ، قسم ٢ ، ص ١٣٠ - ١٣١ .
(٢) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧ ،
ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ٢ ، ص ٦٠ .
(٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٢ ، ص ٥١ ( طبعة القاهرة : ١٣٦٧/ ١٩٤٨ ) .
(٤) السمهودي ، وفاء الوفاء ، جـ ٤ ، ص ١٢٢٩ .
(٥) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١١٩ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٢٧ ،

القاص الذي يقوم بإرشادهم وتذكيرهم بالله ، وحثهم على اتباع الطريق المستقيم ، والاقتداء بسنة رسول الله (ﷺ) وكان من بين القصّاص بعض الأئمة والقراء، فيروي الجاحظ أن مسلم بن جندب الهذلي ( ت سنة ١٠٦هـ/ ٧٢٥م ) ، كان قاص مسجد رسول الله في المدينة ، وكان إمام أهلها وقارئهم[١] ، ويقول عنه عمر بن عبد العزيز « من سره أن يسمع القرآن غضاً فليسمع قراءة مسلم بن جندب »[٢] . وأول من قص في مكة عبيد بن عمير ابن قتادة الليثي[٣] ، وقيل الأسود بن سريع التميمي الصحابي[٤] . ويبدو أن عبيد بن عمير كان بليغاً في عرض القصص المليئة بالعبرة ، حتى أن بعض الصحابة كان يحضر مجلسه ويستمع الى قصصه ويتأثر منها[٥] . فتذكر المصادر أن عبد الله بن عمر كان يحضر مجلس عبيد بن عمير ، ويبكي عند سماع قصصه حتى تبتل لحيته من دموعه[٦] . ومن القصّاص الآخرين الذين كانوا يقصون في الحجاز ، سعيد بن جبير ، فيروي الأبشيهي أن سعيد بن جبير ، كان لا يقص إلا أبكى بوعظه[٧] . وكان عبد الله بن كثير قاص الجماعة في مكة[٨] . أما المدينة فكان يقص فيها أيضاً أبو حازم المدني مولى

---

= الجاحظ ، البيان والتبين ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ، ابن كثير، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٥ .

(١) الجاحظ ، البيان والتبين ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ، ويذكر الذهبي أن مسلم بن جندب كان يقص في المدينة ، انظر : الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، جـ ١ ، ص ٦٦ .

(٢) الجاحظ ، المصدر السابق ، ص ٣٦٨ ، أحمد كمال زكي ، شعر الهذليين ص ٧٢ .

(٣) ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ١٩٤ ، وأنظر : أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ٣ ، ص ٢٦٧ ، الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، جـ ١ ، ص ٤٩٦ ، متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص ١٤٧ .

(٤) ابن رستة ، للمصدر السابق ، ص ١٩٤ .

(٥) ابن سعد، الطبقات ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١١٩ ، الجاحظ ، البيان والتبين ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ص ٥ .

(٦) ابن سعد ، المصدر السابق ، ص ١١٩ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٥ .

(٧) الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ ، أحمد الحوفي، الفكاهة في الأدب العربي ، ص ٣٠ .

(٨) الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، جـ ١ ، ص ٧٢ .

بني ليث[1] ، وسلمان أبو عبد الله الأغر مولى جهينة[2] .

وظهر قصّاص آخرون كانوا يهدفون إلى الكسب المادي ، ويتخذون القصص مهنة يعيشون من ورائها ، فيروي الأصفهاني أن أحد القصّاص في العصر الأموي ، قدم الى المدينة ، وكان يقص في رفقته ، وفيها ألف بعير ، فقام أحد موالي عبد الله بن عمرو بن عثمان وصرف الناس عنه ، فجاء القاص الى عبد الله بن عمرو بن عثمان وقال : « إن مولاك هذا قد ضيق علي معيشتي »[3] . ويبدو أن السواد الأعظم من الذين كانوا يحضرون مجالس هؤلاء القصاص من العامة[4] ، لأن أرباب العقول كانت تصرفهم الدراسات الجدية في مختلف العلوم ، التي توفرت أسبابها بوجود عدد من العلماء في الحجاز[5] .

وقد تعرض العلماء للقصاصين الكذابين ففضحوهم أمام المستمعين ، واتهموهم بالكذب ، فيروي اليعقوبي أن الحسن بن علي بن أبي طالب مر على قاص يقص على باب مسجد رسول الله (ﷺ) فقال الحسن : « ما أنت ؟ فقال : أنا قاص يا ابن رسول الله ، قال : كذبت ، محمد القاص . قال الله عز وجل : ﴿فأقصص القصص﴾ . قال : فأنا مذكر . قال : كذبت محمد المذكر ، قال له عز وجل : ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ . قال فما أنا ؟ قال : المتكلف من الرجال »[6] .

أما مجالس الشعر والأدب ، فكانت تعقد أحياناً في المسجد ويؤيد هذا

---

(1) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٧٩ .
(2) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٢١٠ .
(3) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٩ ، ص ١٤١ .
(4) انظر : ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، ص ٣٥٥ - ٣٥٧ ، العمري ، بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، ص ١٨ - ١٩ .
(5) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٢ ، قسم ٢ ، ص ١٢٢ ، جـ ٥ ، ص ٩٧ ، ١٤١ . البسوي ، المعرفة والتاريخ ، جـ ١ ، ص ٥٢٠ .
(6) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

ما رواه أبو عبيدة من أن الفرزدق قدم المدينة في ولاية ابان بن عثمان بن عفان ( ٧٥ ـ ٨٢هـ/ ٦٩٤ ـ ٧٠٢م ) وجلس يتناشد الأشعار في المسجد النبوي مع كُثَيِّر عزّة وابراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص[١] . ويروي الأصفهاني أن سعيد المساحقي دخل مع نوفل بن مساحق المسجد النبوي ، فمرا على سعيد بن المسيب ، وحوله جلساؤه ، فسلّما فرد عليهما السلام ، ثم قال سعيد لنوفل : « يا أبا سعيد ، من أشعر : صاحبنا أم صاحبكم ؟ يريد : عبد الله بن قيس ، أو عمر بن أبي ربيعة » ، فجعلا يستعرضان شعرهما ، فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر ،جعل سعيد يستغفر الله ،فلما انصرفا قال سعيد المساحقي لنوفل : « أتراه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله (ﷺ) ؟ فقال : كلا !هو كثير الإنشاد والإستنشاد للشعر فيه ، ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه »[٢] . كما أنشد الشاعر نصيب عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً على المدينة قصيدة في المسجد النبوي[٣] . وعندما قدم الشاعر نصيب الى الطائف ، وجلس في إحدى مجالس ثقيف ، جعل ينشدهم من أشعاره[٤] .

وفي مكة المكرمة كان بعض العلماء ينشد الشعر في المسجد الحرام، فيروي الأصفهاني أن عبد الله بن عباس جلس في المسجد الحرام وعنده ناس من الخوارج يسألونه ، فأقبل عمر بن أبي ربيعة ، وجلس في مجلس ابن عباس ، فأقبل عليه ابن عباس وقال : أنشدنا ، فأنشده عمر بن أبي ربيعة قصيدة من نظمه ، وجلساء ابن عباس يسمعون[٥] . ويروي ابن سعد أن ابن عباس كان يسأل عن تفسير القرآن ، فيجيب مستشهداً بأبيات من الشعر[٦] .

---

(١) أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، جـ٢ ، ص٥٤٦ ـ ٥٤٧ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ٩ ، ص ٣٣٧ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١ ، ص١١٣ - ١١٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٤٥ .

(٤) نفس المصدر ، ص٣٦٣ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٧٢ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٢ ، قسم ٢ ، ص ١٢١ .

وفي منطقة نجد قامت مجالس الشعر كذلك وكان مجلس الشاعر جرير ابن الخطفي من أبرز المجالس الشعرية في نجد . يروي الأصفهاني أن جريراً كان يوماً جالساً في مجلس مع أصحابه في حجر ، فإذا راكب قد أقبل فسأله جرير عن جهته التي قدم منها ، فقال : من البصرة ، وأعلمه بموت الفرزدق . فقال المهاجر بن عبد الله الكلابي : لو رثيته لكنت أكرم العرب وأشعرها ، فرثاه جرير بقصيدة رائعة[١] .

ولم تقتصر مجالس الشعر والأدب على الرجال ، بل شاركت النساء في ذلك ، فيروي الأصفهاني أن الشاعر نصيب قدم مكة ليلا ، فدخل المسجد الحرام ، فبينما هو جالس ، إذ طلع ثلاث نسوة فجلسن قريباً منه ، وجعلن يتحدثن ويتذاكرن الشعر والشعراء ، وخاصة شعر جميل بثينة ، وكثير عزة ، ونصيب ، فكن يوازنّ بين هؤلاء الشعراء[٢] .

ومن المجالس الاجتماعية ما كان يهتم بأيام العرب ، فيروي الزبير بن بكار أن مالك بن عمارة اللخمي ، وعبد الملك بن مروان ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعروة بن الزبير كانوا يجلسون في ظل الكعبة ، ويخوضون في فنون الأحاديث وأيام العرب[٣] . ويذكر السدوسي أن عبد الله بن عدي ـ أحد أفاضل قريش وعلمائهم ـ كان يجلس في مجلس يسمى « مجلس القِلَادَة » . وكان كل شرف وعلم في قريش يعرض في هذا المجلس[٤] . ويبدو أن المناقشات التي كانت تدور في هذا المجلس على جانب من الأهمية لأن

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٨٨ . ومن أبيات هذه القصيدة :

فلا وضعت بعد الفرزدق حامل ولا ذات بعل من نفاس تعلت
هو الوافد الميمون الراتق الثأي إذا النعل يوماً بالعشيرة زلت

وانظر أيضاً : الأغاني ، جـ ٢١ ، ص ٣٨٧ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٣٧٧ .

(٣) الزبير بن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص ٢١٠ ، أبو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، جـ ٢ ، ص ٧٠ .

(٤) السدوسي ، كتاب حذف من نسب قريش ، ص ٤٢ .

معاوية بن أبي سفيان كان يكثر السؤال عن هذا المجلس وعن الأخبار التي كانت تعرض فيه[1] .

وهناك مجالس الأنس والسمر ، التي كان يعقدها العامة في الحجاز ، ومن هذه المجالس مجلس الأُقْحُوَانَة ، فقد كان مجلساً يخرج اليه أهل مكة « يتحدثون فيه بالعشي ويلبسون الثياب المحمرة والموردة والمطيبة وكان مجلسهم من حسن ثيابهم يقال له الأُقْحُوانَة »[2] . ولم تقتصر مجالس الأنس والسمر على الرجال ، بل شاركت النساء في ذلك ، فكن يجتمعن ويتحدثن في شتى فنون المعرفة[3] .

وبجانب هذه المجالس الوقورة ، كان في الحجاز أيضاً مجالس أخرى تهتم بالطرب والغناء والمنادرة والتسلية . لقد انتشر الغناء في مدن الحجاز في العصر الأموي لا سيما في مكة والمدينة ، فيروي المسعودي ، أنه في أيام يزيد بن معاوية ظهر الغناء بمكة والمدينة ، واستعملت الملاهي[4] . وفي هذا العصر ظهرت مجالس الطرب والغناء التي اشترك فيها عدد كبير من المغنيين ، وفاق الغناء في الحجاز مثيله في العراق والشام . ويعود هذا التفوق في الغناء إلى عدة عوامل مؤثرة ، منها أن الحجاز هو المكان الذي خرج منه الفاتحون العرب لنشر الاسلام وإعلاء كلمة الله ، ثم عادوا اليه ، وبين سباياهم مئات الجواري من الفارسيات والروميات اللاتي تربين في بيوت الملوك والأمراء ، فأجدن الغناء والموسيقى ، ونقلن ذلك الى الحجاز ، وصبغنه بالصبغة العربية[5] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٤٢ .

(٢) الأزرقي ، أخبار مكة ، ص ٤٨٦ .

(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٣٧٧ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٦٩ .

(٥) ابن خلدون ، العبر ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ ،
أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ص ١٧٩ ،
الخربوطلي ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، ص ٣٢٣ ،
Gibb, Arabic Literature, p. 44.

ثم إن الموالي كان لهم دور كبير في نقل الألحان الفارسية والرومية وصبغها بالصبغة العربية ، فيروي الأصفهاني أن سائب خاثر ، مولى عبد الله ابن جعفر ، كان أحد الذين نقلوا الألحان الفارسية الى الغناء العربي ، لأنه كان يجيد الغناء الفارسي بجانب الغناء العربي[1] . وكان سلم بن محرز ، مولى بني مخزوم ، يسافر الى الشام وفارس ليتعلم الألحان الفارسية والرومية ، فأخذ غناءهم ، وأسقط « من ذلك ما لا يستحسن من نغم الفريقين ، وأخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض وألف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب »[2] . ويروي الأصفهاني أن عود ابن سريج كان على صنعة عيدان الفرس[3] .

ومن ناحية أخرى تدفقت الأموال على الحجاز خلال العصر الأموي - كما سبق أن أوضحنا - من العطاء والأعطيات والتجارة ، فانصرفت طائفة من مجتمع الحجاز بما لهم من مال وفير ، وجاه عزيز ، وفراغ كبير ، عن الحياة الجادة ، الى اللهو والطرب والغناء[4] .

ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار الغناء في الحجاز ، وتطوره وجود الشعراء الغزليين ، كعمر بن أبي ربيعة والعرجي والأحوص ونصيب وجميل بثينة وكثير عزة ، وغيرهم من الشعراء الذين كانوا ينظمون الشعر للمغنين . فقد كان ابن سريج يغني بشعر عمر بن أبي ربيعة[5] ، وكذلك ابن عائشة[6] ، وعزة الميلاء[7] . ويروي الأصفهاني قول أبي نافع الأسود :

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٣٢١ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٥٠ .

(٤) نفس المصدر ، جـ ١٧ ، ص ١٦٤ ، المبرّد ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ ، أحمد أمين ، فجر الاسلام ص ١٧٩ ، الخربوطلي ، المصدر السابق ، ص ٣٢٣ .

(٥) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٢١١ .

(٦) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٢٧ .

(٧) نفس المصدر ، جـ ١٧ ، ص ١٦٤ .

« إذا أعجزك أن تطرب القرشي فغنه غناء ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة فإنك ترقصه »[١] . وكان المغنيان معبد ومالك الطائي يغنيان بشعر الأحوص[٢] .

ومهما كانت العوامل التي أثرت في ازدهار الغناء في الحجاز ، فقد كثر المغنون والمغنيات في العصر الأموي ، وبخاصة في مكة والمدينة ، وكانوا يقيمون المجالس الغنائية التي كان يحضرها الناس للاستماع الى الغناء[٣] . ومن أشهر المغنين في الحجاز في العصر الأموي طويس ، وسائب خاثر ومعبد وابن عائشة ، وعبيد بن سريج ، والغريض ، وسعيد بن مسجح ، وسلم بن محرز ، وعطرد ، ومالك الطائي ، ويونس الكاتب . أما المغنيات فمن أشهرهن عزة الميلاء وجميلة وسلامة القس وحبابة . وقد كان بعض هؤلاء المغنين يغنون في مكة كابن سريج والغريض ، والبعض الآخر يغني في المدينة كمعبد وطويس وجميلة وعزة الميلاء وسائب خاثر[٤] . أما عن الآلات الموسيقية التي كان يستخدمها هؤلاء المغنون والمغنيات فكان أشهرها الصنج[٥] ، والقضيب[٦] ، والطبل ، والمزمار ، والعقود ، والطنبور[٧] ، والمزهر[٨] ، والبرابط[٩] ، وعندما تولى عمر بن عبد العزيز

(١) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٢٤٦ .

(٣) المبرد ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ ، الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٩ ، جـ ١٧ ، ص ١٦٤ .

(٤) عن المغنين في الحجاز ، انظر : الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٢٠٩ ، وما بعدها .

(٥) الصنج : قطعتان من الصفر يضرب أحدهما بالآخر ، وقيل الصنج ذو الأوتار الذي يلعب به ، واللاعب به يقال له الصنّاج والصناجة . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ .

(٦) القضيب ، كل نبت من الأغصان يقضب ، وقيل العود اللطيف الدقيق . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ .

(٧) الطنبور ، هي الألة التي يلعب بها ، معربة . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ١٧٥ .

(٨) المزهر ، العود الذي يضرب به . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٥ ، ص ٤٢٢ . ويروي الأصفهاني أن عزة الميلاءأقبلت ، فوضع في حجرها المزهر ، فضربت به ، ثم تغنت ، انظر : الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٧ ، ص ١٦٥ .

(٩) البربط العود أعجمي ليس من ملاهي العرب فأعربته حين سمعت به ، وقيل البربط ملهاة تشبه العود=

الخلافة نهى عن الضرب ببعض الآلات الموسيقية ، ولم يأذن الا بالدفاف على أن يقتصر ذلك على حفلات الزفاف[1] .

لقد اتخذ الغناء وسيلة من وسائل التسلية في الاجتماعات الصغيرة ، فيروي الأصفهاني أن مالك بن السمح نزل عند رجل من بني مخزوم في مكة ، وكان له غلام حائك يجيد الغناء ، فذهبوا اليه في بيته فجعل يغنيهم[2] . وكانت المجالس الغنائية تعقد في بيوت الناس، فيروي الأصفهاني أن ابن عائشة تغنى بشعر عمر بن أبي ربيعة في مجلس الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[3] . وكان بأطراف مكة دار يأتيها ابن سريج والغريض ، ويجتمع لهما الناس ، فيوضع لكل واحد منهما كرسي يجلس عليه ، ثم يتناقضان الغناء ويترادانه[4] . ويروي أبو عبيدة أن الشاعر الفرزدق عندما قدم الى المدينة نزل عند الأحوص بن محمد الأنصاري ، فجعل من ضمن قراه قينة تغنيه[5] .

وفي المناسبات الاجتماعية كالزواج والختان ، كانت تعقد مجالس الغناء ، فلقد تغنى طويس في عرس رجل من الأنصار[6] . ويروي الأصفهاني نقلا عن عوانة بن الحكم ، أن الدلال المغني ، تغنى في زفاف ابنة عبد الله ابن جعفر الى الحجاج بن يوسف[7] . أما حفلات الختان ، فكان بعضها

---

= فارسي معرب . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٩ ، ص ١٢٦ ، وانظر عن الآلات الموسيقية التي استخدمت في العصر الأموي : ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٣٦٠ ، جـ ١٧ ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، البغدادي، خزانة الأدب ، جـ ٢ ، ص ٢٣ ، شوقي ضيف ، العصر الاسلامي، ص ١٤١ .

(١) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر ، ص ١٢٥ .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٥ ، ص ١١٤ .

(٣) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٢٧ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٧٦ .

(٥) أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، جـ ٢ ، ص ١٠٤٨ .

(٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٢٩ .

(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٤ ، ص ٣٩٣ -٣٩٤ .

يصاحبها الغناء ، فيروي الأصفهاني أن أول يوم اشتهر فيه ابن سريج في الغناء ، هو اليوم الذي ختن فيه ابن مولاه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عندما بدأ يتغنى فيه[1] . كما شهد الغريض ختاناً لبعض أهله فغنى فيه[2] . ولا ريب أن هذه المناسبات الاجتماعية تعتبر من أحسن المناسبات للمجالس الاجتماعية ، حيث يجتمع الناس ، وتدور بينهم الأحاديث ويتعارفون .

وقد تعقد مجالس الطرب والغناء في بيوت المغنين والمغنيات ، حيث يحضرها الناس في أيام معينة . فيروي الأصفهاني أن جميلة المغنية عملت مجلس غناء في بيتها ، فعندما حضر الناس ، قامت الجواري صفين ، وجلست جميلة فغنت ثم دعت لكل جارية بعود وأمرتهن بالجلوس على كراسي صغار قد أعدتها لهن ، فبدأن يغنين على غنائها ، والناس يستمعون[3] . وكانت المغنية عزة الميلاء تغني في منزلها بشعر عمر بن أبي ربيعة ، وكان بعض الناس يغشونها للاستماع الى غنائها[4] . ومن المغنيات التي كانت تقيم مجالس الغناء في منزلها ، ويحضرها الناس للاستماع . عقيلة . وكان الأحوص ومعبد يرتادان منزلها ليستمعا الى غنائها وغناء جواريها[5] .

وكان العقيق مكاناً ملائماً للنزهة والغناء وتبادل الأشعار ، وعقد المجالس الاجتماعية المختلفة ، وقد اعتاد أهل المدينة الخروج للتنزه في هذا الموضع حيث الخضرة والماء والبساتين ، وخاصة في أيام الربيع والمطر[6] . لذلك كانت تقام مجالس الطرب والغناء بهذه المناسبة ، فتذكر

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٢٥١ .
(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٣٠ .
(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٩ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١٧ ، ص ١٦٤ .
(٥) المبرد ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ .
(٦) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٣ ، ص ٣٢ .

المصادر أن العقيق سال مرة ، فدخلت المياه عرصة سعيد بن العاص حتى امتلأت ، فخرج الناس ينظرون اليها ، وكان فيهم المغني ابن عائشة ، فطلب الناس منه أن يغنيهم فغناهم وحوله الناس مجتمعين[١] .

وكانت للمغنين والمغنيات مجالس يجتمعون فيها ويتغنون ، فيروي الأصفهاني أن معبداً المغني خرج من المدينة متوجهاً الى مكة ، فلما وصلها سأل عن المغنين وعن مكان اجتماعهم . فأعلم به فذهب اليه ، فوجدهم يجتمعون على الغناء والطرب ، ويقول معبد : « فأقمت عندهم شهراً آخذ منهم ويأخذون مني ثم انصرفت الى المدينة »[٢] . وفي بيت المغنية جميلة في المدينة كان يجتمع مغنو مكة والمدينة كابن سريج ، والغريض ، وابن مسجح ، وسلم بن محرز ، ومعبد ، وابن عائشة ، ليحكموها فيما بينهم[٣] . وكان بعض هواة الغناء يعطي الجوائز للمسابقة بين المغنين ، فيروي الأصفهاني أن معبداً قدم الى مكة فوجد ابن صفوان قد عمل مسابقة بين المغنين في منزله ، فاشترك في هذه المسابقة وغنّى صوتاً ، فأخذ الجائزة[٤] .

وكان بعض النابغين في الغناء والموسيقى يشتغلون بتعليم هذه الفنون للآخرين ، فيروي الأصفهاني أن جميلة المغنية كانت تجلس لتعليم الجواري الغناء[٥] . وكان ابن محرز مولى بني مخزوم ، يسكن المدينة مرة ومكة مرة ، فاذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلم الضرب من عزة الميلاء ثم يرجع الى مكة[٦] . وتتلمذ الغريض في الغناء على يدي المغني ابن سريج[٧] .

---

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٦ ، ص ٣٥ ،
الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، جـ ٢ ، ص ١٥١ ،
الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ -٢٠٦ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٥٧ -٥٩ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٨ ، ص ١٨٨ -١٨٩ .
(٤) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٤٠ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ٨ ، ص ١٨٧ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ .
(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٣٦٠ .

وكان بيت المغني معبد مركزاً لتعليم الجواري الغناء ، وكان من بين تلاميذ معبد سلامة[1] ، التي اشتهرت فيما بعد عند يزيد بن عبد الملك . ويروي الأصفهاني أن إحدى الجواري التي كان يعلمها معبد الغناء في بيته ، اشتهرت فيما بعد في الأهواز كأحسن مغنية[2] . ويبدو أن ظاهرة تعليم الغناء للآخرين قد استمرت في بداية العصر العباسي ، فيذكر الشافعي أن أحد العجائب التي رآها في المدينة ، شيخ كبير يدور على بيوت القيان يعلمهم الغناء[3] . وكان لبعض المغنيات ما يشبه الفرقة الموسيقية ، فيروي الأصفهاني أن جميلة أجلست الجواري ، فضربن على خمسين وتراً ، وكانت هي تغني على عودها[4] .

ويبدو أن أغلب الذين كانوا يحضرون مجالس الغناء هم طبقة المترفين وبعض العوام ، أما أرباب العقول والفكر فكانت تصرفهم الحياة العلمية الجادة ، التي توفر لها عدد من العلماء ، وكانوا يعقدون مجالسهم العلمية في رحاب المسجد الحرام والمسجد النبوي وغيرها من المساجد الأخرى[5] ، فكانوا لا يرغبون في الغناء ولا سماعه ، فلقد ذكر الغناء عند القاسم بن محمد ـ أحد الفقهاء السبعة ـ فقال : « أخبروني ، إذا ميز أهل الحق وأهل الباطل ففي أي الفريقين يكون الغناء؟ قالوا : في فريق الباطل ، قال : فلا حاجة لي فيه »[6] . وعندما دخل عثمان بن عروة بن الزبير أحد بيوت المدينة وسمع صوت عود يضرب به ، كر راجعاً وغادر المنزل[7] . وعندما قابل عطاء بن أبي رباح المغني ابن سريج قال له :«يا فتان ، فتنت الناس بأغانيك الخبيثة ،

---

(١) نفس المصدر ، جـ٨ ، ص ٣٣٤ .

(٢) نفس المصدر ، جـ١ ، ص ٤٨ .

(٣) السبكي ، طبقات الشافعية ، جـ٢ ، ص ٩٩ .

(٤) نفس المصدر ، جـ٨ ، ص ٢١٨ .

(٥) انظر المجالس العلمية التي كان يعقدها العلماء في بداية هذا الفصل .

(٦) الدينوري ، عيون الأخبار ، جـ١٠ ، ص ٩٠ .

(٧) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ١ ، ص ٣٠٧ .

الا تكف عما أنت عليه ! كفى الله الناس مؤنتك »[1] . وكان بعض الأشراف يلومون المغنين ويطلبون منهم ترك الغناء ، فيروي الأصفهاني أن عبد الله بن عمير الليثي طلب من ابن سريج ترك الغناء وعاتبه على ذلك[2] . ويذكر عبد الله بن جعفر فيما ينقله الأصفهاني أن كثيراً من الناس كان يكره الغناء لأنه يفتن القلب[3] .

ولم يقتصر العلماءووجوه الناس على عدم سماع الغناء فقط ، بل كانوا يعلنون معارضتهم لهذا النوع من اللهو ، فكانوا يطلبون من الولاة أن يضعوا حداً لهؤلاء الأشخاص المنغمسين في اللهو ، فيروي الأصفهاني أن أحد الولاة أرسل رسولاً الى المغنية عزة الميلاء ليقول لها « دعي الغناء ، فقد ضج أهل المدينة منك ، وذكروا أنك قد فتنت رجالهم ونساءهم »[4] . وعندما عين الوليد بن عبد الملك عثمان بن حيان المري والياً على المدينة سنة ٩٤ هـ/ ٧١٣ م زاره قوم من وجوه الناس وطلبوا منه أن يطهر المدينة من الفساد والغناء « فصاح في ذلك وأجل أهلها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة »[5] . وكان بعض ولاة المدينة ينظرون الى المغنين على أنهم سفهاء يجب عليهم لزوم المسجد وقراءة القرآن ، فيروي الأصفهاني أن بعض ولاة المدينة أخذ المغنين والسفهاء ، وأمرهم بلزوم المسجد النبوي لقراءة القرآن ، فكان المغني ابن عائشة يلازم أبا جعفر مولى ابن عياش بن أبي ربيعة المخزومي ، الذي كان يقرىء الناس القرآن[6] .

وفي الصيف كانت تكثر المجالس الاجتماعية في الطائف ، التي اتخذها أهل الحجاز مصيفاً لهم ، فكانوا يتخذون الضياع والحدائق ويعمرون

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١ ، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٣٠٣ .
(٣) نفس المصدر ، جـ ٨ ، ص ٢٢٩ .
(٤) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٧ ، ص ١٧٦ ـ ١٧٧ ، وانظر : Akel , op . cit . , p . 236 .
(٥) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٣٤١ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢١٥ .

القصور التي يأوون اليها في فترة الصيف ، نظراً لحسن جو الطائف ، ووفرة الخضروات والفواكه بها[1] . فيروي ياقوت أن معاوية كان يقول : « أغبط الناس عيشاً عبدي أو قال مولاي سعد وكان يلي أمواله بالحجاز ويتربع جدة ويتقيظ الطائف ويشتو بمكة »[2] . ويروي الأصفهاني أن عائشة بنت طلحة ، كانت تقيم في مكة سنة ، وفي المدينة سنة ، و« تخرج الى مال لها بالطائف عظيم وقصر لها فتتنزه وتجلس فيه بالعشيات ، فتفاضل بين الرماة »[3] . وكانت الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية ، تقضي فترة الصيف في الطائف[4] . ويبدو أن الشعراء كانوا يقصدون الطائف لإنشاد قصائدهم في مجالسها في فترة الصيف[5] .

وكانت بعض المجالس الاجتماعية تدور حول التنادر والمفكاهة التي تشيع الفرح والسرور ، فقد كان أشعب بن جبير ، مولى عبد الله بن الزبير يملأ مجالس أهل المدينة بفكاهاته التي كانت تدور حول الشره والبخل ، وكان أهل المدينة يقولون : « تعير كل شيء الا مشية برة ، وخبز أبي الغيث ، وملح أشعب »[6] . فمن فكاهاته التي كانت تدور في مجالس المدينة أنه أهدي اليه مرة غلام ، فذهب به الى أمه وخشى أن يخبرها بذلك فتموت فرحاً ، فقطع عليها الكلام قائلا : « وهبوا لي ، قالت : أي شيء ؟ قلت : غين ، قالت : أي شيء غين ؟ قلت لام ، قالت : وأي شيء لام ؟ قلت : ألف ، قالت : وأي شيء ألف ؟ قلت : ميم ، قالت : وأي شيء ميم ؟ قلت : غلام . فغشي عليها ، ولو لم أقطع الحروف لماتت »[7] . ويروي

(١) انظر الزراعة في الفصل الأول من الباب الأول .
(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٦ ، ص ١٥ ، ( طبعة القاهرة : ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦ م ) .
(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١١ ، ص ١٩٠ .
(٤) نفس المصدر ،جـ ١ ، ص ٢١٢ . البغدادي ، خزانة الأدب ، جـ ٢ ، ص ٢٤ .
(٥) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٩٠ . وانظر : جـ ١ ، ص ٣٦٣ .
(٦) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٤٥٨ ، القيرواني ، جمع الجواهر ، ص ٦٨ .
(٧) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٩ ، ص ١٣٩ ، وانظر : الميداني ،مجمع الأمثال، جـ ١ ، ص ٤٤٠ .

الأصفهاني أن أشعب نشأ في بيت عائشة بنت عثمان[1] ، فدفعته الى البزازين ليتعلم تجارة البز ، فقالت له بعد سنة : « أتوجهت لشيء ؟ قال : نعم ، تعلمت نصف العمل وبقي نصفه ، قالت : وما تعلمت ؟ قال : تعلمت النشر وبقي الطيّ »[2] .

لقد كان أشعب يجلس في مجالس أهل المدينة ويمتعهم بفكاهاته الحلوة ، كما كان يزورهم في بيوتهم[3] ، ويأكل معهم[4] . ويذكر الأصفهاني أن أشعب كان من أطيب أهل زمانه عشرة وأكثرهم نادرة[5] . وكان أهل المدينة يرتاحون لنوادر أشعب ويتناقلونها في مجالسهم ، ويتداولونها في أوقات فراغهم .

ولم يقتصر فن المنادرة على أشعب ، فقد شاركه في إشاعة الفكاهة والمرح في المدينة ، مندر آخر يدعى الغاضري ، فيروي الأصفهاني أن الغاضري كان مندر أهل المدينة ومضحكهم[6] . وقد أخذ مثل أشعب في مذهبه ونوادره ، فكان يجلس في مجالس قريش يحادثهم ويضحكهم[7] . ومن الظرفاء وأصحاب النوادر في المدينة الدلال مولى عائشة بنت سعيد بن العاص[8] . وكان أهل المدينة يضيفون الى الظرفاء وأصحاب النوادر عندهم طويس والدلال وهنب ، وكان الدلال أصغرهم ، الا أنه كان أكثرهم نادرة

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٩ ، ص ١٣٦ .
(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٩ ، وانظر : الميداني ، المصدر السابق ، ص ٤٤٠ ، القيرواني ، المصدر السابق ، ص ٦٨ . وعن فكاهات أشعب التي كانت تدور في مجالس أهل المدينة، انظر: الأصفهاني ، المصدر السابق، ص ١٣٩ ، وما بعدها . والميداني ، المصدر السابق ، ص ٤٣٩ ، وما بعدها .
(٣) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٩ ، ص ١٤٤ .
(٤) نفس المصدر ، ص ١٤١ ، ١٦٠ .
(٥) نفس المصدر ، ص ١٦٠ .
(٦) نفس المصدر ، ص ١٧٤ .
(٧) نفس المصدر ، ص ١٥٩ .
(٨) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٢٦٩ .

فكان إذا تكلم أضحك الثكلى[١] . ولعناية أهل المدينة بالفكاهة والمرح كان بعضهم يعمل عمل أشعب والغاضري ، لإشاعة الفكاهة والسرور في النفوس[٢] .

وكما ملأ أشعب والغاضري مجالس أهل المدينة بالمنادرة والدعابة ، فإن بعض أهل مكة ، قد اتخذوا الدارمي مضحكاً لهم في مجالسهم . وقد عاش الدارمي في مكة في العصر الأموي ، فيروي الأصفهاني أنه كان في أيام عمر ابن عبد العزيز ، وكانت له أشعار ونوادر ، وكان من ظرفاء أهل مكة[٣] وكانوا لا يطيب لهم متنزه إلا به[٤] . وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني بعض نوادره[٥] ، فمن ذلك أنه كان عند أحد الولاة في مجلسه يحدثه ، فأغفى الوالي فعطس الدارمي عطسة هائلة أفزعت الوالي وأغضبته حتى استوى جالساً وقال له : أتفزعني ؟ قال : كلا ! ولكن هكذا عطاسي ، فقال : ائتني ببينة على ذلك ، فخرج فأتاه برجل . فسأله الوالي : بم تشهد لهذا ؟ قال : أشهد أني رأيته مرة عطس عطسة هائلة فسقط ضرسه . فأغرق الوالي في الضحك وعفا عنه[٦] .

أما بعض المجالس الاجتماعية ، فكانت تدور حول لعب الشطرنج فتذكر المصادر أن علي بن أبي طالب مر بقوم يلعبون الشطرنج فقال : «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون»[٧] . ومر عبد الرحمن بن عوف بقوم يلعبون

---

(١) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٤ ، ص ٢٧٠ .

(٢) انظر : المبرد ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .
ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، جـ ٣ ، ص ٣١٥ ، المعارف ، ص ٢٧٨ .
ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٤ قسم ٢ ، ص ٦٠ - ٦١ ،
ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ١١٣ .
الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ .

(٣) الاصفهاني ، المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٤٥ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٤٧ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٤٦ - ٥٠ .

(٦) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ٣ ، ص ٤٨ ، شوقي ضيف ، الشعر والغناء ، ص ١٧٦ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٦ ، ص ١٥٦ ، الابشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، جـ٢ ، ص ٢٣٢ . والآية من سورة الأنبياء رقم ٥٢ .

الشطرنج ، فخلط تماثيل لعبتهم وقال : قد وضعت الحرب أوزارها[١] . وكان الامام مالك يكره أن يلعب بالشطرنج[٢] ، وروي عن محمد بن الحنفية أنه كره اللعب به[٣] ، الا أن بعض السكان كان يزاول هذه اللعبة فيما يشبه النادي ، فيروي الأصفهاني أن « عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتاً فجعل فيه شطرنجات ونردات[٤] وقرقات[٥] ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل في الجدار أوتاداً ، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ، ثم جر دفتراً فقرأه ، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم »[٦] . وقد زار الشاعر الأحوص هذا النادي « فعلق رداءه على وتد وحل إزاره واجتر الشطرنج وقال : من يلعب . . »[٧] . ويذكر ابن الجوزي أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كان صديقاً للوليد بن يزيد ، فكان يأتيه ويؤانسه، ويلعب معه بالشطرنج[٨] . ويبدو أن هذه اللعبة قد انتشرت في العصر الأموي حتى شغف بها الناس ، وأدمنوا على لعبها ، حتى أصبح الامام مالك لا يرى قبول شهادة المدمن على اللعب بالشطرنج[٩] . وكان أهل المدينة إذا خطب اليهم من يلعب الشطرنج لم يزوجوه ، فكانوا يزعمون أنه إحدى الضرتين[١٠].

---

(١) الاصبهاني ، محاضرات الادباء ، جـ ١ ، ص ٤٤٨ . وهو تمثل بالآية رقم ٤ من سورة محمد .

(٢) مالك ، المدونة ، جـ ١٣ ، ص ١٥٣ .

(٣) الاصبهاني ، محاضرات الأدباء ، جـ ١ ، ص ٤٤٨ .

(٤) النردات جمع نرد ، والنرد شيء يلعب به ، فارسي معرب ، وهو النردشير ، انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٤٣١ ، والنرد ما يعرف اليوم « بالطاولة » . انظر : الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٤ ، ص ٢٥٣ ، حاشية (٣) .

(٥) القرقات جمع قرق وهي لعبة معروفة بالحجاز ، يلعب بها الصبيان ، وتتكون من « خط مربع في وسطه خط مربع في وسطه خط مربع ، ثم يخط من كل زاوية من الخط الأول الى الخط الثالث وبين كل زاويتين خط فيصير أربعة وعشرين خطاً ونؤخذ حصيات فيضعونها عليها » . انظر ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ١٩٨ .

(٦) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٤ ، ص ٢٥٣ ، وانظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ١٦٠ .

(٧) الاصفهاني ، المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

(٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ص ٤٢٩ .

(٩) مالك ، المدونة ، جـ ١٦ ، ص ٢٥٨ .

(١٠) الأصبهاني ، محاضرات الادباء ، جـ ١ ، ص ٤٤٨ .

ومن وسائل التسلية الكُرَّك ، وهو لعب عربي قديم كان منتشراً في مكة يلعبون به ، وخاصة في مواسم الأعياد . يـروي الفاكهي أن عمر بن الخطاب قدم مكة فرأى الكرَّك يلعب به فقال : لولا أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقرك ما أقررتك[١] . وكان لكل حارة من حارات مكة كرك يعرف بهم يجتمعون له ويلعبون به[٢] . وقد استمر اللعب بالكرَّك في مكة حتى سنة ٢١٠ / ٨٢٥ م[٣] في العصر العباسي .

ومن وسائل التسلية اللعب بالصنج ، وهي قطعة مستديرة من الصفر تضرب بأختها ، فيروي الأصفهاني أن عبد الله بن عامر اشترى إماء يلعبن بالصنج ، وأتى بهن المدينة « فكان لهن يوم في الجمعة يلعبن فيه ، وسمع الناس منهن ، فأخذ عنهن »[٤] . وكان اللعب بالنرد موجوداً في مجتمع الحجاز في العصر الأموي ، فقد لاعب أشعب رجلاً بالنرد[٥] ، وكانت النردات في بيت عبد الحكم بن عمرو الجمحي ، من بين أدوات اللعب الأخرى ، فكانوا يجتمعون في هذا البيت الذي أشبه بالنادي ، ويلعبون بهذه الألعاب[٦] .

أما سباق الخيل ، فكان معروفاً في العصر الأموي ، وكان الوليد بن عبد الملك من أسبق الخلفاء الى تنظيم سباق الخيل ورعايته[٧] ، فيروي الـفيروزأبادي نقلاً عن الأصمعي أن رجلاً من نجد وفد على الوليد بن عبد الملك ، وكان معه فرس أعرابية ، فاشترك في سباق الخيل الذي أقامه

---

(١) الفاكهي ، تاريخ مكة ، ص ٩ .
(٢) نفس المصدر ، ص ١٠ .
(٣) نفس المصدر ، ص ١٠ .
(٤) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ٨ ، ص ٣٢١ .
(٥) نفس المصدر ، جـ ١٩ ، ص ١٧٩ .
(٦) نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ٢٥٣ ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ١٦٠ .
(٧) الفيروز أبادي ، المغانم المطابة ، ص ٩٦ .

الوليد فسبق الناس[1] . وقد اشترك في سباق أجراه هشام بن عبد الملك أربعة آلاف فرس ، ويقول المسعودي بأنه لم يعرف ذلك في جاهلية ولا اسلام لأحد من الناس[2] . ويذكر الأصفهاني أن هشاماً بن عبد الملك زار المدينة في خلافته فأقام مهرجاناً لسباق الخيل[3] . ويبدو أن الناس أكثروا من سباق الخيل في نهاية القرن الأول الهجري مما جعل عمر بن عبد العزيز يرسل الى ولاته في الأمصار الاسلامية ينهاهم عن ركض الفرس في غير حق[4] . ويروي الزبير بـن بكار أن بني مصعب بن الزبير كانوا يتسابقون على الخيل العراب[5] . ويستشف من رواية الـفيروزأبادي أن سباق الخيل كان يقام في نجد في العصر الأموي[6] .

أما السباق فكان من وسائل التسلية التي زاولها السكان في نجد والحجاز في العصر الأموي[7] ، ويروي ابن سعد أن عبد الله بن عمر دعا الأعراب في السقيا فجعل يسبق بينهم[8] . ومن وسائل التسلية أيضاً الرماية ، فيروي الأصفهاني أن عائشة بنت طلحة كانت تخرج الى مال لها عظيم في الطائف فتتنزه وتجلس فيه ، فيتناضل بين يديها الرماة[9] . وكان الشاعر العرجي من أفرس الناس وأرماهم وأبراهم لسهم ، فكان يبري السهام التي يرمي بها من شجر الرمان في حائطه[10]. ويروي أبو نعيم عمن رأى فتية من

---

(١) نفس المصدر ، ص ٩٦ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٥ .

(٣) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ١١ ، ص ١٩٣ .

(٤) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٥٦ .

(٥) ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، جـ ١ ، ص ٣٤٠ ؛ أنظر أيضاً : الندوي ، المجتمع المكي ، ص ٣١١ .

(٦) الفيروز أبادي ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٥١ ،
ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، جـ ١ ، ص ٥٤٦ .
الكتاني ، التراتيب الادارية ، جـ ٢ ، ص ١٤٦ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١٥١ ، الكتاني ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(٩) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ ١١ ، ص ١٩٠ . (١٠) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٤٠٣ .

قريش يرمون دجاجة قد نصبوها غرضاً لهم لتعلم فن الرماية[١] . ويذكر ابن قتيبة أن الشاعر توبة الحمير تناضل مع جميل بثينة فنضله جميل[٢] . أما المصارعة فكانت من وسائل التسلية والرياضة التي كانت تمارس في نجد والحجاز في العصر الأموي[٣] .

وقد انتشر الصيد كهواية في البيئات المترفة الغنية ، وبلغ من اهتمام بعضهم به أن اتخذه رياضة ومتعة ، فاهتم بكلاب الصيد ، فجعل لكل منها عبداً يخدمه ويرعاه[٤] . ويروي الزبير بن بكار أن عبد الرحمن بن الحكم وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت كانا يخرجان من المدينة بأكلب لهما للصيد[٥] . وقد اشتهر الشاعر العرجي بالصيد ، ويبدو أن مسكنه بالعرج في الطائف قد شجعه على هواية الصيد ، نظراً لقربه من جبل غزوان ، الذي كان من اكثر جبال السروات صيداً[٦] . فيروي الأصفهاني أن العرجي كان مشغوفاً باللهو والصيد ، حريصاً عليهما ، قليل المحاشاة لأحد فيهما[٧] . وكان يمتلك وسائل الصيد وأدواته ويستخدم الجوارح من الطير كالصقور والبزاة في صيد الطيور ، ويستعين بالفهود والكلاب لصيد الغزلان وحمر الوحش ، فقد خرج مرة متنزهاً من مكة ومعه جماعة من غلمانه ومواليه ومعه كلابه وفهوده وصقوره وبوازيه نحو الطائف[٨] . وخرج يوماً للمدينة ، ومعه غلمانه ومواليه وآلة الصيد ، فلم يزل يتصيد ويقف في طريقه حتى دخل المدينة[٩] .

---

(١) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ٤ ، ص ٢٩٦ .
(٢) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، جـ١ ، ص ٥٤٦ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ١١ ، ص ٢٤٠ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٢٤٠ ، ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص ٥٤٦ . الكتاني ، التراتيب الادارية ، جـ٢ ، ص ١٤٧ .
(٤) ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٤٩ .
(٥) ابن بكار ، الأخبار الموفقيات ، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ .
(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٢٣ .
(٧) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ١ ، ص ٣٨٥ .
(٨) نفس المصدر ، جـ٨ ، ص ٢٣٠ .
(٩) نفس المصدر ، ص ٢٣٠ ، الندوي ، المجتمع المكي ، ص ٣٠٩ .

ومن وسائل الصيد الجلاهق ، وتتكون من قوس يرمى به البندق ؛ والبندق كرات صغيرة تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص ، وترمى بالأقواس كما ترمى النبال . ولقد ظهرت في أواخر خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ، وعدوا ظهورها في المدينة منكراً[1] . حتى ألفها الناس ، ثم استمروا في استعمالها وتحسينها حتى أصبحت إحدى وسائل الصيد المعروفة ، وكانت هواية الصيد معروفة في نجد[2] ، ومن الأمكنة التي ارتادها الصيادون ، الأَخْيَل ، وهو موضع بالقرب من بلاد طيء في نجد[3] ، والصِّفَاح ، وهو مكان بالقرب من مكة ، وكانت تصاد فيه الأرانب[4] ، وأَثَايَة العَرْج ، وكانت مشهورة بالظباء[5] ، إضافة الى جبل غزوان في جبال السروات ، الذي كان مشهوراً بكثرة الصيد فيه[6] .

أما وسائل التسلية بالنسبة للأطفال ، فكان لهم مجموعة من الألعاب التي كانوا يزاولونها ويتسلون بها كلعبة المدحاة ، وكانت لعبة مفضلة لدى صبيان الحجاز[7] ، فكانوا يتخذون أحجاراً مدورة كالأقراص ، ويحفرون حفرة على قدرها ، ويتم اللعب بقذف هذه الأحجار بخشبة طويلة ، فتمر على

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٤ ، ص ٣٩٨ .
الصالحي ، الصيد والطرد في الشعر العربي ، ص ٢٣٦ .
جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، جـ ٥ ، ص ١٨٠ .

(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ١ ، ص ١٢٥ ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، جـ ١ ، ص ٥٠٩ ـ ٥١٠ .

(٣) البكري ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ ، والأخيل موضع بين دور بني عبد الله بن غطفان ، ودور طيء .
أنظر: البكري ، معجم ما استعجم ، ص ١٢٥ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٨٣٤ ـ ٨٣٥ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٦٨٧ . والعرج يبعد أحد عشر ميلاً عن الرويثة على الطريق بين مكة والمدينة .
انظر : ابن بليهد ، صحيح الأخبار ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤ . أما الرويثة ، فتقع على الطريق من مكة الى المدينة ، وبين المدينة والرويثة ١٧ فرسخاً ، انظر : البكري ، معجم ما استعجم ، جـ ٢ ، ص ٦٨٦ .

(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٣٢٣ .

(٧) أحمد بن ثعلب ، مجالس ثعلب ، جـ ١ ، ص ٢٤ ، ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٨ ، ص ٢٧٦ .

وجه الأرض ، ولا تأتي على شيء الا جحفته ، فإن وقع الحجر في الحفرة ، فقد غَلب صاحبها ، وإن لم يقع غلب[1] . وكانت لعبة القرق من وسائل التسلية في الحجاز للصبيان[2] ، وكانت القرقات في بيت عبد الحكم بن عمرو الجمحي ، الذي كان أشبه بالنادي الذي يضم وسائل متنوعة للتسلية[3] .

ومن الألعاب الأخرى مريخ الوليد ، وهو قضيب يجعل الصبي في أعلاه تمرة أو طينة تثقله ، ثم يرمي به بغير ريش[4] . وكان الأطفال في المدينة يزاولون لعبة الغراب ، فتذكر المصادر أن أبا هريرة كان مرحاً ، فكان يأتي الصبيان وهم يلعبون لعبة الغراب في الليل ، فلا يشعرون حتى يلقي نفسه بينهم ، فيضرب برجليه ، فيفزع الصبيان فيفرون وهم يضحكون[5] .

وكان بعض الأطفال يزاول ما يشبه الألعاب السحرية، فيروي ابن سعد عن عطاف بن خالد قال : « كنت قائماً مع سالم بن عبد الله فأتى بغلام ومعه غلمان وهو أشقهم فسل خيطاً من إزاره فقطعه ثم جمعه بين إصبعيه ثم تفل فيه مرتين أو ثلاثاً ثم مده فإذا هو صحيح لا بأس به »[6] . كما كانوا يتسلون ببعض الألعاب المصنوعة للأطفال ، فيروي ابن سعد أن سعيد بن المسيب كان لا يأذن لابنته في اللعب ببنات العاج ، وكان يرخص لها في الطبل[7] ، وكان لإبنة سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب غربال صغير تلعب به بين يديه[8] .

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٧٦ .

(٢) نفس المصدر ، جـ١٢ ، ص ١٩٨ .

(٣) الاصفهاني ، الأغاني ، جـ٤ ، ص ٢٥٣ ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ١٦٠ .

(٤) أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، جـ٢ ، ص ٩٣٣ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٤ ، قسم ٢ ، ص ٦٠ ـ ٦١ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٧٨ ، ويذكر ابن كثير أنها لعبة الأعراب وليس الغراب ، انظر : البداية والنهاية ، جـ٨ ، ص ١١٤ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٥ ، ص ١٤٨ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٩٩ .

(٨) نفس المصدر ، ص ١٤٧ .

# خاتمة

هذا الكتاب محاولة لدراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي . وتبين لي من دراسة الحياة الاقتصادية أن الزراعة في نجد والحجاز كانت مزدهرة نظراً لخصوبة التربة في أغلب المناطق وتوفر الأيدي العاملة ، ووفرة الأموال ، وتشجيع الخلفاء والولاة . وكانت الزراعة تعتمد على الأمطار ومياه العيون والآبار . وكانت أهم المحاصيل الزراعية في نجد والحجاز التمور بأنواعها المختلفة والحبوب كالقمح والشعير والفواكه والخضروات . ووجدت أن الزراعة كانت تتعرض لبعض الآفات والأوبئة التي كانت تتلف المحاصيل الزراعية كالجراد والسيول الجارفة .

وتبين لي أن السكان في نجد والحجاز كانوا يهتمون بتربية الماشية كالإبل والخيل والأغنام والأبقار لا سيما وأن المراعي كانت متوفرة ، كما استفاد السكان من مناطق الحمى القديمة التي استمرت في العصر الأموي كمراع للإبل والخيل والأغنام كحمى النقيع وحمى ضرية وحمى الربذة وحمى فيد . كما اتضح لي أن الأمويين لم يحاولوا حماية أية أحماء جديدة وإنما اكتفوا بتوسيع رقعة الأحماء القديمة . وفي عهد عمر بن عبد العزيز أبيحت الأحماء لجميع السكان .

أما التجارة فكانت مزدهرة في نجد والحجاز في العصر الأموي نظراً

لحسن الموقع الجغرافي لنجد والحجاز ، وإزالة القيود بين الأقاليم الاسلامية والاهتمام بطرق المواصلات ، والقضاء على السراق وقطاع الطرق . ولقد بينت أن التجارة الداخلية بين المدن في نجد والحجاز كانت نشطة ، وكان مركز هذا النشاط الأسواق التجارية في المدن .

كما اتضح لي أن التجارة الخارجية كانت لا تقل نشاطاً عن التجارة الداخلية فقد اتصلت الحجاز ونجد بالأمصار الاسلامية والأقاليم الأخرى عبر شبكة من الطرق البرية والبحرية . وكانت موانىء الحجاز التي تقع على البحر الأحمر كالجار وجدة محطات تجارية للسفن القادمة من اليمن والبحرين ومصر والحبشة والهند والصين . لذلك كانت السلع ترد الى الحجاز ونجد من الأقاليم الأخرى ، كما كانت بعض السلع تصدر من الحجاز ونجد الى هذه الأقاليم .

وكانت الأسواق في العصر الأموي تخضع لموظف يدعى « العامل على السوق » ، فكان يراقب المكاييل والموازين ويحل الخلافات التي تنشأ بين الباعة في الأسواق . وكان يتم تعين « العامل على السوق » من قبل الوالي ، كما كان يعتبر أحد موظفي الدولة الذين يتقاضون مرتباً من بيت المال .

وتبين لي أن الدولة الأموية لم تضع تسعيرة إجبارية في نجد والحجاز ، كما كانت الأسعار معتدلة تقريباً وعاش الناس في رخاء اقتصادي عدا حالات الحروب والأوبئة التي ترتفع فيها الأسعار لانعدام المجلوب ، الا أن هذه الحالات كانت مؤقتة وغالباً ما تزول بزوال الفتن التي أوجدتها .

وأوضحت أن الدرهم والدينار ، كانا النقدين الأساسيين اللذين تم بهما التعامل والبيع والشراء في أسواق نجد والحجاز في العصر الأموي ، وتبين لي أن وجود الصيارفة ساعد على نمو التعامل التجاري ، فكانوا يقومون بتحويل الدراهم الى دنانير وبالعكس حسب سعر الصرف السائد في السوق الذي تحدده المؤثرات التجارية دون تدخل الحكومة .

واستخدم الصك كوسيلة من وسائل التعامل التجاري لدفع الأموال في العصر الأموي ، وتجنباً لمخاطر الطريق استعملت الحوالة أو السفتجة ، نظراً لأنها مأمونة من الضياع ، وخفيفة الحمل ، وبعيدة عن متناول اللصوص . وقام وكلاء التجار في الأقاليم الاسلامية بتحويل هذه السفاتج الى نقود لأصحابها بقيمة المبالغ التي أخذت منهم ، مما ساعد على نشاط التعامل التجاري . واستكمالاً لدراسة أسلوب التعامل في أسواق نجد والحجاز بينت وحدات الكيل والوزن والقياس التي كانت مستعملة في تلك الاسواق .

وقامت في نجد والحجاز بعض الصناعات البسيطة ، فلقد وجد في نجد والحجاز بعض المعادن للذهب والفضة ، لذلك وجدت صناعة الصياغة كما قامت بعض الصناعات الأخرى كالحدادة ودباغة الجلود ، والنجارة . ومن الحقائق الجديدة التي توصلت اليها أن منطقة الوشم في نجد كانت مشهورة بصناعة النسيج ، خاصة بلدة ثرمداء . كما تبين لي أن الورق كان يصنع في الحجاز سنة ٨٨ هـ/ ٧٠٧ م ، من القطن والأبريسم والقنب ، إلا انني رجحت أن هذه الصناعة لم تكن على مستوى جيد بدليل استيراد الورق من مصر . كما تناولت بعض الحرف التي كانت موجودة في ذلك العصر وأوضحت أن بعض السكان كان يزاولها كالخياطين والغسالين والحلاقين والخبازين ومن جرى مجراهم .

وتبين لي أن أغلب هؤلاء العاملين في هذه الحرف والصناعات كانوا من الرقيق والموالي وكانوا يخضعون لرقابة العامل على السوق الذي كان يحاسبهم على أعمالهم ويراقبهم حتى لا يهربوا بأموال الناس وحاجاتهم ، بيد أن بساطة الحياة في نجد والحجاز قللت من مشاكلهم .

وأثناء دراستي للنظم المالية اتضح لي أن هناك فرعاً في الحجاز لبيت المال المركزي في دمشق وكان يتسلم « الموارد المالية » ، وتبين لي أن قسماً من الزكاة على الانتاج الزراعي والأموال النقدية ، والمعادن ، والماشية ، كان يذهب الى بيت المال . وكانت عشور التجارة التي تؤخذ كرسوم على أموال

وعروض التجارة المارة على ثغور نجد والحجاز تعتبر من أبواب الدخل . كما أن الاستيلاء على أموال الثوار كان يعتبر من الموارد المالية لبيت المال . وكانت أهم المصروفات من بيت المال العطاء الذي يعتبر المصدر الأساسي للناس في معاشها . كما كانت الدولة تصرف رواتب الموظفين ، وتكاليف المنشآت العامة ، وإعداد الحملات العسكرية من بيت المال . وتبين لي أن بعض الأموال كانت تصرف في مجال الرعاية الاجتماعية ، خاصة في عهد الوليد بن عبد الملك . وإضافة الى العطاء كانت الدولة توزع بعض المواد الغذائية التي كان يطلق عليها الرزق . وعلى الرغم من أن موارد نجد والحجاز كانت ضئيلة الا أن قسماً منها كان يذهب الى بيت المال المركزي في دمشق .

وتبين لي من دراسة الحياة الاجتماعية أن المجتمع في الحجاز ونجد في العصر الأموي كان يتكون من عدد من الأجناس المختلفة . ويأتي العرب على قمة هؤلاء الأجناس ويليهم الموالي ثم الرقيق .

لقد تناولت القبائل العربية التي كانت تقطن في نجد والحجاز فتحدثت عنها وبينت مواطنها ، وتبين لي أن أغلب هذه القبائل لا تزال في مواطنها القديمة منذ العصر الأموي حتى عصرنا هذا . كما أوضحت أن بعض بطون القبائل هاجرت الى الأمصار الاسلامية الأخرى واستقرت فيها، الا أنهم لم يقطعوا علاقتهم ببني العمومة في نجد والحجاز .

وتبين لي أن الموالي شاركوا في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفنية . كما قاموا ببعض الأعمال للدولة كالرقابة على الأسواق ، والأمور المالية والاشراف على المنشآت العامة . وناقشت موضوع احتقار العرب للموالي وأوضحت أن هذا الكلام لا يخلو من مبالغة .

كما شارك الرقيق في جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة ، فكان لهم دور في الزراعة والصناعة والتجارة وكان لهم أثر كبير في حدوث التغير الاجتماعي بما جلبوه معهم من عادات وتقاليد .

وعند دراستي للحياة العامة في مدن الحجاز ونجد ، تناولت بناء الدور والقصور ، وأوضحت أن السكان بدأوا يتفننون في اتخاذ القصور المبنية من الآجر والجص . كما تفننوا في اتخاذ الألبسة الناعمة ، وبينت لباس البدن الداخلي ولباس البدن الخارجي ولباس الرأس . وتحدثت عن الأطعمة والأشربة وأنواعها في نجد والحجاز ، كما بينت أن السكان كانوا يتناولون بعض الحلوى والفواكه والخضروات مع وجباتهم .

وأوضحت مظاهر التزين التي كان يستعملها الرجال كالخضاب والطيب والتختم . . كما بينت مظاهر الزينة للنساء كلبس الحلي ، والإمتشاط والتختم والإكتحال . . . الخ .

واحتفل سكان نجد والحجاز كالمسلمين الآخرين بعيدي الأضحى والفطر ، كما كانت تقام بعض الألعاب في الأعياد كلعبة الكرّك التي يلعب بها سكان مكة في كل عيد . وتبين لي أن سكان الحجاز عرفوا الحمامات في العصر الأموي ، وقد شيدت هذه الحمامات على نظام يسمح للمستحم عدم التعرض للتيار نتيجة الانتقال السريع من البرد الى الحر أو العكس .

واستخدم سكان الحجاز في تنقلاتهم الإبل والخيل والبراذين والبغال والحمير . كما استخدم التجار هذه الحيوانات في نقل السلع الى الأسواق .

وتناولت العادات والتقاليد التي كانت تسود مجتمع الحجاز ونجد كعادات الزواج والطلاق ، وتبين لي أن المهور كانت تختلف باختلاف المكانة الاجتماعية للزوجين فكانت ترتفع حتى تصل الى مليون درهم وتنخفض حتى تصل درهمين . وكان الغناء أحياناً يرافق حفلات الزواج ، كما كانت تعمل الولائم ابتهاجاً بالزواج . وإذا حدث أن طلق الرجل زوجته كان عليه أن يمتعها نقوداً أو خادماً أو كسوة .

أما عن تقاليد الوفيات، فكانت هناك بعض العادات كالرجاز الذين يتبعون الجنازة وحملة المجامر كما كانت هناك بعض العادات التي نهى الشرع عنها

كالنياحة وشق الجيوب وضرب الخدود . ولقد وقف عمر بن عبد العزيز موقفاً حازماً من هذه العادات وأمر الشرطة بمعاقبة من يعملها .

وقامت في الحجاز ونجد بعض المجالس الاجتماعية ووسائل التسلية التي كان يزاولها السكان، فكانت هناك مجالس العلماء ، وتبين لي أن المستشرق شاخت Schacht كان مخطئاً عندما نفى مجلس الفقهاء السبعة ولقد أوضحت الأدلة العلمية التي تؤيد وجود هذا المجلس . كما اتضح لي أن هناك مجالس للقصّاص ومجالس للشعر والأدب ، ومجالس للطرب والغناء ومجالس للمنادرة والفكاهة .

كما زاول بعض السكان لعبة الشطرنج والكرك واللعب بالصنج وسباق الخيل والصيد . وكانت هناك بعض البيوت التي تشبه النوادي في العصر الحاضر بها مجموعة من الألعاب التي يزاولها السكان للتسلية . كما زاول السكان المسابقة والمناضلة والمصارعة في أوقات فراغهم . وكانت هناك بعض الألعاب التي يزاولها الأطفال كلعبة المدحاة ، ومريخ الوليد ، ولعبة الغراب ، إضافة الى بعض الألعاب المصنوعة للأطفال كالطبل وغيره .

# ثبت المصادر والمراجع

## أولا : المخطوطات :

البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ( ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م ) .

١ ـ أنساب الأشراف ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ١١٠٣ تاريخ .

البياسي ، يوسف بن محمد ( ت ٦٥٢هـ / ١٢٥٥م ) .

٢ ـ الاعلام بالحروب الواقعة في صدر الاسلام ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ٣٩٩ تاريخ .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ( ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م ) .

٣ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، جـ١ مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ١/٨٣٥ .

الخزاعي ، علي بن ذي الوزارتين محمد بن مسعود الخزاعي ( ت ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م ) .

٤ ـ الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف

والصنائع والعمالات الشرعية ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٦٣٨ تاريخ تيمور .

ابن دقماق ، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن ايدمر ( ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م ) .

٥ ـ الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٥٢٢ تاريخ .

الذكير ، مقبل بن عبد العزيز .

٦ ـ تاريخ نجد ، مخطوطة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، رقم ١٤٦٤ تاريخ .

ابن الرفعة ، نجم الدين أحمد بن محمد بن علي الشافعي ( ت ٧١٠هـ / ١٣١٠م ) .

٧ ـ الرتبة في الحسبة،مخطوطة بمعهد المخطوطات ، جامعة الدول العربية ، برقم ٥٥١ .

ابن شاكر الكتبي ، أبو عبدالله محمد بن شاكر بن أحمد ( ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م ) .

٨ ـ عيون التواريخ ، مخطوطة في دار الكتب المصرية رقم ١٤٩٧ تاريخ .

ابن شبة ، أبو زيد عمر بن شبة النمري ( ت ٢٦٢هـ / ٨٧٥م ) .

٩ ـ تاريخ المدينة المنورة ، قسم المخطوطات ، بجامعة الرياض رقم ٤٤ ص .

العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ( ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م ) .

١٠ ـ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

الفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني ( ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م ) .

١١ ـ تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٦٤٦ تاريخ .

ابن فهد ، نجم الدين عمر بن الحافظ تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي ( ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م ) .

١٢ ـ اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٠٤ تاريخ تيمور .

ابن منصور ، عثمان بن عبد العزيز بن منصور ( عاش في القرن ١٣هـ ) .

١٣ ـ منهاج المعارج لأخبار الخوارج ، مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، رقم ٦٠١ .

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ( ت ٧٣٣هـ /١٣٣٢ م ) .

١٤ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة .

الهجري ، أبو علي هارون بن زكريا ( ت في أول القرن الرابع الهجري ) .

١٥ ـ كتاب التعليقات والنوادر ، وصل منه نسختان مختلفتان ، النسخة المصرية موجودة في دار الكتب المصرية ، والنسخة الهندية مصورة عن الجمعية الآسيوية في كلكتا ، رقم المخطوطة في دار الكتب ٣٤٢ لغويات .

### ثانيا : كتب عربية قديمة :

الابشيهي ، الشيخ شهاب الدين أحمد ( ت ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م ) .

١٦ ـ المستطرف في كل فن مستظرف ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٧٩هـ .

ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد ( ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ) .

١٧ ـ الكامل في التاريخ ، ٨ أجزاء ، القاهرة : ١٣٥٦هـ فما بعد .

ابن الأثير ، المبارك بن محمد ( ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م ) .

١٨ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٤ أجزاء ، المطبعة العثمانية ، مصر : ١٣١١هـ .

ابن الأخوة ، محمد بن أحمد القرشي ( ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م ) .

١٩ ـ معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق د. محمد محمود شعبان ، وصديق أحمد عيسى المطيعي ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

ابن آدم ، يحيى بن آدم القرشي ( ت ٢٠٣هـ / ٨١٨م ) .

٢٠ ـ كتاب الخراج ، القاهرة : ١٣٨٤هـ .

الادريسي ، محمد بن محمد بن عبيد الله بن علي الشريف ( ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م ) .

٢١ ـ أنس المهج .

٢٢ ـ نزهة المشتاق .

طبع منهما الجزء الخاص بجزيرة العرب ، تحقيق الدكتور ابراهيم شوكة ،مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد ٢١ ، لسنة ١٩٧١م .

الاربلي ، عبد الرحمن سنبط بن ابراهيم بن قنيتو بدر الدين ( ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م ) .

٢٣ ـ خلاصة الذهب المسبوك ، تحقيق مكي السيد جاسم ، طبعة صاحب مكتبة المثنى ببغداد مستفيداً من الطبعة الأولى، بيروت : ١٨٨٥م .

الأزدي ، أبو زكريا يزيد بن محمد ( ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م ) .

٢٤ ـ تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبة، القاهرة : ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

الأزرقي ، محمد بن عبدالله بن أحمد ( ت ٢٥٠هـ / ٨٦٣ م ) .

٢٥ ـ كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، غتنقة ، ١٢٧٥هـ .

الأصبهاني ، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب ( ت ٥٠٢هـ / ١١٠٨م ) .

٢٦ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، القاهرة ١٢٨٧هـ .

الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبدالله ( ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٩ ) .

٢٧ ـ حلية الأولياء ، ١٠ أجزاء ، القاهرة : ١٩٣٢ فما بعد .

الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين ( ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م ) .

٢٨ ـ الأغاني ، جـ١ ـ جـ١٦ طبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣٠ فما بعد .

ـ جـ١٧ ـ جـ٢٤ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م فما بعد .

٢٩ ـ مقاتل الطالبيين ، تحقيق أحمد صقر ، القاهرة : ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م .

الآمدي ، أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى ( ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م ) .

٣٠ ـ المؤتلف والمختلف ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .

البسوي ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان ( ت ٢٧٧هـ / ٨٩٠م ) .

٣١ ـ كتاب المعرفة والتاريخ ، جزءان، تحقيق ، الدكتور أكرم ضياء العمري بغداد : ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

البغدادي ، عبد القادر بن عمر ( ت ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م ) .

٣٢ ـ خزانة الأدب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٧هـ فما بعد .

ابن بكار ، أبو عبدالله الزبير ( ت٢٥٦هـ / ٨٦٩م ) .

٣٣ ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة ١٣٨١هـ .

٣٤ ـ الأخبار الموفقيات ، تحقيق سامي مكي العاني ، بغداد ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

البكري ، أبو عبيدالله بن عبد العزيز ( ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ) .

٣٥ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا، ٤ أجزاء ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٤ ـ ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ م .

البلاذري ، أحمد بن يحيى ( ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م ) .

٣٦ ـ أنساب الأشراف ، جـ٤ ، مطبعة الجامعة ، القدس : ١٩٣٨ م ، جـ٥، مطبعة الجامعة القدس : ١٩٣٦م ، جـ١١ ، طبع بإشراف ( Ahlwart ) ، غريفزولد ، ١٨٨٣م ، المجلد الثاني ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الأولى ،

بيروت : ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

٣٧ ـ فتوح البلدان ، تحقيق عبدالله أنيس الطباع وأخوه ، دار النشر للجامعين ، بيروت ، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م ( وطبعة القاهرة ١٩٥٧م ) .

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ( ٨١٣ ـ ٨٧٤هـ / ١٤١٠ ـ ١٤٧٠م ) .

٣٨ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الأول ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة : ٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

التنوخي ، أبو علي الحسن بن علي بن محمد ( ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م ) .

٣٩ ـ المستجاد من فعلات الأجواد ، تحقيق محمد كرد علي ، دمشق ، ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م .

التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمد بن العباس ( ت ٤١٤هـ / ١٠٢٣م ) .

٤٠ ـ الامتاع والمؤانسة ، ٣ أجزاء ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت بدون تاريخ .

الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد ( ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م ) .

٤١ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، مطبعة الظاهر ، القاهرة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ( ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م ) .

٤٢ ـ البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة : ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

٤٣ ـ التبصر بالتجارة ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة : ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م .

٤٤ ـ المحاسن والأضداد ، القاهرة : ١٣٢٤هـ .

٤٥ ـ رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .

ابن جبير ، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي ( ٥٤٠ ـ ٦١٤هـ / ١١٤٥ ـ ١٢١٧م ) .

٤٦ ـ رحلة ابن جبير ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، مطبعة دار مصر للطباعة ، ( القاهرة : ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م ) .

الجزري ، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ( ت ٨٣٣هـ / ١٤٣٠م ) .

٤٧ ـ غاية النهاية في طبقات القراء ، عُني بنشره ج . برجستراسر ( القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م ) .

الجزري ، عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم الأنصاري ( ت ق ١٠هـ / السادس عشر الميلادي ) .

٤٨ ـ درر الفوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة ، المطبعة السلفية ، القاهرة : ١٣٨٤هـ .

الجمحي ، محمد بن سلام ( ت ٢٣١هـ / ٨٤٦م ) .

٤٩ ـ طبقات فحول الشعراء ، شرح محمود محمد شاكر ، القاهرة : ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

الجهشياري ، أبو عبدالله محمد بن عبدوس ( ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م ) .

٥٠ ـ الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، القاهرة: ١٩٣٨م .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي ( ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م ) .

٥١ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٥٢ ـ صفة الصفوة ، الطبعة الأولى ، حيدر أباد ، ١٣٥٥هـ .

٥٣ ـ تنوير الغبش في فضل السودان والحبش ، تحقيق عبد الرحمن عبد الماجد ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب / قسم التاريخ ـ جامعة القاهرة : ١٣٩٦ / ١٩٧٦م .

ابن حبان ، محمد بن حبان البستي ( ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م ) .

٥٤ ـ مشاهير علماء الامصار ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

ثعلب ، أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ( ت ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م ) .

٥٥ ـ مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م .

ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ( ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م ) .

٥٦ ـ كتاب المحبر ، باعتناء : الدكتوره ايلزة ليختن شتيتر ، ( حيدر أباد الدكن : ١٣٦١ هـ ) .

٥٧ ـ أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والاسلام ، منشور في نوادر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية، القاهرة : ١٩٧٣م .

٥٨ ـ مختلف القبائل ومؤتلفها ، نشره المستشرق فرديناند فستنفلد غوتا : ١٨٥٠م .

ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد ( ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م ) .

٥٩ ـ كتاب ثمرات الأوراق ، طبع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٧٩هـ .

الحربي ، ابراهيم بن اسحاق ( ت ٢٨٥هـ / ٨٩٨م ) .

٦٠ ـ المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، مطبعة المتنبي ، بيروت : ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي ( ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م ) .

٦١ ـ جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة : ١٩٧١م / ١٣٩١هـ .

الحكيم ، أبي الحسن علي بن يوسف ( ت القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ) .

٦٢ ـ الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس مدريد ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

الحميري ، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن عبد المنعم ( ت نحو ٧١٠هـ / ١٣١٠م )

٦٣ ـ الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت : ١٩٧٥م .

ابن حنبل ، أحمد ( ٢٤١هـ / ٨٥٥م ) .

٦٤ ـ المسند ، شرح أحمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة : ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، جـ٤ ، تصوير دار صادر : بيروت عن الطبعة الميمنية ، القاهرة : ١٣١٣هـ .

ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي ( ت ٣٦٧هـ / ٩٧٩م ) .

٦٥ ـ صورة الأرض ، القسم الأول ، ليدن : ١٩٦٧م .

ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن أحمد الخراساني ( ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م ) .

٦٦ ـ المسالك والممالك ، ليدن ١٨٨٩م .

خسرو ، ناصر علوي ( ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م ) .

٦٧ ـ سفرنامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت : ١٩٧٠م .

ابن خلدون ، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ( ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م ) .

٦٨ ـ المقدمة ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٦٩ ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ أجزاء ، بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بشر بن خلكان ( ٦٨١هـ / ١٢٨٢م ) .

٧٠ ـ وفيات الأعيان ، تحقيق احسان عباس ، نشر دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٩ م ، ( وطبعة القاهرة : ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ) .

ابن خياط : أبو عمر خليفة بن خياط العصفري ( ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م ) .

٧١ ـ تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، مطبعة الآداب ( النجف ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م ) .

٧٢ ـ كتاب الطبقات ، بغداد : ١٩٦٧م .

الدارمي ، أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام ( ت٢٥٥هـ / ٨٦٨م ) .

٧٣ ـ سنن الدارمي ، مطبعة الاعتدال ، دمشق : ١٣٤٩ هـ .

أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن اسحاق الأزدي السجستاني ( ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م ) .

٧٤ ـ سنن أبي داود ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م ) .

الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود ( ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م ) .

٧٥ ـ الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال القاهرة : ١٩٦٠ .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ( ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م ) .

٧٦ ـ تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، ٦ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ .

٧٧ ـ تذكرة الحفاظ ، حيدر اباد : ١٨٩٧م .

٧٨ ـ معرفة القراء الكبار ، القاهرة ، ١٣٨٧ / ١٩٦٧م .

٧٩ ـ كتاب دول الاسلام ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة : ١٩٧٤م .

الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ( ت٦٦٦هـ / ١٢٦٨م ) .

٨٠ ـ مختار الصحاح ، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ابن أبي ربيعة ، عمر ( ت في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ) .

٨١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ، جزءان ، تحقيق فوزي عطوي ، الطبعة الأولى . بيروت : ١٩٧١م .

ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر ( كان حياً سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٢م ) .

٨٢ ـ الأعلاق النفيسة ، ليدن ، ١٨٩١ .

ابن الزبير ، القاضي الرشيد بن الزبير ( ت القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ) .

٨٣ ـ كتاب الذخائر والتحف ، تحقيق محمد حميدالله ، مراجعة صلاح الدين المنجد ، الكويت : ١٩٥٩م .

الزبيري ، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب ( ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م ) .

٨٤ ـ كتاب نسب قريش ، نشر ليفي بروفنسال ، القاهرة : ١٩٥٣م .

الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ( ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م ) .

٨٥ ـ الجبال والأمكنة والمياه ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي بغداد : ١٩٦٨م .

أبو زيد القرشي ، محمد بن أبي الخطاب ( ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م ) .

٨٦ ـ جمهرة أشعار العرب ، بيروت : ١٩٦٣م .

السبكي ، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ( ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م ) .

٨٧ ـ طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي ، القاهرة : ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .

السجستاني ، أبو حاتم سهل بن عثمان ( ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م ) .

٨٨ ـ المعمرون والوصايا ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة : ١٩٦١م .

السخاوي ، أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن ( ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م ) .

٨٩ ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، تصحيح محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة : ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م .

السدوسي ، مؤرج بن عمرو ( ت ١٩٥هـ / ٨١٠م ) .

٩٠ ـ كتاب حذف من نسب قريش ، نشرة صلاح الدين المنجد ، مطبعة دار العروبة ، القاهرة : ١٩٦٠م .

السرخسي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي سهل ( ت ٤٨٣هـ / ١٠٩١م ) .

٩١ ـ كتاب المبسوط ، ٣٠ جزء ، مطبعة السعادة ، القاهرة : ١٣٢٤هـ .

ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري ( ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م ) .

٩٢ ـ كتاب الطبقات ، ٨ أجزاء ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٣٢٢هـ فما بعد .

السكري ، أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبدالله ( ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م ) .

٩٣ ـ شرح ديوان كعب بن زهير ، دار الكتب ، القاهرة : ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م ) .

السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد ( ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م ) .

٩٤ ـ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ٤ أجزاء ، دار إحياء التراث بيروت : ١٩٧٣م / ١٣٩٣هـ .

٩٥ ـ الوفاء بما يجب لحضرة المصطفى ، طبعت ضمن « رسائل المدينة المنورة » ، وأشرف على طبعها حمد الجاسر ، الرياض : ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن اسماعيل ( ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م ) .

٩٦ ـ المخصص ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، بدون تاريخ .

الشافعي ، أبو عبدالله محمد بن ادريس ( ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م ) .

٩٧ ـ الأم ، الطبعة الثانية ، بيروت : ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ) .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ( ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م ) .

٩٨ ـ تاريخ الرسل والملوك ، ١٠ أجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٩م .

٩٩ ـ كتاب ذيل المُذَيّل من تاريخ الصحابة والتابعين ، طبعت منه منتخبات تحت عنوان « المنتخب » ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م .

الطبري المكي ، الحافظ أبي العباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر ( ت ٦٧٤ هـ / ١٣٦٢ م ) .

١٠٠ ـ القرى لقاصد أم القرى ، الطبعة الأولى ، القاهرة : ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا العلوي ( ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م ) .

١٠١ ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، القاهرة : ١٣١٧هـ .

العباسي ، أحمد بن عبد الحميد ( ت القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ) .

١٠٢ ـ عمدة الأخبار في مدينة المختار ، الطبعة الخامسة ، نشر أسعد طرابزوني الحسيني ، تصحيح حمد الجاسر ، بدون تاريخ .

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد ( ت ٤٦٣هـ / ١٠٨١م ) .

١٠٣ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٤ أجزاء ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، بدون تاريخ .

١٠٤ ـ بهجة المجالس ، وأنس المجالس ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، والدكتور عبد القادر القط ، دار الكاتب العربي ، بدون تاريخ .

ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله ( ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م ) .

١٠٥ ـ فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، طبع ونشر لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦١م .

ابن عبد الحكم ، أبو محمد عبدالله ( ت ٢١٤هـ / ٨٢٩م ) .

١٠٦ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز ، تحقيق أحمد عبيد ، بيروت ، ١٩٦٧م / ١٣٨٧هـ

ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ( ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م ) .

١٠٧ ـ العقد الفريد ، ٦ أجزاء ، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الأبياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٣م .

أبو عبيد ، القاسم بن سلام ( ت٢٢٤هـ / ٨٣٨م ) .

١٠٨ ـ الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، القاهرة : ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ( ٢١٩هـ / ٨٢٤م ) .

١٠٩ ـ نقائض جرير والفرزدق ، مطبعة بريل ، ليدن : ١٩٠٥م .

العجيمي ، حسن بن علي (ت ١١١٣هـ / ١٧٠٢م) .

١١٠ ـ إهداء اللطائف من أخبار الطائف ، تحقيق يحيى محمود ساعاتي ، الرياض : ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

عرام ، ابن الأصبغ السلمي (ت القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ) .

١١١ ـ أسماء جبال تهامة ، في نوادر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، نشر مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ( ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م ) .

١١٢ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر ، تهذيب عبد القادر بن أحمد المعروف بابن بدران ، المكتبة العربية ، دمشق : ١٣٤٩هـ .

العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر ( ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م ) .

١١٣ ـ تهذيب التهذيب ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، الهند : ١٣٢٥هـ .

العصامي المكي ، عبد الملك بن حسين (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م ) .

١١٤ ـ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية،القاهرة : ١٣٨٠هـ .

ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م ) .

١١٥ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٠هـ .

ابن العمراني ، محمد بن علي بن محمد ( ت في حدود ٥٨٠هـ / ١١٨٥م ) .

١١٦ - الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق د. قاسم السامرائي ، لايدن : ١٩٧٣م .

عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ( ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م ) .

١١٧ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، تحقيق د. أحمد بكير محمود بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

الفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد ( ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م ) .

١١٨ - العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد سيد القاهرة : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م ، جـ١ ، طبع السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م ) .

١١٩ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، منتخبات منه طبعت مع تاريخ مكة للفاكهي والجامع اللطيف لابن ظهيرة ، طبعة أوروبية ، بدون تاريخ .

الفاكهي ، أبو عبدالله محمد بن اسحق ( ت بعد ٢٧٢هـ / ٨٨٥م ) .

١٢٠ - تاريخ مكة ، منتخبات منه طبعت مع شفاء الغرام للفاسي والجامع اللطيف في فضايل مكة وبناء البيت الشريف لابن ظهيرة تحت عنوان « المنتقى في أخبار أم القرى » الطبعة الأوروبية بدون تاريخ .

أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ( ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م ) .

١٢١ - كتاب المختصر في أخبار البشر ، الطبعة الاولى ، المطبعة الحسنية المصرية ، بدون تاريخ .

١٢٢ - كتاب تقويم البلدان ، باريس : ١٨٤٠م .

ابن فرحون ، ابراهيم بن علي بن محمد ( ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م ) .

١٢٣ ـ كتاب الديباج المذهب ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة القاهرة : ١٣٢٩هـ .

ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد ( ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م ) .

١٢٤ ـ مختصر كتاب البلدان ، ليدن : ١٣٠٢هـ .

الفيروزأبادي ، مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب ( ٨٢٣هـ / ١٤١٥م ) .

١٢٥ ـ المغانم المطابة في معالم طابة ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ( ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م ) .

١٢٦ ـ الامامة والسياسة ، تحقيق طه محمد الزيني ، القاهرة : ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

١٢٧ ـ عيون الأخبار ( ١٠ ) أجزاء في أربعة مجلدات ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٧٣م .

١٢٨ ـ المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

١٢٩ ـ الشعر والشعراء ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

١٣٠ ـ تأويل مختلف الحديث ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٦هـ .

قدامة ، أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ( ت ٣٣٧هـ / ١٩٤٨م ) .

١٣١ ـ نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، منشور ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ،ط . دي غوية لندن : ١٨٨٩م .

القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ( ٨٢١هـ / ١٤١٨م ) .

١٣٢ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ١٤ جزءاً ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية القاهرة : ١٩٦٣م وما بعدها .

١٣٣ ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق ابراهيم الأبياري ، القاهرة : ١٩٥٩م .

القيرواني ، أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري (ت ٤٥٣هـ / ١٠٦١م ) .

١٣٤ ـ جمع الجواهر في الملح والنوادر ، تحقيق علي محمد البجاوي القاهرة ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م .

ابن كثير ، عماد الدين أبي الفدا اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ) .

١٣٥ ـ البداية والنهاية ، ١٤ جزءاً ، الطبعة الأولى ، الرياض : ١٩٦٦م .

الكندي ، محمد بن يوسف ( ت ٣٥٠هـ / ١٩٦١م ) .

١٣٦ ـ كتاب الولاة وكتاب القضاة ، طبعة روفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت : ١٩٠٨م .

لغدة الأصفهاني ، الحسن بن عبد الله (ت القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ) .

١٣٧ ـ بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض : ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ( ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م ) .

١٣٨ ـ سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .

مالك ، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عمار التميمي الأصبحي الحميري ( ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م ) .

١٣٩ ـ المدونة ( ١٦ ) جزءاً في ستة مجلدات ، طبعة ساسي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .

١٤٠ ـ الموطأ ، القاهرة ١٣٨٧ / ١٩٦٧ م .

الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ( ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ) .

١٤١ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الطبعة الثالثة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة : ١٣٩٣ هـ .

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد ( ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م ) .

١٤٢ ـ الكامل في اللغة والأدب ، ٤ أجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة : بدون تاريخ .

ابن المجاور ، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد* ( ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م ) .

(*) هذا هو الاسم المثبت في طبعة لوفغرين ، في حين أن اسمه غير معروف واسم أبيه كما ورد في كتاب المستبصر طبعة ليدن جـ ١، ص ٩٧ ، جـ ٢ ، ص ٢٥٢ هو محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادي النيسابوري ، ويستفاد من كتابه أنه فرغ من تصنيفه حوالي سنة ٦٢٦ هـ ، لذلك ، فإن جمال الدين أبا الفتح ليس مؤلف كتاب « المستبصر » . انظر : بشير ابراهيم بشير ، ابن المجاور ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ص ٢ ، مطبعة جامعة الرياض : ١٣٩٩/ ١٩٧٩م ، ص ٤١ وما بعدها .

١٤٣ ـ تاريخ المستبصر ، مطبعة بريل ، ليدن : ١٩٥١م .

المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ( ت ٤٢١هـ / ١٠٢٠م ) .

١٤٤ ـ الأزمنة والأمكنة : جزءان ، مطبعة مجلس إدارة المعارف،الهند حيدر أباد الدكن : ١٣٣٢ هـ .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ( ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م ) .

١٤٥ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ مجلدات ، نشر دار الاندلس بيروت ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ( ت ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م ) .

١٤٦ ـ صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .

المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي الحنفي المعروف بالبشاري ( ت ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م ) .

١٤٧ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، باعتناء دي غوية ، مطبعة بريل ، ليدن : ١٩٠٦م .

المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر ( ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م ) .

١٤٨ ـ إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة : ١٩٤٠ م .

١٤٩ ـ الخطط المقريزية ، مطبعة الساحل الجنوبي ، دار العرفان ، لبنان ١٩٥٩ م .

١٥٠ ـ شذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق محمد السيد بحر العلوم ،

الطبعة الخامسة ، المطبعة الحيدرية ، النجف : ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م .

١٥١ ـ الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، القاهرة : ١٩٥٥ م .

١٥٢ ـ كتاب النقود القديمة الاسلامية ، منشور ضمن كتاب أنستاس الكرملي ، النقود العربية ، القاهرة : ١٩٣٩ م .

ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م ) .

١٥٣ ـ لسان العرب ، ٢٠ جزء ، نسخة مصورة عن طبعة بولاق القاهرة : ١٣٠٧ هـ .

ابن منقذ ، أسامة (ت ٥٨٤ هـ/ ١١٩٠م ) .

١٥٤ ـ المنازل والديار ، تحقيق مصطفى حجازي ، القاهرة : ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٨ م .

المؤلف المجهول ،

١٥٥ ـ العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، ليدن ، ١٨٧١ م .

الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم النيسابوري (ت ٦١٨ هـ/ ١١٢٤ م ) .

١٥٦ ـ مجمع الأمثال ، جزءان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م .

النهروالي ، قطب الدين النهروالي المكي الحنفي (ت ٩٩٠ هـ/ ١٥٨٥ م ) .

١٥٧ ـ الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ، عتنقه ، ١٢٧٤ هـ .

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣ هـ/١٣٣٢ م ) .

١٥٨ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٨ جزء ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٥ م .

ابن هبيرة ، الوزير أبو المظفر ( ت ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤ م ) .

١٥٩ ـ الافصاح عن معاني الصحاح ، الطبعة الثانية ، حلب ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٧ م .

الهلالي ، حميد بن ثور ( ت في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ) .

١٦٠ ـ ديوان حميد بن ثور ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة : ١٣٧١ هـ/ ١٩٥١ م .

الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب ( ت ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م ) .

١٦١ ـ صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار اليمامة ، الرياض : ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م .

الوشاء ، أبو الطيب محمد بن اسحق بن يحيى ( ت ٣٢٥ هـ/ ١٩٣٦ م ) .

١٦٢ ـ الموشى ، دار صادر ، بيروت : ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م .

وكيع ، محمد خلف بن حيان ( ت ٣٠٦ هـ/ ٩١٨ م ) .

١٦٣ ـ أخبار القضاة ، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي ، ٣ أجزاء مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠ م .

ياقوت ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، ( ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م ) .

١٦٤ ـ المشترك وضعاً والمفترق صقعا ، باعتناء وستنفلد ، جوتنكين ، ١٨٤٥ م .

١٦٥ ـ معجم الأدباء ، ٢٠ جزء ، مطبعة دار المأمون ، القاهرة : ( ١٩٣١ ـ ١٩٣٨ م ) .

١٦٦ ـ معجم البلدان ، ٦ أجزاء باعتناء وستنفلد ، لايبزج ١٨٦٧ ـ ١٨٧٣ م ، وجـ ٦ طبعة القاهرة : ١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٦ م .

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب ( ت ٢٨٤ هـ/ ١٨٩٧ م ) .

١٦٧ ـ البلدان ، ليدن : ١٨٩١ م ، ضمن كتاب الأعلاق النفيسة لابن رستة .

١٦٨ ـ تاريخ اليعقوبي ، ٣ أجزاء ، بيروت : ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠ م .

١٦٩ ـ مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ملورد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت : ١٩٦٢ م .

أبو يوسف ، القاضي يعقوب بن ابراهيم الأنصاري ( ت ٢٨٢ هـ/ ٧٩٨ م ) .

١٧٠ ـ الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٩٢ هـ .

## ثالثا : كتب عربية حديثة :

ابراهيم أحمد العدوي ( الدكتور ) ،

١٧١ ـ الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، القاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١م .

أحمد ابراهيم الشريف ( الدكتور ) ،

١٧٢ ـ مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة : ١٩٥٦م .

١٧٣ ـ دور الحجاز في الحياة السياسية العامة ، دار الفكر العربي ، القاهرة : ١٩٦٨م .

أحمد أمين ،

١٧٤ ـ فجر الاسلام ، الطبعة الحادية عشرة ، القاهرة : ١٩٧٥م .

١٧٥ ـ ضحى الاسلام ، جـ ١ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،

الطبعة الثانية ، مطبعة الاعتماد : ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤م .
أحمد الربيعي ،
١٧٦ ـ كثير عزة ، القاهرة : ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
أحمد السباعي ،
١٧٧ ـ تاريخ مكة ، نشر دار قريش ، مكة : ١٣٨٥هـ .
أحمد كمال زكي ( الدكتور )
١٧٨ ـ شعر الهذليين في العصر الجاهلي والاسلامي ، القاهرة : ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
أحمد محمد الحوفي ( الدكتور )
١٧٩ ـ الفكاهة في الأدب ، دار نهضة مصر ، القاهرة : ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
آدم متز ،
١٨٠ ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، الطبعة الرابعة ، بيروت : ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
أرشيبلد . د . لويس ،
١٨١ ـ القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة : ١٩٦٠م .
أكرم ضياء العمري ( الدكتور ) ،
١٨٢ ـ بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، بغداد : ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
أنستاس الكرملي ،
١٨٣ ـ النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة : ١٩٣٩م .
تويتشل ، ك .س .
١٨٤ ـ المملكة العربية السعودية ، ترجمة شكيب الأموي ، القاهرة : ١٩٥٥م .

جرجي زيدان ،

١٨٥ ـ تاريخ التمدن الاسلامي ، مراجعة د . حسين مؤنس ، دار الهلال ، القاهرة ، بدون تاريخ .

حسن ابراهيم حسن ( الدكتور ) ،

١٨٦ ـ تاريخ الاسلام ، القاهرة : ١٩٥٣م .

١٨٧ ـ النظم الاسلامية ، بالاشتراك مع علي ابراهيم حسن ، القاهرة : ١٩٣٩م .

حسن يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي ،

١٨٨ ـ الافصاح في اللغة ، القاهرة : ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

حسين عطوان ،

١٨٩ ـ الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، دار المعارف ، مصر القاهرة : ١٩٧٠م .

حمد الجاسر ،

١٩٠ ـ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .

١٩١ ـ أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ، منشورات دار اليمامة ، الطبعة الاولى ، الرياض : ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

١٩٢ ـ بلاد ينبع ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، بدون تاريخ .

حورية عبده عبد المجيد سلام ،

١٩٣ ـ الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط حتى العصر الفاطمي ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة : يوليو ١٩٧١م .

رينهارت دوزي ،

١٩٤ ـ المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة الدكتور

أكرم فاضل ، بغداد : ١٩٧١ / ١٣٩١م .
زمباور ، ادواردفون ،

١٩٥ ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ترجمة د . زكي محمد حسن ، و د . حسن أحمد محمود ، القاهرة : ١٩٥١م / ١٣٧٠/ هـ .
سعيد الأفغاني :

١٩٦ ـ أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، دمشق : ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
شوقي ضيف ( الدكتور ) ،

١٩٧ ـ تاريخ الأدب العربي : العصر الاسلامي ، دار المعارف ، القاهرة : ١٩٦٣م .

١٩٨ ـ الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، دار المعارف ، القاهرة : ١٩٧٦م .
صالح أحمد العلي ( الدكتور ) ،

١٩٩ ـ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري ، الطبعة الثانية ، دار الطليعة ، بيروت : ١٩٦٩م .
صلاح حسين العبيدي ،

٢٠٠ ـ تاريخ اللباس العربي في العصر العباسي الثاني من المصادر التاريخية والأثرية ، رسالة دكتوراه مقدمة الى قسم الآثار الاسلامية بكلية الآداب ، جامعة القاهرة، لعام ١٣٩٣ / ١٩٧٣م .
عادل سليمان جمال ،

٢٠١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
عباس مصطفى الصالحي ( الدكتور ) ،

٢٠٢ ـ الصيد والطرد في الشعر العربي ، مطبعة دار السلام ، بغداد ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م .
عبد الحي الكتاني ،

٢٠٣ ـ نظام الحكومة النبوية « المسمى التراتيب الادارية » ، بيروت بدون تاريخ .
عبد الرحمن بن عبد الكريم النجم ،

٢٠٤ ـ البحرين في صدر الاسلام وأثرها في حركة الخوارج ، بغداد ١٩٧٣م .
عبد الرحمن فهمي محمد ( الدكتور ) ،

٢٠٥ ـ مجموعة النقود العربية وعلم النميات ، « فجر السكة العربية » ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
عبد العزيز الدوري ( الدكتور ) ،
٢٠٦ ـ مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، بيروت : ١٩٦٩م .
عبد القادر المعاضيدي ،

٢٠٧ ـ واسط في العصر الأموي ، دار الحرية ، بغداد ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .
عبد القدوس الأنصاري ،

٢٠٨ ـ تاريخ مدينة جدة ، الطبعة الاولى ، دار الأصفهاني ، جدة : ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
عبد القيوم عبد الرزاق الندوي ،

٢٠٩ ـ المجتمع المكي في عصر بني أمية ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة : ١٩٧٦م . ( رسالة دكتوراه غير مطبوعة ) .
عبد الله خورشيد البري ( الدكتور ) ،

٢١٠ ـ القبائل العربية في مصر ، القاهرة ١٩٦٧م .

عبد الله صالح الرسيني ،

٢١١ ـ فقه الفقهاء السبعة وأثره في فقه الامام مالك ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز ، لعام ١٣٩١ ـ ١٣٩٢هـ / ١٩٧١ ـ ١٩٧٢م ( رسالة غير مطبوعة ) .

عبد الله محمد بن خميس ،

٢١٢ ـ المجاز بين اليمامة والحجاز ، منشورات دار اليمامة الرياض ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

عبد المجيد محمد الكبيسي :

٢١٣ ـ عصر هشام بن عبد الملك ، بغداد : ١٩٧٥م .

عطية عودة أبو سرحان .

٢١٤ ـ تاريخ الحجاز في العصر الأموي : دراسة سياسية إجتماعية ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر : ١٣٩٦هـ . ( رسالة دكتوراه غير مطبوعة ) .

علي حسني الخربوطلي ( الدكتور ) ،

٢١٥ ـ تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

علي حسين السليمان ،

٢١٦ ـ النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى ، رسالة دكتوراه مقدمة الى قسم التاريخ ـ كلية الآداب ، جامعة القاهرة : ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ( رسالة غير مطبوعة ) .

عمر رضا كحالة ،

٢١٧ ـ جغرافية شبه جزيرة العرب ، مراجعة أحمد علي ، القاهرة : ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

٢١٨ ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، دار العلم للملايين بيروت : ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

غستاف لوبون ،

٢١٩ ـ حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة : ١٩٦٩م .

فالترهنتس ،

٢٢٠ ـ المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة الدكتور كامل العسلي ، عمان : ١٩٧٠م .

فؤاد حمزة ،

٢٢١ ـ قلب جزيرة العرب ، الطبعة الثانية ، الرياض ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

محمد جمال الدين سرور ( الدكتور ) ،

٢٢٢ ـ الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ، الطبعة الرابعة ، دار الفكر العربي ، القاهرة : ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م .

محمد حسين الزبيدي ،

٢٢٣ ـ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم التاريخ بكلية الآداب : ١٩٦٤م .

محمد الخضري ،

٢٢٤ ـ محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٧٠ هـ .

محمد أبو زهرة ،

٢٢٥ ـ مالك ، حياته وعصره ، دار الفكر العربي ، القاهرة : ١٩٥٢ م .

محمد ضياء الدين الريس ( الدكتور ) ،

٢٢٦ ـ الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ م .

٢٢٧ ـ عبد الملك بن مروان والدولة الأموية ، الطبعة الثانية ، القاهرة : ١٩٦٩ م .

محمد بن عبد الله بن بلهيد ،

٢٢٨ ـ صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، القاهرة : ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م .

محمد كرد علي ،

٢٢٩ ـ الادارة الاسلامية في عز العرب ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٣٤ م .

محمد لبيب البتنوني ،

٢٣٠ ـ الرحلة الحجازية ، القاهرة : ١٣٢٧هـ .

محمد نبيه حجاب ،

٢٣١ ـ الراعي النميري ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م .

محمود شكري الألوسي ،

٢٣٢ ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة : ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٤ م .

محمود طه أبو العلاء ( الدكتور ) .

٢٣٣ ـ جغرافية شبه جزيرة العرب ، الطبعة الاولى ، القاهرة : ١٩٦٥ م .

مصطفى مراد الدباغ ،

٢٣٤ ـ الجزيرة العربية ، دار الطليعة ، بيروت ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣ م .

مليحة محمد رحمة الله ،

٢٣٥ ـ الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، رسالة دكتوراه مقدمة الى قسم التاريخ ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، فبراير : ١٩٦٨ م .

ناصر محمود النقشبندي ،

٢٣٦ ـ الدرهم الاسلامي ، المضروب على الطراز الساساني ، بغداد : ١٩٦٩ م .

نبيه عاقل ،

٢٣٧ ـ خلافة بني أمية ، دمشق : ١٩٧٢م .

نجلة الصباغ ،

٢٣٨ ـ بلاد الحجاز خلال العصر العباسي ، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم التاريخ ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة : ١٩٦٩ م ، ( رسالة غير مطبوعة ) .

نوري حمودي القيسي ( الدكتور ) ،

٢٣٩ ـ شعراء أمويون ، القسم الأول ، بغداد ، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م .

يوليوس فلهوزن ،

٢٤٠ ـ تاريخ الدولة العربية ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة : ١٩٦٨ م .

٢٤١ ـ الخوارج والشيعة ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ، الكويت : ١٩٧٦ م .

## رابعا : الدّوريات والمجلاتُ العربيّة :


أحمد أمين ،

٢٤٢ ـ « عكاظ والمربد » مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ، المجلد الأول ، جـ ١ ، لسنة ١٩٣٣ م .

أحمد سعيد حديد ،

٢٤٣ ـ « السيول في منطقة مكة المكرمة » ، المجلة التاريخية ، العدد الثالث ، ١٩٧٤ م .

أحمد فاروق ،

٢٤٤ ـ « دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهل الإسلام » ، مجلة العرب ، جـ ٨ ، جـ ٩ ، الرياض : ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م .

حسين الأمين ( الدكتور ) ،

٢٤٥ ـ « المسجد ، المعهد الأول للتعليم عند المسلمين » مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، العدد ٢٢ لسنة ١٩٦٨ م .

حمد الجاسر ،

٢٤٦ ـ « قبيلة جهينة وفروعها » ، مجلة العرب ، جـ ١٢ ، الرياض : ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٢٤٧ ـ « القطائع النبوية في بلاد بني سليم » ، مجلة العرب ، جـ ١ ، الرياض ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م .

٢٤٨ ـ « جهينة وفروعها قديماً وحديثا » ، مجلة العرب ، جـ ١ ، جـ ٢ ، الرياض : ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م .

٢٤٩ ـ « قبيلة بني هزان » ، مجلة العرب ، جـ ٧ ، الرياض : ١٣٨٩/ ١٩٦٩ م .

٢٥٠ ـ « جحدر العكلي » ، مجلة العرب جـ ١ ، جـ ٢ ، الرياض : ١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ .

٢٥١ ـ « حول الجار والشعيبة » ، مجلة العرب ، ملحق جـ ١٢ ، الرياض : ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠ م .

٢٥٢ ـ « المعادن القديمة في بلاد العرب » ، مجلة العرب ، جـ ١٠ ، ١١ ، الرياض : ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

سعاد ماهر ( الدكتوره ) ،

٢٥٣ ـ الطائف ووج وما بها من آثار النبي ( ﷺ ) والمساجد الأثرية ، مجلة الدارة ، العدد الثالث ، جمادى الثانية : ١٤٠١ هـ .

سعد بن جنيدل .

٢٥٤ ـ الريم ، الريب ، الرين ، مجلة العرب ، جـ ٧ ، جـ ٨ ، الرياض : ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م .

السيد محمد يوسف ،

٢٥٥ ـ « علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور الى القرن الرابع الهجري » مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٥٣ م .

صالح أحمد العلي ( الدكتور ) ،

٢٥٦ ـ « إدارة الحجاز في العهود الاسلامية الأولى » ، مجلة الأبحاث لسنة ٢١ ، الأجزاء ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، بيروت ١٩٦٨ م .

٢٥٧ ـ « الأنسجة في القرنين الأول والثاني » مجلة الأبحاث ، جـ ٤ ، لسنة ١٤ ، دار الكاتب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦١ م .

٢٥٨ ـ « الألبسة العربية في القرن الأول الهجري » ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ١٣ ، بغداد ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦ م .

٢٥٩ ـ « العطاء في الحجاز ، تطور تنظيمه في العهود الاسلامية الأولى » ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٢٠ ، لسنة ١٩٧٠ م/ ١٣٩٠ هـ .

٢٦٠ ـ « طرق المواصلات القديمة في بلاد العرب » ، مجلة العرب جـ ١١ ، الرياض : ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م .

٢٦١ ـ « الحمى في القرن الأول الهجري » ، مجلة العرب ، جـ ٧ ، الرياض : ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م .

٢٦٢ ـ تنظيم جباية الصدقات في القرن الأول الهجري ، مجلة العرب ، جـ ١٠ ، الرياض : ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م .

٢٦٣ ـ « المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز » ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، العدد ١١ ، بغداد : ١٩٦٤ .

٢٦٤ ـ « تحديد الحجاز عند المتقدمين » ، مجلة العرب ، جـ ١ ، الرياض : ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م .

عبد العزيز الدوري ( الدكتور ) ،

٢٦٥ ـ « نشوء الأصناف والحرف في الاسلام » . مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ، العدد الاول ، لسنة ١٩٥٩ م .

عبد الله ناصر الوهيبي ( الدكتور ) ،

٢٦٦ ـ « الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب » ، مجلة كلية الآداب جامعة الرياض ، المجلد الأول ، السنة الاولى ، الرياض : ١٣٩٠هـ .

عبد الواحد ذنون طه ،

٢٦٧ ـ « صور من سياسة الحجاج الثقفي المالية في العراق » ـ الاصلاح النقدي ، مجلة المورد ، العدد الثالث ، دار الحرية ، بغداد : ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦ م :

عزة النص ( الدكتور ) ،

٢٦٨ ـ المزاج الطبيعي لمنطقة نجد ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الأول ، الرياض : ١٣٩٠ هـ .

عمر دراز ( الدكتور ) ،

٢٦٩ ـ « الحمى في شبه الجزيرة العربية » ، مجلة العربي ، العدد ، ٢١١ ، يونيو ١٩٧٦ م .

عيسى سليمان ( الدكتور ) ،

٢٧٠ ـ « درهمان مهمان للخليفة عبد الملك بن مروان » ، مجلة المسكوكات ، العدد ٦ ، بغداد ، ١٩٧٥ .

فيصل السامر ،

٢٧١ ـ « ملاحظات في الأوزان والمكاييل الاسلامية وأهميتها ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الرابع عشر ، لسنة ١٩٧٠ م/١٩٧١ م .

محمد سعيد كمال ،

٢٧٢ ـ « قبائل الطائف » ، مجلة العرب ، جـ ٤ ، الرياض : ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٨ م .

٢٧٣ ـ « الطائف » ، مجلة العرب ، جـ ١ ، الرياض : ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م .

محمد العبودي ،

٢٧٤ ـ « الأسياح ( النباج قديما ) » ، مجلة العرب ، جـ ٧ ، جـ ٨ ، الرياض : ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م .

٢٧٥ ـ « أثال · تحديده وما ورد فيه » ، مجلة العرب ، جـ ٧ ،

جـ ٨ ، الرياض : ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م .

مهدي الصحاف ( الدكتور ) .

٢٧٦ - « موضع مدينة مكة المكرمة وبيئتها الجغرافية » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٤ ، لسنة ١٩٧٠/ ١٩٧١ م .

يوسف خوري ،

٢٧٧ - « جزيرة العرب » مجلة الأبحاث ، الجزء الأول ، لسنة ٢١ ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

## خامساً : المراجع باللغة الأجنبية

'Ākel, Nabih,
Studies in the social histories of the Umayyad period as revealed in the Kitab al-Aghānī, Ph. D. thesis, London, 1960.

Al-Alī, S.A.,
Muslim Estates in Hidjāz in the first century A.H., Journal of the Economic and Social History of the Orient, JESHO, II, 1959.

Studies in the Topography of Medina, Islamic Culture,Vol.XXXV, part II, 1961.

Alwohaibi, A.N.,
The Northern Hijāz in the writings of the Arab Geographers, Beirut, 1973.

Barthold, W.W. (V.V. Barthold),
"Caliph 'Umar II and the conflicting reports on his personality". Translated from the Russian by Jan. W. Weryho, The Islamic Quarterly, Vol. XV, Nos. 2 and 3, 1971.

Becker, C.H.,
Beitraḡe Zur Geschichte Ägyptens Unter Dem Islam, strasbourg, 1902-3.

Belyaev, E.A.,
Arabs, Islam and the Arab caliphate, tr. Adolpe Gourevitch, London, 1969.

Gabrieli,
Muhammad and the conquests of Islam, London, 1968.

Gibb, H.A.R.,
Arabic Literature, second edition, Oxford, 1953.

The Fiscal Rescript of 'Umar II, Arabica, Vol. II, 1955.

Lane-poole, Stanley,
Catalogue of Arabic coins in the Khedivial library at Cairo, London, 1897.

Lavoix, M. Henri,
Catalogue des Monnaies Musulmanes, Imprimerie Nationale, Paris, 1887.

Pearson, J.D.,
Index Islamicus, W. Heffer and Sons Limited, Cambridge, 1961.

Rushbroake, E.G.,
Western Arabian and the Red Sea, geographical handbook series, 1946.

Miles, G.C.,
The earliest Arab gold coinage, AMER. NUM. SOC. MUSEUM NOTES NO. XIII, 1967.

Some Islamic Coins in the Berne Historical Museum. SCHWETIZ. NUM. RUNDSCHAU. XIV, 1966

Schacht, H.,
The Origins of Muhammedan Jurisprudence, Oxford, 1959.

Tritton, A.S.,
Notes on the Muslim system of pensions, Bulletin of the school of oriental and African studies, 16, 1954.

Walker, J.,
A catalogue of the Arab – Byzantine and Post-Reform Umaiyad Coins, London, 1956.

Watt, M.,
Islamic survey, Edinburgh, 1968.

Kharijite thought in the Umayyad period, Der Islam, Vol. 36, part 3, 1961.

منطقة نجد

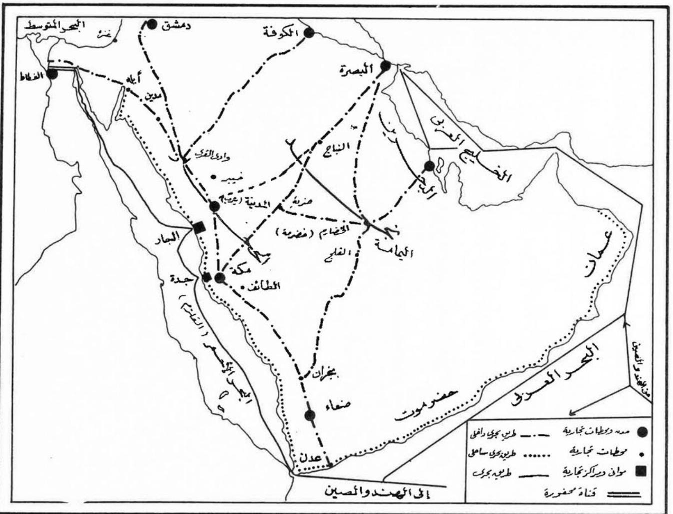
منطقة الحجاز

موقع نجد والحجاز من الجزيرة العربية شكل (١)

البحر المتوسط
بحر الروم
الكوفة
البصرة
فارس
أيلة
دومة الجندل
الخليج العربي
خليج عمان
البحرين
خيبر
دارين
الخط
دبا
المدينة
حجر
المشقر
هجر
صحار
اليمامة
( بحر القلزم )
البحر الأحمر
ذى مجاز
مكة
عكاظ
مجنة
الطائف
حباشة
نجران
مهرة
صنعاء
الشحر
عدن

○ أسواق العرب قبل الإسلام
⊙ الأسواق التي استمرت في نجد والحجاز حتى العصر الأموى

شكل ( ٢ ) أسواق العرب القديمة التي استمرت في العصر الأموى




شكل (٣) الطرق والمحطات التجارية في نجد والحجاز

# فهرس الأعلام

- ب -



- ت -



- ث -



- ج -



- ح -

- خ -



- د -



- ذ -



- ر -



- ز -



- س -

- ش -



- ص -

- ن -

- هـ -



- و -



- ي -

## فهرس الأماكن

- خ -



- د -



- ذ -



- ر -

- ي -

I talked about the customs and traditions that prevailed in the community of Hijāz and Najd such as the customs followed in marriage and divorce. It appeared that dowers varied with the social status of the married couple. They rose up to one million dirhams and dropped down to two dirhams. Singing accompanied wedding ceremonies sometimes, and banquets were given out of rejoicing at marriage. In case a man divorced his wife he had to give her a suitable gift: an amount of money or a servant or an apparel.

As for death conventions, there were the singing poets *(Roggāz)* who followed the funeral and the censers' carriers. There were also some of the customs prohibited by the teachings of Islam such as wailing, ripping the gowns (at the breast) and striking the faces. Omar Ibn 'Abdel 'Aziz adopted a firm attitude towards these customs and ordered the police to punish those who committed them.

In Hijāz and Najd there came into being some means of entertainment and some social assemblies among which were the learned mens' *('Ulamā')* assembly. I found out that the orientalist Schacht was wrong in negating the seven jurists' assembly and set out the evidence for the existence of this assembly. There were also assemblies for the story-tellers, for poetry and literature, for music and singing and for jovial conversation and jesting.

Some inhabitants played chess, *"Korrak"* and castanet beating or exercised horse-racing and hunting. In some houses, like modern clubs, there was a collection of games which the inhabitants exercised for amusement. People knew, as well, contests and wrestling which they practised in their leisure time. Children also had their own games such as *"Medhah"*, etc. This is besides the playthings specially made for children such as drums.

for the population it was composed mainly of the Arabs, *mawālī* (clients) and slaves.

I mentioned the Arab tribes which inhabited Najd and Hijāz and pointed out their homes, in which they have been living since the Omayyad era. I also made clear that some tribes emigrated to the other Islamic cities where they have settled but have not broken up their relationship with their relatives in Najd and Hijāz.

I found out that the *Mawālī* shared in the political, socio-economic, scientific and technical life, besides performing some jobs for the state such as control over markets, financial affairs and supervision of public establishments. I discussed the idea that the Arabs held the *mawālī* in contempt and showed that this saying is not free from exaggeration.

Slaves also participated in the various aspects of political and socio-economic life. They played a role in agriculture, industry and commerce, and had left a deep trace in the social change.

In the study of public life in Najd and Hijāz, I came to the construction of houses and palaces. Here I stated that the people began to emulate in taking up the palaces built of bricks and gipsum. They also devised varieties of soft garments. I mentioned the outer, inner and head dress, the foods and drinks used in Najd and Hijāz and that the people took some sweetmeats, fruits and vegetables with their meals.

I showed the manifestations of adornment adopted by men such as paint, perfume and finger-rings, and by women such as jewelery, combed hair, finger-rings, eyes painted with antimony, etc.

The inhabitants of Najd and Hijāz, like other moslems, celebrated the Lesser and Corban Bairams, and some kinds of sports were exercised in the feasts such as the *"Korrak"* game which the inhabitants of Macca used to play in every feast. The people of Hijāz knew vapour baths in the Omayyad era. These baths were built in such a manner that a bather might not be exposed to air currents in his quick movement from cold to heat and vice versa.

In their transportation, the people of Hijāz used camels, horses, mules and donkeys. These animals were also used by merchants in conveying goods to the markets.

pointed out measure and weight units which were used in these markets.

Some simple industries were established in Najd and Hijāz. There were some minerals like gold and silver which gave rise to goldsmithry. Other industries were smith's business, leather industry, weaving and carpentry. Paper was also manufactured in the year 88 H./707 A.D. from cotton, silk and flax, but I thought it is likely that this industry was not at a good level on the grounds that paper was imported from Egypt. I dealt also with some of the crafts which existed at that epoch, and indicated that they were practised by some inhabitants such as tailors, washermen, barbers, bakers and the like.

I found out that most of these craftsmen were slaves and clients *(Mawālī)* and were subject to control by the "official over the market" who called them to account for their work and watched over them lest they should get away with the peoples money and property. But the simple life in Najd and Hijāz lessened the problems they raised.

In my study of the financial systems I got to know that in Hijāz a branch existed of the central public treasury in Damascus. This branch received fiscal resources. I also found out that a part of the regular charity *(zakāt)* on agricultural produce, monetary funds, minerals and cattle went to the public treasury. The tithes which were imposed on goods passing by Najd and Hijāz were considered a source of income. Seized holdings of the rebels were one of the resources of the public treasury.

The most important item of expenditure of the public treasury was the pension *(al 'Atā')* which was considered to be the essential source of subsistence for the people. The state paid also the salaries of the officials and the costs of the public establishments and military expeditions from the public treasury. Some funds were expended in the field of social care particularly in the reign of Al-Walīd Ibn 'Abdel Malik. In addition to the pension the state distributed some alimentary articles which were called sustenance *(Rizk).* In spite of the scantiness of the resources of Najd and Hijāz, a part thereof was paid to the central public treasury in Damascus.

The study of the social life revealed the factors that influenced social development such as the growth of wealth, the influx of slaves and the yearly advent of pilgrims with their customs and traditions. As

that the centre of this activity was the commercial markets in the towns.

I also found out that foreign trade was no less active than the internal trade. Hijāz and Najd were connected with the Islamic cities and other regions across a net of sea and land ways. The Hijāz sea ports which looked upon the Red Sea like Jār and Gedda were commercial stations for ships coming from Yemen,Bahrain, Egypt, Abyssinia, India and China. Goods came, therefore, to Najd and Hijāz from the other regions while some commodities were exported from Najd and Hijāz to these regions.

Markets in the Umayyad era were under the supervision of an official called the "Official over the market", who controlled measures and weights and settled the disputes that arose among the sellers in the markets. Such an official was nominated by the governor (*Wālī*) and was one of the government employees who received their salaries from the public treasury.

It appeared from the study that the Umayyad state did not prescribe a compulsory tariff in Najd and Hijāz, and that prices were almost moderate. People lived in a state of economic prosperity except under conditions of war and pestilence when prices rise because of the interruption of imports. Such conditions, however, were temporary and often passed away with the end of the circumstances that had brought them about.

I set out that the dirham and dinar were the two principal currencies used in buying and selling in the markets of Najd and Hijāz in the Umayyad era. The presence of money-changers made for the growth of commercial dealings, as they changed dirhams for dinars and vice versa according to the rate of exchange prevailing in the market and which was determined by the commercial influences without interference on the part of the government.

The cheque *(Al Suck)* came in use as a means of commercial dealing in payment of funds, and to avoid dangers on the roads, the bill of exchange was used because it is secure from loss, portable and beyond the reach of robbers. Merchants' agents in the Islamic regions changed these bills for their owners into amounts of money equal to what they had paid – a process which activated commerce. In consummation of the study of the ways of dealing in the markets of Najd and Hijaz, I

ABSTRACT

This thesis is an attempt to study the economic and social life in Najd and Hijāz during the Umayyad era.

From the study of the economic life I found out that agriculture in Najd and Hijāz was flourishing owing to the fertility of the soil in most regions, the availability of man-power, the abundance of funds and the encouragement by the caliphs and governors. Agriculture depended on rain, spring-water and wells. The most important crops were dates, in all their sorts, grains such as corn and barley, fruits and vegetables. I found out that agriculture was exposed to some blights which spoiled the crops such as locusts and torrents.

The inhabitants of Najd and Hijāz were interested in the breeding of cattle such as camels, horses, sheep and cows, chiefly because pastures were plentiful. They also benefited by the old areas of *Himā* (public pastures in mortmain) which survived up to the Umayyad era as grazing lands for camels, horses and sheep, such as the *Hima* of Naki' Dariya, Rabatha and faid. I came to know, as well, that the Umayyads did not endeavour to entail new *Himā*, only expanding the old ones. In the reign of Omar Ibn Abdel Aziz the *"Himā"* was made free for all the inhabitants without exception.

As for trade in Najd and Hijāz, it was prosperous under the Umayyads as a result of the good geographical site, the removal of restrictions among the Islamic regions, the care given to the means of communication, and the eradication of larceny and highway robbery. I revealed that internal trade between the cities of Najd and Hijāz was active and

# THE ECONOMIC AND SOCIAL LIFE IN NAJD AND HIGĀZ DURING THE UMAYYAD PERIOD.

By

**Dr. ABDULLAH MUHAMMED AL-SAIF**

Faculty of Arts, University of Riyadh.

( King Saud University )

1983 — 1403



